الفلسفة الاجتماعية

والاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع

تأليف

حسين عبد الحميد أحمد رشوان

دبلوم عالى فى التربية وعلم النفس

ماجستير فى العلوم الاجتماعية

مدرس بجامعة حلوان فرع الإسكندرية

الطبعة الاولى

١٩٨٥

الناشر

المكتب الجامعى الحديث

محطة الرمل ١٠ أ شارع [illegible] ت ٣٢٩٥٣

اهداءات ٢٠٠٣

أسرة أ.د/على عبد الواحد وافى

القاهرة

الفلسفة الاجتماعية

والاتجاهات النظرية في علم الاجتماع

تأليف
حسين عبد الحميد أحمد رشوان
دبلوم عالي في التربية وعلم النفس
ماجستير في العلوم الاجتماعية
ماجستير في علم الاجتماع
مدرس بجامعة حلوان - فرع الإسكندرية

الطبعة الاولى

١٩٨٥

رقم الايداع ٥٧٨٦ / ٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يتناول هذا المؤلف الفلسفة الاجتماعية والاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع ويهدف إلى تبيان الاختلافات بينهما حتى لا يؤدى عدم إظهار هـذه الفوارق الى الخلط بين الفلسفة الاجتماعية والنظرية فى علم الاجتماع .

واستخدم المؤلف فى هذه الدراسة المنهج التاريخى ، إذ تناول تسلسلا تاريخياً للفلسفة الاجتماعية بادئة بالفلسفة الاجتماعية فى مصر القديمة والهند القديمة وحتي النظريات التعـــاقدية التي ظهرت فى القرنين السابع عشر والثامن عشر .

كما استخدم المنهج المقارن ، فقد قارن بين الاتجاهات النظرية التي ظهرت حديثاً فى علم الاجتماع ، كالاتجاه الوضعى ، والتاريخى ، والنفسى ، والتحليلى والوظيفى ، والحتمية الاقتصادية .

وبالإضافة إلى ذلك استخدم المنهج النقدى ، فبعد أن يسرد المؤلف اتجاهاً نظرياً معيناً ، يضع هذا الاتجاه فى الميزان ، ذاكراً ما وجه إليه من نقد .

واستخدم المؤلف أربعاً وتسعين مرجعـــاً يمكن تصنيفها إلى مراجع فى تاريخ علم الاجتماع ، نذكر منها بالعربية مثلا كتاب د. حسن شحاته سعفان. تاريخ الفكر الاجتماعى والمدارس الاجتماعية . القاهرة ، دار النهضة العربيه ، الطبعة الرابعة ١٩٦٦ ، وقد حصل المؤلفات من هذا الكتاب على معلومات تتعلق بالفكر الاجتماعى عند القدماء المصريين ، وعند الرومان القدامى ، وفلاسفة المسيحيين ، وعصر النهضة . ومن المراجع العربية المترجمة التي تناولت نظرية علم الاجتماع كـتاب . نيقولا تيماشيف . نظرية علم الاجتماع —

طبيعتها وتطورها . ترجمة وتقديم د. محمود عوده ، د. محمد محمود الجوهرى، د. محمد على محمد، د. السيد محمد الحسينى. وراجعه وقدمه د. محمد عاطف غيث، دار المعارف بمصر ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٨ . واستفاد المؤلف من هذا الكتاب فيما يتعلق بمفهوم النظرية وخصائصها ، والفارق بين الفلسفة الاجتماعية والنظرية فى علم الاجتماع ، وكذلك نظرية هربرت سبنسر ، ولويس هنرى مورجان ، وفرديناند توينيز، وأدولف كيتيليه . ومن الكتب الأجنبية التى تناولت تاريخ علم الاجتماع كتاب:

Harry Elmer Barnes, (ed), Introduction to the Histery Of Sociology, chicago, the university of chicago prorss, fourth Empression, 1954.

واستقى المؤلف من هذا الكتاب معلومات تخص أفعال الإنسان كما أوردها أرسطو ، والتفكير الاجتماعى عنـــد الرومان القدامى ؛ والاتجاه التطورى التاريخى الذى يتمثل كما أورد الكتاب فى سان سيمون ، وسبنسر ، ولويس هنرى مورجان ، ومن المدرسة النفسية وليام جراهام سمنر .

ومن المراجع الأصلية التى استخدمها المؤلف/ ابن خلدون . مقدمة ابن خلدون ، الجزء الأول ، دار الشعب ، د.ت . وحصل من هذا المرجع آراء ابن خلدون فى علم التاريخ ، وعن الظاهرة الاقتصادية ، والعمليات الاجتماعية والفروق بين أهل البدو وأهل الحضر . ومن المراجع الأصلية الأجنبية المترجمة أفلاطون . جمهورية أفلاطون . نقلها إلى العربية نقلا عن الترجمات الإنجليزية الشيخ حنا خباز. ومنه حصل المؤلف على معلومات تخص كيف تلمذ أفلاطون على يد سقراط ومن المراجع الأجنبية الأصلية التى رجع إليها المؤلف كتاب:

Emrile Durkheim, suicide, A study in sociology, translated by john A. spaulding and Gecrge simpson, London, Routledge E Kegan Paul L.T.D, 1953.

ومنه حصل المؤلف على تعريف ، دوركايم للانتحار والظروف الاجتماعية التي يرجع الانتحار إليها ، كالأسرة ، والدين ، والتصنيع .

ومن الكتب السياسية التي لجأ إليها المؤلف كتاب د. إبراهيم درويش النظرية السياسية في العصر الذهبي . القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٧٣ . واستقى المؤلف من هذا المرجع معلومات عن أفلاطون ، ومن المراجع الأجنبية .

Croce Benedetto, Politics and Mlorals, George Allen & unvin L·T.D., 1946

ومنه حصل المؤلف من معلومات تتعلق بما كيافيللى .

وينقسم الكتاب إلى اثنى عشر فصلا ، تناول الفصل الأول تحديد مفهوم المصطلحات المستخدمة ، وهي الفلسفة الاجتماعية ، والظواهر الاجتماعية ، والاتجاهات النظرية وماهية علم الاجتماع . وتناول الفصل الثانى الفلسفة الاجتماعية القديمة في مصر القديمة ، والهند القديمة ، والصين القديمة ، ثم الفلسفة اليونانية القديمة ، ثم عند الرومان القدامى .

وفي الفصل الثالث أشار الكتاب إلى التفكير الاجتماعى عند فلاسفة المسيحيين (العصور الوسطى) ، والتي تتمثل في فلسفات القديس أوغسطين وسالسبرى والقديس توماس الإكوينى . وتناول الفصل الرابع التفكير الاجتماعى عند فلاسفة المسلمين كالفارابى وابن خلدون . وفي الفصل الخامس تناول الكتاب الفلسفة الاجتماعية في عصر النهضة متمثلة في نيقولا ماكيافيللى .

وتناول الفصـــل السادس النظريات التعاقدية التي ظهرت في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وتمثلت في فلسفات توماس هوبز ، وجون لوك ، وجان جاك روسو ، كما ظهرت نظرية فلسفة القانون لمونتسكيو .

وفي الفصل السابع أشار المؤلف إلى الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع في القرنين التاسع عشر والعشرين . وهي نظريات ترجع إلى الثورة الصناعية والانتقال من المجتمع المحلي إلى المجتمع الكبير ، ومن المجتمع الريفي إلى المجتمع الذي تقوم فيه العلاقات الطوعية في الحضر ، ومن المجتمع الذي تسوده السلطة القرابية التقليدية إلى المجتمـع الذي تتجلى فيه السلطة التشريعية العقلانية ، وحلول السلطة الدنيوية محل السلطة الدينية المقدسة . وكان لهذه التغيرات أثرها الواضح في ازدياد الاهتمام بفهم المجتمع والتغيرات الاجتماعية ، وظهرت نظريات سسيولوجية وسياسية جديدة كالاتجاه الوضعي ، وهو اتجاه يقوم على معطيات التجربة ، وتفسير الظاهرات الاجتماعية في ضوء مفاهيم ومصطلحات علوم الرياضة والميكانيكا والطبيعة والكيمياء . ويتمثل هـــذا الاتجاه في أوجست كونت وماكيفر وجورج لندبرج ووليام أوجبرن .

وتناول الفصل الثامن الاتجاه التطوري التاريخي ، وهو اتجاه يقوم على أن السير الرتيب للانسانية يقع في مراحل متعاقبة ينظمها قانون واحد يجمع في كلماته كل تاريخ الإنسانية ، ويتمثل هذا الاتجاه في فيكو وسان سيمون والكسيس دي توكوفي وتشارلس داروين وهربرت سبنسر وإدوارد تايلور ولويس هنري مورجان وشبنجلر وكارل مانهايم .

وفي الفصل التاسع تناول الكتاب الاتجاه التحليلي ، وهو اتجاه ينحى نحو تقسيم المشكلة موضوع الدراسة إلى مجموعة متغيرات أو عناصر أو قضايا

أكثر بساطة . فقد عرف زيمل علم الاجتماع بأنه علم يقوم بشرح وتصنيف وتحليل العلاقات الاجتماعية والتنشئة الاجتماعية والتنظيم الاجتماعى . وحلل باريتو الفعل الإنسانى إلى فعل منطقى وفعل غير منطقى . وحلل تونيز الإرادة الإنسانية إلى إرادة رئيسية وإرادة تحكمية . وحلل زنانيكى التفاعل الإنسانى والثقافة .

وتناول الفصل العاشر الاتجاه النفسى ، وهو اتجاه يرتبط بعلم النفس ، ويركز على الذات واتجاهات الفرد وعواطفه ودوره فى الفعل الاجتماعى . فقد ذكر فرويد أن الدوافع هى التى توجه سلوك الفرد ، وقسم الذات إلى الهو والأنا والأنا العليا . ودرست مارجريت ميد خصائص الجنس وأمزجة الناس وهما من سمات الشخصية . وتركزت النظرية السسيولوجية عند تارد حول المحاكاة . . وعرف جون ستيوارت مل السعادة . وتناول ممنر موضوع السلالة وأساليب السلوك ، والحاجات وهى التى تتضمن الجوع والحب والدافع الجنسى والغرور والخوف . أما جورج ميد فيرى أن علم النفس الاجتماعى يهتم بدراسة نشاط أو سلوك الفرد كما يقع فى العملية الاجتماعية . وقسم ماكس فيبر أنماط الفعل الاجتماعى إلى فعل عقلى عائى توجهه غايات محددة ، وفعل عقلى توجهه قيمة مطلقة ، وفعل عاطفى ، وفعل تقليدى . والمجتمع فى رأى كولى مركب عضوى نفسى ، واعتبر الذات اجتماعية ، وعرض ماكدوجال الغرائز ، واعتبرها المقومات الطبيعية للنفس الإنسانية . وتناول كيمبول يانج الشخصية . كما يتمثل الاتجاه النفسى فى نظرية جاكوب عن خضوع الأفراد للضغوط الاجتماعية . وذكر جون ديوى أن النظم الاجتماعية تخلق الدوافع .

وفي الفصل الحادى عشر تناول المؤلف الاتجاه الوظيفى ، وهو اتجاه يشير إلى ضرورة تكامل الأجزاء فى ذلك الكل المعقد ، أو التساند الضرورى بين الأجزاء . ويتمثل هذا الاتجاه فى نظريات إميل دوركايم ، ورواد كايف براون وإيفانز بريتشارد وتالكوت بارسونز وجيمس برنهام .

وجاء الفصل الثانى عشر والأخير بعنوان «اتجاهات نظرية أخرى» ، وينقسم هذا الفصل إلى ست مباحث . تناول المبحث الأول « الحتمية الاقتصادية » ويقصد به إبراز عامل الاقتصاد كدافع للتغير الاجتماعى دون اعتبار لباقى العوامل ، وأن المجتمـــع وما يتخلله من عناصر كالثقافة والفن والأسرة والسياسة . . . الخ . ما هو إلا انعكاس للظروف الاقتصادية . ويتمثل هذا الاتجاه فى كارل ماركس .

أما المبحث الثانى فهو بعنوان « النظرية السكانية » ، ومن روادها توماس مالتس . وتناول المبحث الثالث الاتجاه الإحصائى ، وهو اتجاه يعنى ترجمة البيانات الكيفية للحقائق الاجتماعية إلى بيانات كمية ، ومن أنصار هذا الاتجاه أدولف كيتيليه . وعنون المبحث الرابع بعنوان « اتجاه بحث الحالة » وهو يقوم على استخدام الباحث لعينة مكونة من عدد قليل من الأفراد تمثل المجتمع ، بدلا من استخدام منهج المسح . وقد استخدم فردريك لوبلاى هذا الاتجاه فى دراسته للاسرة فى فرنسا . وفى المبحث الخامس تناول الكتاب الاتجاه الإيكولوجى ، ويقصد به بالتغيرات التى تحـدث فى توزيع السكان والنظم ، إذ تتـــعدل وفق نشاطات الإنسان ، وما يبذله من جهود فى السيطرة على المناطق الصحراوية ، والمائية ، وأراضى الغابات . ومن

أنصار هـــذا الاتجاه روبرت بارك . أما المبحث السادس والأخير فهو بعنوان علم الاجتماع المعرفة ، ومن أبرز الذين اهتموا بهذا الاتجاه بتريم سوروكن .

واستنتج الباحث من هذه الدراسة أن هناك اختلافات وفروق بين الفلسفة الاجتماعية والنظرية فى علم الاجتماع

المؤلف

١٩٨٤ حسين عبد الحميد أحمد رشوان

الفصل الأول

تحديد مفهوم المصطلحات المستخدمة

الفلسفة الاجتماعية :

يتعين بادىء ذى بدأ أن ننوه إلى عدم الخلط بين الفلسفة الاجتماعية والنظرية فى علم الاجتماع . فموضوع الفلسفة الاجتماعية أقدم بكثير من علم الاجتماع ؛ إذ ما كادت الحياة الإنسانية تدب على الكرة الأرضية حتى أخذ الإنسان يفكر في أحوال المعيشة وفى علاقته بما يحيط به من فصائل حيوانية ونباتية وما يكتنف حياته من قوى الطبيعة . كذلك فان وجود تلك المجتمعات القديمة معناه وجود علاقات متبادلة بين الإفراد ، وهذه العلاقات لا تسير دائما فى طريق التفاهم والانسجام ؛ وإنما شوهتها أحيانا عوامل الاضطراب والنزاع . ومن هنا انبرى الحكماء والفلاسفة والمصلحون لعلاج هذه الاضطرابات والقضاء على النزاع ، وأخذوا يرسمون المثل العليا للسياسة الإجتماعية التي يعتقدون أنها تحقق العدالة الاجتماعية وتقرر الأمن والنظام في المجتمع .

ويسعى الفيلسوف إلى فهم الحقيقة فى كليتها ، فمن خلال ملاحظة مجموعة متنوعة من الوقائع يشرع فى إقامة بعض المبادىء العامة والنهائية التي يحاول بها تفسير الحقيقة ككل . وتتعامل الفلسفة الاجتماعية مع فروض hypotheses — أى تتناول مسلمات تخص طبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع ؛ مستهدفة بذلك تحقيق مجتمعات مثالية ، والكشف عما ينبغى أن يكون عليه المجتمع ، مع عدم الاهتمام بوصف الوقائع الاجتماعية ، ودراستها دراسة علمية تحليلية ، أو تحاول الكشف عن القوانين التي تخضع لها هذه الوقائع .

هذا النوع من التفكير هو ما نطلق عليه اسم « الفلسفة الاجتماعية social philosophies » وقد اتسمت تلك الفلسفة بالتفكير الذاتي subjective — أى الذى يعرض وجهة نظر الفيلسوف وآرائه الذاتية . وكانت ذات وجهة نظر غائية معيارية ، غائية أى أن الاعتبار الوحيد يتمثل فى الوصول إلى المثل الأعلى الذى ينبغي تحقيقه ، والبحث فقط عما ينبغى أن يكون عليه التنظيم الاجتماعي (الأفضل) . ومعيارية أى تهتم بوضع معايير — أى قواعد للعمل بمقتضاها فى الحيـاة الجمعية .

وقد نمت الفلسفة الاجتماعية نموا ملحوظا ، وتتمثل فى ظهور الفلسفات الدينية كالفلسفة الكونفوشية Confucianism» القديمة ، وهى فلسفة صينية تعد من الفلسفات الكبرى الذى صدرت فى الشرق القـديم . ثم نمت الفلسفة الاجتماعية فى اليونان القديمة وتبلورت فى العصور الوسطى ، حيث نعثر على مظاهر أولية وناضجة للفـكر الاجتماعى عند « ســانت أوغسطين » « St Augustine » ولعل فلسفة العبقرى العربى « عبد الرحمن بن خلدون » هى إحدى الفلسفات الكبرى ، وهى تعتبر بشيرا لطلائع الدراسـات العلمية المبكرة فى « علم العمران » الذى هو علم الاجتماع عند ابن خلدون . وازدهرت الفلسفة الاجتماعية فى العصور الحديثة ، حيث نجد كتابات جون لوك Lock و« توماس هوبز Hobbes» و« جان جاك روسو Rousseau » . وكانت تلك المرحلة هى التي سبقت مباشرة مولد علم الاجتماع .

ومع ذلك فمن المحال القول بانعدام الصلة بين الفيلسوف فى توقعاته الفكرية وبين الحياة فى خارجها ، ذلك أن مايراه الفيلسوف فى مجال الحياة الاجتماعية خيرا أو ما ينشده بوصفه فاضـلا لا يمكن أن يكون التجرد فيه مطلقا . إن مايراه الفيلسوف وإن تعالى فى تجرده لايستطيع أن ينسلخ عن زمانه فتخلو

حكمته من كل أثر له فيها ومن ثم فان أعمال الفيلسوف مهما بدت شخصية فانها أيضا مظاهر احتماعية .

الظواهر الاجتماعية :

انتهينا من شرح مفهوم الفلسفة الاجتماعية ، و نتناول الآن تعريف ماهو اجتماعى ، أو بمعنى آخر تعريف الظواهر الاجتماعية والتي هى موضوع دراسة علم الاجتماع ، إذ المجتمعات الإنسانية ليست غير مركبات من الظواهر الاجتماعية تقاليد وعادات و نظم .

وإذا أردنا أن نعرف الظواهر الاجتماعية تعريفا علميا دقيقا ، فيجدر بنا أولا أن نميزها عن غيرها من الظواهر الأخرى . فهناك نوعين من الظواهر فى العالم — ظواهر غير إنسانية Naturels وهى التي تختص بالعالم المادى ، وظواهر إنسانية Humains وهى تختص بالإنسان[١] .

أما الظواهر الطبيعية فهى تنقسم إلى ظواهر فيزيقية Physical وهى التي تتعلق بالعالم المادى من كثافة وحجم وثقل..الخ ، وظواهر كيمائية Chemical وهى تتعلق بالتفاعلات الموجودة بين العناصر إذا أضيفت بعضها إلى بعض تحت ظروف خاصة ، وظواهر كونية وهى تتعلق بحركات الاجرام السماوية والأرضية والشمس والقمر .. الخ

ومن البديهى أن هذه الظواهر بعيدة من الظواهر الاجتماعية ، فهى أولا : لا تتعلق بالإنسان ، ثم هى ثانية : عامة بالنسبة للعالم ولا تختلف من مجتمع إلى آخر .

أما المجموعة الثانية من الظواهر وهى الظواهر الانسانية ، فهى

(١) د . حسن شحاته سعفان . أسس علم الاجتماع ص ١٢-١٣

ليست جميعها اجتماعية . إن كل فرد في أي مجتمع يشرب وينـــام ويأكل ويفـــكر ، وللمجتمع كل الفـائدة في أن يؤدي كل فرد من أفراده هذه الوظائف التي تمارس بطريقة رتيبة . وإذا كانت هذه الوظائف جميعها اجتماعية ، فان علم الاجتماع لا يكون موضوعاً خاصـاً بذاته ، ولاختلطت موضوعاته ومجالات بحثه بعلم النفس وعلم البيولوجيا (١) .

ولتفسير ذلك نذكر أن الظواهر الإنسانية أي المتعلقة الإنسان ، تشمل ثلاث ظواهر : فسيولوجية Physiological ونفسيـــة واجتماعية . وتختص الظواهر الفسيولوجية بالعمليات والوظائف التي تشكل الأفراد من حيث الجسم واللون والأكل والشرب والهضم والتوالد والنمو ... الخ . وهي تدخل مجال علم الحياة . للتمييز بينها وبين الظواهر الاجتماعية نذكر أن الأولى هي عملية الأكل والشرب ، في حين أن الثانية هي طريقة الأكل والشرب وألوانه ، فالناس يختلفون في طريقة المأكل ، إذ يأكل بعضهم على خوان وآخرون يفترشون الأرض .

وفي هـذا الخصوص كتب « تارد M. Tard » يقول : إن ما يأتيه الإنسان من أفعال دون أن يكون ناقلا عن شخص آخر ، كالمشي والبكاء والأكل والزواج ، هي أفعال حيوية محضة ، أي تقتضيه حياة الفرد ، غير أنه إذا مشى بخطوة معينة ، أو أنشد أغنية ، أو غازل امرأة بطريقة العصر ، كل هذه الأشياء تعتبر أفعالا اجتماعية .

---

(1) Emile Durkheim, les Regles de la methode sociologique. p.8.

(٢) ر. م. ماكيفر . الجماعة — دراسة في علم الاجتماع . ص ٢١-٢٢

أما الظواهر النفسيــة فهى التي تختص بالإنسان من حيث هو فرد حى مفكر ، وهي تتعلق بعمليات التفكير والإدراك فى الفرد ، والضحك ، والبكاء ، والإحساس بالجوع ، والشعور بالألم ، وهى تدخل مجال علم النفس وهى كذلك ظواهر فردية لأن الأفراد يقومون بها منفصلين الواحد عن الآخر ، كما لا تختلف من مجتمع لآخر ، وليس مصدرها المجتمع .

ويظهر الفرق بين الظواهر الاجتماعية والظواهر الفردية ، فى أنه يحدث في الأولى حين يتظاهر الأفراد أو يجتمعون ، فانهم يقومون بأعمال همجية ، فاذا انفض الجمع وكفت العوامل الاجتماعية عن التأثير فينا . وخلى كل منا إلى نفسه . ذان العواطف التي مرت بشعورنا ، والأعمال الهمجية التي قمنا بها ونحن مجتمعين تبدو لنا غريبة ، بل قد نستنكرها ونستبعد أن يحصل ذلك منا .

إنه إذن الحماس الذى يوجده الاجتماع والنفسية التي تسيطر على الجماهير ، وهى التى تنتج من تفاعل أفكار وآراء الأفراد مجتمعين ، وهى التي تقودهم إلى تلك الأعمال بشكل لا شعورى .

فالظواهر أو التصورات الجمعية — إنما تترجم لنا الطريقه التي يفكر بها الكل الاجتماعى ، ومن ثم يتمايز الوعى الجمعى عن الوعى الفردى إزاء الموقف الموضوعي من العالم . والظواهر الاجتماعية هى تلك التي يشعر الفرد بموجبها أن كيانه متوقف على معيشته مع غيره فى مجتمع معين ، فسلوكه وتصرفاته مبنية على القواعد والنظم التي اقتضاها المجتمع نفسه ، ففى كل مجتمع يوجد طائفة معينة من الظواهر تتميز جوهرياً عن الظواهر التي تدرسها علوم الطبيعة كما تتميز عن الظواهر التي يدرسها علم النفس ، فحين أؤدى واجباتى نحو أخى

أو واجبى كزوج أو مواطن ، أو حين انجز العهود والمواثيق التى أبرمتها مع غيرى ، فاننى أقوم بواجبات خارجة عن إرادتى ، واجبات حددها العرف والقانون على الرغم من أنها قد تتعارض مع عواطفى ورغباتى الشخصية . وعلى الرغم من أننى أشعر بحقيقتها داخلياً ، إلا أنها تظل خارجة عنى ، لأننى لم أصطنعها ، ولكن تلقيتها عن طريق التربية والتنشئة الاجتماعية فكم من مرة ، وحين نجهل تفاصيل واجباتنا التى يجب أن نلتزم بأدائها ، ومن أجل أن نقف على حقيقتها ، نلجأ إلى استشارة رجال القانون ومفسريه . كذلك الأمر فيما يخص العقائد ، وممارسة الطقوس الدينية ، وهى موجودة فى المجتمع قبل ميلاد الفرد ، وهذا يعنى أنها خارجة عنه ، وأنه ليس السبب فى وجودها . وينطبق نفس الحال على الالفاظ التى نستخدمها للتعبير عن الأفكار ، والأموال المستعملة فى قضاء الديون ، والوسائل الاقتصادية التى تستعمل فى العلاقات التجارية ، وممارسات العرف فى المهنة — جميع هـــذه الأمور تستقل عن طريقة استخدام الفرد لها . وإذا ما استعرضنا تلك الأمور وجدنا أنها تتكرر بواسطة كل فرد من أفراد المجتمع[1] .

إذن نحن فيما يتعلق بالظواهر الاجتماعية نجد أنفسنا أمام مجموعة من الظواهر لها صفات خاصـــة وسمات معينة ، وهى من جنس قائم بذاته ، ولا تتجلى فيها الملامح الجزئية لخصائص الأفراد ، حيث يفقد الأفراد كل ما يميزهم كأفراد ، وتنشأ تلك الروح الجديدة التى تميز هذا الكل الجمعى .

إننا إذن أمام ضرب من السلوك والشعور تمتاز بخاصية ، هى أنها توجد خارج شعور الأفراد ، وأنها تمثل قوة آمرة قاهرة تسيطر على الفرد سواء

(1) Emile Durkheim, op. cit. p.4.

أراد أم لم يرد . حقيقة قد لا يشعر الفرد بهذا القهر بسبب تعوده على أداء تلك الظاهرة الاجتماعية ، ولكن هذا لا يحول دون اعتبار القهر خاصية تتميز بها الظواهر الاجتماعية . ويؤكد القهر وجوده إذا ماحاول فرد خرق الظاهرة الاجتماعية ، فان أساليب القواعد القانونية تتصدى لمقاومته بشتى الصور .

ويعرف إميل دوركايم[١] الظواهر الاجتماعية بأنها عبارة عن نماذج من العمل والتفكير والإحساس تسود العمل مجتمعاً من المجتمعات ، ويجد الأفراد أنفسهم مجبرين على اتباعها فى عملهم وتفكيرهم ، بل وتفرض على إحساسهم .

وفى مجال آخر يعرف دوركايم[٢] الظواهر الاجتماعية بأنها : هى كل ضرب من السلوك ، ثابتاً كان أو غير ثابت ، يمكن أن يباشر نوعاً من القهر الخارجى على الأفراد ، أو هى سلوك يعم فى المجتمع بأسره ، وكان ذا وجود خاص مستقل عن الصور التى تتشكل بها فى الحالات الفردية . وهى تنشأ نتيجة لتفاعل أفكار الأفراد وتشابك آرائهم ، وهذا التفاعل يؤدى إلى وجود عقل جديد يختلف عن عقول الأفراد هو العقل الجمعى Group mind الذى هو مصدر التيارات الاجتماعية والعواطف وأنواع الشعور الاجتماعية ، ثم الظواهر الاجتماعية .

ويدلل إميل دوركايم[٣] على صحة تعريفه للظاهرة الاجتماعية ، فيقول أنه يكفى أن نقوم بملاحظة الطريقة التى تتبع فى تربية الصغار ، لنرى لأول وهلة أن جميع أنواع التربية تنحصر فى ذلك المجهود المتواصل الذى نرمى به

---

(١) د. حسن شحاته سعفان . المرجع السابق ص ٤٢ .

(٢) إميل دوركايم قواعد المنهج فى علم الاجتماع . ترجمة د. محمود قاسم ص ٤٦ — ٤٧ .

(٣) نفس المرجع ص ٣٦ .

إلى أخـــذ الطفل بألوان من الفكر والعاطفة والسلوك التي ما كان يستطيع الوصول إليها لو ترك هو وشأنه ، وبيان ذلك أننا نضطره منذ حداثته إلى الأكل والشرب والنوم فى ساعات معينة ، ونوجب عليه النظافة والهدوء والطاعة ثم نجبره على التعليم ، وعلى مراعاة حقوق الآخرين ، وعلى احترام العادات والتقاليد ، كذلك نوجب عليه العمل وغير ذلك من الأمور ، وإذا لم يشعر الطفل بهذا القهر كلما تقدم به العمر فان السبب فى ذلك يرجع إلى أن القهر يخلق لديه شيئاً فشيئاً بعض العادات والميول الداخلية ، التي تجعل القهر عديم الفائدة ، ومع ذلك فان هذه العادات لا تحل محل القهر إلا لأنها تصدر عنه .

ويضيف إميل دوركايم[1] أن أية ظاهرة اجتماعية لا يمكن إلا أن تكون اجتماعية ، بمعنى أنها تنحصر فى بعض النتائج المفيدة اجتماعيا .

ومن الملاحظ أن « دوركايم » قد أهمل فى هذا التعريف ذكر الظواهر المادية « المورفولوجية » مثل قيام المدن ، ونشأتها ، واختيار مواقعها ، وتخطيط القرى ، وتوزيع السكان عليها ، والتخلخل ، والكثافة السكانية ، والهجرة ، إلا أنه ذكر أن هذه الظواهر هى من جنس الظواهر الاجتماعية أى أنها تجرى وفقـا لقوانين وأساليب خاصة ، هـــذه الأساليب والأوضاع تسمى كذلك بالظواهر الاجتماعية ، ومن ثم فان تعريفه ينطبق على المعرف .

---

(١) د. أحمد أبو زيد . البناء الاجتماعى — مدخل لدراسة المجتمع الجزء الأول — المفهومات ص ٧ .

أما رينيه مونييه(١) فقد عرف الظواهر الاجتماعية بأنها المظهر المتحد فى الأفكار وفى طريقة الحياة الذى ينشأ عن الناس مجتمعين . ويمكن استعمال كلمة أكثر دقة فنقول أن الظواهر الاجتماعية هى التوافق La Conformité الذى يظهر فى السلوك والتصرفات بين طوائف الناس المختلفة ، أو هي الاصطلاحات المشتركة التي تتكرر وتتضاعف والتي تعبر عن السلطة المفروضة أو المقبولة عن طيب خاطر . والمجتمع هو الوسط المختار الذى تنشأ فيه الظواهر الاجتماعية .

ويظهر التوافق فى خضوع الظواهر الاجتماعية لعامل الاتفاق فى الزمان ولعامل الاتفاق فى المكان . ويظهر التوافق فى الزمان فى صورة وحدة التقاليد فالأجيال السابقة تورث الأجيال اللاحقة عاداتها وطرق تفكيرها .

أما التوافق فى المكان ، فيظهر لنا فى وحدة اللهجات واختيار الملبس ، والذوق فى تأسيس المسكن ، والتعلق بأفكار وآراء متسلطة ، كل هذا يتحدد فى دوائر سكنية أو مساحات معينة من الأرض .

والتوافق فى الزمان غير مطلق ، فهو دائما فى مد وجذر . كذلك التوافق فى المكان ، فقد لا يتعدى الاصطلاحات الجمعيـــة نطاق القرية ، وقد تعم الاصطلاحات إقليما بأكمله ، كما أن هناك اصطلاحات يتفق عليها جميع سكان الأمة .

---

(١) رينيه مونييه . المدخل فى علم الاجتماع ص ٣٦ — ٣٧ .

الاتجـــاهات النظرية

يستخدم مصطلح « النظرية » استخـــداما شائعا للتعبير عن الأفكار التصورية ، والإشارة إلى كل ما هو تأملي ومجرد . وليس من شك في أن النظرية تستعين بالتصور والتجريد ، فالمفاهيم التي تتضمنها القضايا النظرية هي رموز تشير إلى أشياء أو ظواهر تتحقق في العالم الخارجي ، وبدون المفاهيم يتعذر قيام المعرفة ، إذ تستحيل هذه المعرفة إلى مجرد إحساسات غامضة خالية من المعنى . غير أن هذا المعنى الشائع للنظرية قد دفع البعض إلى إدراك النظرية إدراكا خاطئا باعتبارها تأملات غير يقينية إلى أن يثبت صحتها .

والنظرى لا يشغله ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع السياسى كما فعل الفلاسفة الاجتماعيون ، وإنما ينظر لموضوع الدراســـة والبحث في واقعه للكشف عن جوهره مستخدما في ذلك مناهج العلوم — بمعنى أنه يدرس ما هو كائن بالفعل ، أو قائم الآن Here and now على حد تعبير الفلاسفة . ويسعى النظرى للكشف عن العلاقات بين الظواهر التي يقوم بدراستها فى محاولة لتبين العلاقة السببية (ارتباط الأسباب بمسبباتها) بين ظواهره ، وتلك هي ما نسميها بالقوانين .

وفى ضوء هذا ، فالنظرية في مجال العلوم ، تعنى نسق من القضـــايا والقوانين والتعميمات التي تم تحقيقها والتي تحكم الظواهر موضوع الدراسة . وتعد هذه القضايا مطلبا ضروريا لأى علم ، وهي تبدأ بالملاحظة والتي هي أساس كل علم إمبيريقى ، ويتم التعبير عن ملاحظة فردية بقضية واحدة مؤداها أن هذه الظاهرة المحددة قد حدثت في زمان ومكان معين . وبمقارنة هذه

الملاحظات الفردية نصل إلى أوجه التشابه والاختلاف ، ثم نصنف بمعنى وضعها فى أنماط أو طوائف يضم كل منها عدداً من الملاحظات المتشابهة ، مستخدمين فى ذلك المعالجات الإحصائية ، أو للسياق النشوئى الذى يوضح النمو التدريجى لعمليات معينة ، أو المقارنة لكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بينها . ويوضع التعميم الذى يشتق من أساليب التنظيم وأشكاله فى شكل قوانين طبيعية .

ويربط القانون أو القضية بين متغيرين أو أكثر بحيث إذا حدث تغير فى إحداها حدث تغير فى المتغير أو المتغيرات الأخرى . وتسمى المتغيرات السببية (المدخلات)بالمتغيرات المستقلة Independent ، وهى تلك المتغيرات التي يحدد العالم تأثيرها على المتغيرات الأخرى التابعة . أما المتغيرات الناتجة (المخرجات) فهى متغيرات تابعة dependent تتغير تحت تأثير المتغير المستقل .

وهكذا فالحوادث التي كانت فيما مضى قد عرضت لنا في الخبرة منفصلا ومستقلا بعضها عن بعض ، تصبح نتيجة للبحث العلمى ـ مكونات متكاملة لحادثة متصلة واحدة بعينها هى بمثابة النتيجة النهائية . وهكذا ، فالقانون ـ كما يقول مونتسكيو(١) هو الذى يعبر عن العلاقات التي تنجم بين طبائع الأشياء . فعلم الفلك هو مجموعة من القوانين ، كل قانون منها يختصر وصفاً لحركات االأجرام السماوية كما شوهدت فى جزيئاتها وتفصيلاتها . وعلم النبات مجموعة من القوانين ، كل قانون منها عبارة عن تعميم لخصائص وجدت فيما لوحظ من أنواع النبات المختلفة . وفى ضوء هذا ، فلو عرفت آلاف الحقائق الجزئية عن

(1) Pitrim sorokin, the sociology of science, p. 392.

الطبيعة دون أن تجد الروابط التي تسلكها في مجموعات من القوانين ، فلست بالعالم على الرغم من معرفتك لتلك الحقائق الجزئية كلها . فالقروى الذى يرى كسوف الشمس لا يكون برؤيته عالما فلكيا ؛ لأنه يدرك هذه الحقيقة الجزئية المنعزلة عن سائر الحقائق الفلكية المرتبطة بها ، كوضع القمر بالنسبة للارض والشمس وما يستلزمه ذلك بناء على قوانين الضوء وهكذا . كذلك قد يشهد القروى سقوط المطر عشرات المرات دون أن تجعل منه هذه المشاهدات عالما جغرافيا ، لأنه في هذه الحالة أيضا لا يربط بين قطرات الماء الهابطة من السماء ، وبين حقائق أخرى سواها كحرارة الشمس وبخر الماء واتجاه الرياح وتشبع الهواء بالرطوبة وهكذا .

وينبغي أن يتوفر في النظرية الشروط الآتية :-

١- أنه لا تعارض بين النظرية والحقيقة :

٢- أن النظرية لا تستهدف إقامة مجتمع مثالى أو خيالى .

٣- يهتم العلماء اهتماما بالغا بكل من النظرية والحقيقة ، فالحقيقة هي ملاحظة إمبيريقية محققة ، أما النظرية فهى العلاقة بين هذه الحقائق .

٤- ينبغى أن تكون المفهومات التي تعبر عن القضايا محددة بدقة .

٥- يجب أن تنسق القضايا الواحدة بعد الأخرى .

٦- أن توضع في شكل يجعل من الممكن اشتقاق التعميمات القائمة اشتقاقا استنباطيا .

٧- أن تكون هذه القضايا خصبة ومثمرة ، تستكشف الطريق لملاحظات أبعد مدى ، وتعميمات تنمى مجال المعرفة(١) .

(١) نيقولا تيماشيف . نظرية علم الاجتماع ص ١٥

وتتضمن فكرة القانون « مبدأ الحتمية فى الظواهر » بمعنى أن مقدمات معينة تؤدى بالضرورة إلى نتائج معينة لازمة . ويتمثل ذلك فى العلوم الفيزيقية والرياضية التى تحتوى على كثير من القوانين التى تبين علاقات السببية بين متغيرين أو أكثر مثل قانون الجاذبية وقانون أرشميدس ، وقانون بويل فى الفيزيقيات ، وقوانين الريح ، وقوانين تساوى المثلثات ، وضرب عدد فى عدد فى الرياضيات .

وتوصف القضية بأنها عبارة يمكن وصفها بالصدق أو الكذب ، وما دامت هى كذلك فلا بد أن تكون هناك طريقة ممكنة للتحقق من ذلك الصدق أو الكذب ، فقولى أن « السكر يذوب فى الماء العذب » يقبله العقل منطقيا ، لأنه عبارة يمكن للانسان فى حدود خبرته أن يلجأ إلى قطعة من السكر ، وإناء به ماء عذب ، ليرى هل يذوب السكر فى الماء أو لا يذوب ، وبذلك يصبح فى مقدوره أن يحكم على العبارة بأنها صادقة أو كاذبة حسب ما رآه فى تجربته ، وكذلك يقبل العقل منطقيا عبارة مثل هذه يسيل الماء من أسفل الجبل إلى أعلاه لأن خبرة الإنسان فيها ما يتصور به كيف يكون سيلان الماء وما أسفل الجبل وما أعلاه ، وبهذه الطريقة يستطيع أن يلجأ إلى الطبيعة ليرى هل صدقت العبارة فيما زعمت أو لم تصدق ، فان صدقت كانت قضية صادقة ، وإلا فهى لا تزال قضية وإن كانت كاذبة .

ولكن افترض أن متكلما زعم لك «أن العدالة وزنها ثلاثة أمتار » أو أن زوايا الإنسان تساوى قائمتين ، فلا شك أنك سترفض قبول هاتين العبارتين ؛ إذ هما عندك ليسا بالكلام المفهوم ، أى أنهما بلغة المنطق ليسا قضيتين ، لماذا ؟ لأنه ليس من خبرتك أن تعرف أن العدالة مما يوزن ، وليس ما يوزن

مقياس وزنه بالأمتار ، ولذلك استحال التصور ، وبالتالي استحال التحقق من الصدق أو الكذب ، وكذلك قل في العبارة الثانية[١] .

وتتسم النظرية والقضية بالتعميم ، فهي لا تشير إلى واقعة في حد ذاتها ، وإنما تنبنى على كثير من الوقائع . فلو تناول عالم من علماء الاقتصاد ظاهرة ارتفاع أسعار الذهب في سنة كذا — مثلا — وحللها ووصفها دون أن يستخرج منها أحكاما تصلح لأن تطبق على كل ظاهرة في ارتفاع أسعار الذهب إذا تشابهت الظروف لكان هذا العالم يكتب في التاريخ وليس في علم الاقتصاد وإذا قلنا — مثلا — أن ارتفاع أسعار الذهب في العالم نتيجة الحد من إنتاج البترول لا تكون هذه قضية علمية إلا إذا صدقت في كل حالة يحد فيها من إنتاج البترول فيرتفع سعر الذهب ما دامت بقية الظروف ثابتة على حالها .

وتمكن النظريات والقضايا من التنبؤ بنتيجة محددة في المستقبل ، فالفلكي يسعى أن يتنبأ تنبؤاً دقيقا بمواضع الكواكب في نسق الشمس في السنوات القادمة ، وعالم الفيزيقا يحاول الوصول إلى قوانين تنبىء بالعلاقة بين المسافة والزمان عند سقوط الأجسام في فراغ . ويؤكد ذلك الأستاذ « براثويت R. P. Braithwaite »[٢] في مؤلفه التفسير العلمي : أن وظيفة العلم هي إقامة القوانين العامة التي تحكم الأحداث الواقعية أو المسائل التي يبحثها ، ومن ثم تساعدنا على الربط بين ما توصلنا إلى معرفته من أحداث ، كما تمكننا من التوصل إلى تنبؤات ثابتة تتعلق بتلك الأحداث التي لا تزال غير معروفة .

---

(١) د. زكي نجيب محمود . المنطق الوضعي ص ١٦ .

(٢) د. محمد علي محمد . علم الاجتماع والمنهج العلمي — دراسة في طرائق البحث وأساليبه ص ١٠١ .

وتتسم النظرية والقوانين العلمية بثبات الصدق ، بمعنى أنها تكون صالحة لأن تكون تحت اختبـــار السمع والبصر وغيرها لتتحقق من صدقها . فاذا افترضنا ــ مثلا ــ أنك أشعلت موقداً فى دارك فى القاهرة ، فما هى إلا سمعت فى المذياع أن ثورة شبت فى البرازيل ، فمن القول الصحيح عندئذ أن تقول « جاءت أنباء ثورة البرازيل بعد اشتعال موقدى مباشرة » . هذا قول صادق ولكنه ليس قانونا من قوانين العلم ، لأنه وان يكن صادقا على الحالة الراهنة فليس هو الثابت الصدق دائماً ، بحيث يجوز لك أن تقول : كلما أشعلت موقدى شبت ثورة فى البرازيل، ومن هنا لا بد للقانون أن يظل ثابت الصدق حتى يكون أساساً للتنبؤ العلمى .

إلا أنه ما من نظرية تستطيع أن تقرر الحقيقة المطلقة الموضوعية ، فهى ليست صادقة صدقا مطلقاً ، كما أن تنبؤنا بالمستقبل ليس مطلقاً ، ويمكن أن يثبت كذبها فى المدى الطويل أو القصير ، وجميعها قابل للنقد ، وكل منها على حدة ذات أساس ضيق وتعبير جزئى . ومن ثم فهى فى تطور مستمر .

ويرجع هذا إلى أن ادوات القياس تحد من التنبؤ ، فاذا ما انتقل الباحث من ميكروسكوب إلى ميكروسكوب آخر ، فان قدرته على التنبؤ قد تنخفض أو ترتفع . كذلك فان الباحث العلمى على استعداد دائماً للتخلى عن النظريات السابقة إذا استجدت وقائع على خلاف ما تفترضه القضايا والتعميمات التى تؤلف بناء النظرية . وهكذا تحاول كل نظرية لاحقة أن تكون أكثر عمومية من النظرية السابقة ، بمعنى اتجاهها الحثيث نحو تفسير ما لم تستطع النظرية السابقة تفسيره بسبب عدم تمكن قوانينها أو قصورها عن ذلك . ومن هنا فاننا نحكم على النظرية فى ضوء المنهج المقارن ، وغاية ما هنالك أن أحسنها هى تلك التى تكون قابلة للنقد بدرجة أقل من منافسها .

وفى علم الاجتماع أثارت فكرة قيام وإمكان التوصل إلى « القوانين الاجتماعية » الكثير من المشاكل بين الاجتماعيين أنفسهم ، واتهم الكثير من رجال علم الاجتماع بأنهم فى مأى عن العالم الحقيقى الواقعى ، وأن نظرياتهم تبدو فى غالبية الأحيان بعيدة عن الواقع . ومن ثم إنقسم علماء الاجتماع فيما بينهم بين مؤيدين ومعترضين ، فمنهم من يؤكد إمكان التوصل إلى « القوانين » فى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية كما هو الحال عند « رادكليف براون Rad cliffe Brown » ، ومنهم من اعترض على قيامها وعلى رأسهم «إيفانز بريتشارد» ، فلقد نظر إيفانز بريتشارد إلى الانساق الاجتماعية على أنها أنساق خلقية أو معنوية ، وليست أنساقا طبيعية يمكن مقارنتها بالأنساق الفلكية أو الفسيولوجية . وبذلك لا يمكن للانثروبولوجيا أن تتوصل إلا إلى التعميمات الفضفاضة لا إلى القوانين المضبوطة التى يصوغها علماء الطبيعة والفلك فى صيغ رياضية كمية ، وعلى هذا الأساس يرى « إيفانز بريتشارد » أن أية محاولة للقول بامكان قيام القوانين السسيولوجية إنما يؤدى إلى الوضعية النظرية فى أسوأ صورها .

وهكذا فالفارق بين الفلسفة الاجتماعية وعلم الاجتماع واضح على المستوى النظرى . ومع ذلك فان الحدود بينهما مختلطة على مستوى الممارسة ، وبخاصة مستوى النظريات ، ذلك أنه ظهر خلال نمو علم الاجتماع خلط شديد بينه وبين الفلسفة الاجتماعية ، فلقد جاوز كثير من علماء الاجتماع الحدود التى تفصل بين نطاق الفلسفة الاجتماعية ونطاق علم الاجتماع ، وأدخلوا فيه أفكاراً وتصورات من النوع الذى يثير الشك والتساؤل ، تنتمى إلى الفلسفة الاجتماعية(١) .

(١) نيقولا تيماسثيف : المرجع السابق ص ٣٠ – ٣١ .

ماهيـــة عـلم الاجتماع :

كل علم من العلوم له مجاله الخاص الذى يدرسه ، فمجال علم الطبيعة دراسة الظواهر الطبيعية كالحرارة والضوء والكهرباء ... الخ ، ومجال علم الكيمياء التفاعلات ومعرفة عناصر المواد ... الخ ، وعـــلم الفلك مجاله الكواكب والنجوم ... الخ ، وعلم النفس مجاله السلوك الفردى للانسان ... الخ .

فما هو إذن مجال علم الاجتماع ؟ وكيف نعرفه ؟

لاقت كلمة « علم الاجتماع » الكثير من أنواع الخلط ، فقد اعتبره البعض فن الخدمة الاجتماعية ، وعلاج مشكلات كمشكلة السكان والفقر والجريمة . ويميل الآخذون بوجهة النظر هذه إلى اعتبار أن المظهر التطبيقى لعلم أو فن الخدمة الاجتماعية يجعل علم الاجتماع دون مستوى العلم ، وأدنى من العلوم الأخرى .

والواقع غير ذلك — إن الهدف الرئيسى من علم الاجتماع هو الحصول على المعلومات والوقائع الاجتماعية ودراستها دراسة تحليلية وضعية علمية صحيحة بقصد اكتشاف القواعد والقوانين التى يمكن الاعتماد عليها فى الكشف عن الظواهر الاجتماعية والتنبؤ بما سيحدث فى المستقبل . أما الخدمة الاجتماعية فهى علم أو فن تطبيقى يهدف إلى مساعدة الناس على مشاكلهم وتطبيق الوسائل العلاجية لإصلاح عيوب المجتمع ، والأخصائى الاجتماعى يمكنه استغلال معلومات وقوانين ونظريات علم الاجتماع من الناحية العلمية فى رسم خططه لتنسيق المجتمع .

(١) نيقولا تيماشيف : المرجع السابق ص ٣٠ — ٣١ .

ويدلنا تاريخ الدراسة العلمية ـ كيف أثرت البحوث الاجتماعية فى جذب أنظار الرأى العـام والأخصائيين الاجتماعيين نحو موضوعات ومشـكلات اجتماعية كالجريمة والانتحار والأسرة ... الخ ، ومن أمثلة ذلك دراسة «لوبلاى» لميزانية أسر العمال فى فرنسا من حيث الدخل والمنصرف ، ودراسة «بوث» فى انجلترا لمستوى الفاقة وما أطلق عليه خط الفقر ، ودراسة «هوارد» فى انجلترا عن السجن والمسجونين ، والدراسة التى قام بها «رايس» فى نيويورك عن مستوى المعيشة المتحط لدى آلاف السكان فى تلك المدينة . وكان لهذه الأبحاث والدراسات أثرها الواضح فى جذب أنظار المصلحين الاجتماعيين وتنمية الوعى إزاء مسائل ومشـكلات اجتماعية ، كان يمكن أن تظل كما هى وبدون علاج .

ومن هنا فان علم الاجتماع يختلف فى تعريفه عن علم الخدمة الاجتماعية ، وإن كان بينهما ارتباط وثيق .

ويميل الغربيون إلى القول بأن علم الاجتماع ـ فى نظر علماء العـــالم الاشتراكي أو الشيوعى ـ وسيلة لتحقيق الاشتراكية أو الشيوعية أو تنفيذ سياسة إقتصادية ترمي إلى تحقيق العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص . ومبنى هذا نظرة علماء المجتمعات الاشتراكية والشيوعية إلى علـم الاجتماع على أنه وسيلة لإيقاف تيار البورجوازية[1] .

ويرد على ذلك بأن الاشتراكية أو الشيوعية أو الإيديولوجية البورجوازية هى عقائد ومذاهب اقتصادية ـ حقيقية أنها ذات فائدة وارتباط بعلم الاجتماع

---

(1) Peter worseley, Introduction to sociology, p. 91

لأن العقائد الاقتصادية إنما هى مظهر ثقافى فى المجتمع ، ولكنها تختلف عن علم الاجتماع من حيث الهدف والمنهج . إن العقيدة الاقتصادية هى مذهب وبرنامج للتقويم أو الإصلاح الاقتصادى ، بينما علم الاجتماع هو محاولة لفهم السلوك الإنسانى .

ويعتبر البعض علم الاجتماع رسم وتخيل لمجتمع مثالى ، أو يلصقون بكلمة اجتماعى كل ما نقول ونكتب عن السياسة والأخلاق ، أو يخلطون فى ثنايا كلمة « اجتماع » بين « العلم » و « الفن » ، أو قد يلقبون العالم الاجتماعى بأنه كل مثالى أو مصلح دينى . والحقيقة أن مجال وتعريف علم الاجتماع يختلف عما سبق ذكره .

أما علماء الاجتماع فقد تعددت تعريفاتهم « لعلم الاجتماع » طبقا لوجهة نظر واتجاه ومذهب كل منهم . وقد مالوا جميعا إلى التعريف المختصر ، وهو أن علم الاجتماع « علم المجتمع » باعتبار أنه العلم الذى يختص بكل ما هو إنسانى اجتماعى ، أو بكل ما يتعلق بالإنسان من الناحية الاجتماعية ، وكل ما يتعلق بالمجتمع من الناحية الإنسانية ، ذلك أن المجتمع عبارة عن سلوك أى جماعة مكونة من أعضاء يحيون حياة متساندة ووسيلتهم فى ذلك التفاعل والعلاقات المتبادلة . ويعتبر « جورج لندبرج »[1] من أبرز من أخذ بهذا التعريف .

وعرف « أوجبرن Ogburn و « نيمكوف Nimkoff » علم الاجتماع بأنه « الدراسة العلمية للحياة الاجتماعية ، ويقولان أن الحياة الاجتماعية تقوم

(١) د. محمد عاطف غيث . علم الاجتماع النظرية والمنهج والموضوع ص ١٣٣ وما بعدها .

على التفاعل ، والتفاعل يؤدى إلى التنظيم الاجتماعى الذى يؤدى بدوره إلى خلق أشياء كثيرة كالمبانى والموسيقى والأخلاق والآلات – أى خلق الثقافة وعلى هذا فان الجماعات والمجتمعات تكون موضوعا لعلم الاجتماع . وعلم الاجتماع فى نظرهما هو العلم الذى ينبغى أن يعالج الخصائص المشتركة بين الجماعات والمجتمعات المختلفة . وواضح أن أوجبرن ونيمكوف يتفقان مع لندبرج فى أهمية الجماعة والتفاعل ، ولكنهما يضيفان التنظيم الاجتماعى ، كما أنهما يتفقان معه أيضا فى اعتبار الثقافة (نتيجة التفاعل المنتظم) ، جزءاً لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية .

ويرى روبرت ماكيفر R. Maciver أن علم الاجتماع يعنى العلاقات الاجتماعية . ونحن نطاق على هذه الشبكة من العلاقات الاجتماعية الكلمة الاصطلاحية ، المجتمع . فمثلا تدرس الأنثروبولوجيا الثقافية الإنسان ، (وعلى الأخص الإنسان البدائى) متناولة مجمل نشاطه وإنتاجه من فنون ووسائل مادية وأساطير وخرافات . ويدرس علم الاقتصاد الإنسان كساع وراء جمع الثروة أو متصرف فيها بالإنفاق . ويدرس علم النفس الإنسان من حيث كونه فرداً ذا سلوك . أما علم الاجتماع فانه يدرس العلاقات الاجتماعية ذاتها أو المجتمع نفسه .

وقد اهتم « ماكيفر » أساسا بالعمليات التحليلية الاجتماعية ، وخاصة فى تعامله مع كثير من المصطلحات التي عرفت حديثا فى علم الاجتماع – كالمجتمع Society والمجتمع المحلى Community . والنظم Institutions ، والاتجاهات Attitudes والطبقة الاجتماعية Class ، والجمهرة Mass هادفا بذلك عدم الخلط بينها .

أما « سوروكن » فيرى أن علم الاجتماع هو « دراسة الخصائص العامة المشتركة بين كل أنواع الظواهر الاجتماعية» . وفى رأيه أن علم الاجتماع هو علم عام وعلم خاص فى نفس الوقت . فهو عام لأنه يدرس الخصائص العامة المشتركة بين الظواهر الاجتماعية والثقافية — أى العالم الثقافى الاجتماعى ككل وهو خاص لأن دراسة هذه الخصائص تقتضى تخصصا لا يقل عن تخصص علم الطبيعة أو علم الاقتصاد ، فهو يدرس هـــذه الخصائص فى اتجاه بعينه كالاتجاه الاقتصادى أو السياسى أو النفسى أو الإجرامى أو القانونى أو الأخلاقى أو الدينى أو العالى أو الحضرى أو القروى . . . الخ . وفى ضوء هذا فان علم اجتماع عند سوروكن ينقسم إلى علوم اجتماعية خاصة يتناول كل منها نوعا معينا من الظواهر .

وقد اهتم سوروكن بالثقافة حتى أنه عرف علم الاجتماع مرة أخرى بأنه (العلم الذى يدرس الثقافة الاجتماعية) . وقد دعاه هذا إلى أن يقول أن الحقيقة الاجتماعية ذات أبعاد ثلاث متداخلة هى الشخصية Personality والثقافة Culture والمجتمع Society.

وأبرز جونسون أهمية التفاعل الاجتماعى — ويتناول علم الاجتماع عنده دراسة الجماعة من حيث صور أو نماذج تنظيمها الداخلى والعمليات التى تميل إلى استمرار أو تغيير هذه الصورة التنظيمية للعلاقات الاجتماعية . والعلاقات تختلف عن التفاعلات المؤقتة مثل تبادل التحيات ، وكل الجماعات عبارة عن علاقات اجتماعية ، ولكن ليس كل العلاقات الاجتماعية جماعات . ونظراً لأن الثقافة تهيىء وتعدل وتغير عدداً كبيراً من مطالب وأنشطة الإنسان ، فان جونسون يهتم بدراستها خاصة لما لها من تأثيرات جوهرية فى عمليات هامة

كالتنشئة الاجتماعية ، ويتضح من ذلك أن جونسون يعرف علم الاجتماع في ضوء الفعل الاجتماعي الهادف الذي يتحرك لبلوغ غايته داخل الجماعة .

وجملة القول — فان اصطلاح « علم الاجتماع » مشتق من كلمتين ليسا كالعادة من أصل يوناني كما هو الحال في كلمة « علم الحياة Biology » أو كلمة علم النفس Psychology ، وإنما اشتق من كلمة لاتينيه Socius ، وتعني رفيق أو رابطة أو مجتمع ، وأخرى يونانية Logcs ، وتعني علم أو منطق أو دراسة على مستوى عالى ، ومن هنا فان كلمة علم الاجتماع تعني علم المجتمع أو علم دراسة المجتمعات الإنسانية — أي بحث مضمون تلك العبارة الأرسطية القائلة بأنَ الإنسان حيوان سياسي .

فعلم الاجتماع يدرس التأثيرات والعلاقات الإنسانية المتبادلة ، والناتجة عن كون الإنسان كائن اجتماعي — أي يعيش في جماعة ، ولا يستطيع أن ينعزل عن أقرانه أو يعيش منفرداً ، فهو يقضي معظم أوقاته مرتبطا بهم وعلى علاقة معهم ، ولا تضفي عليه إنسانيته إلا بفضل مشاركته في المجتمع ومساهمته في تيار الحياة الاجتماعية(١) . ولو جردنا الإنسان من لغته ودينه ومعتقداته وأزيائه وهي التي يكتسبها من المجتمع ، فسوف لا نراه إنسانا ، وإنما نتصوره وحشا من وحوش الغاب ، أو ملاكا من الملائكة ، فالمجتمع هو العلة الأولى في تحويل الإنسان من كائن بيولوجي أو كائن عضوي حيواني إلى الإنسان ككائن مثقف .

الإنسان إذن عضو في جماعات اجتماعية منظمة ، في بعضها يكون ارتباطه

---

(1) Peter Berger & luckmon the social construction Reality; p. 28.

بها شديداً ودائماً كما في حالة الأسرة ، حيث تكون العلاقة مباشرة — علاقة الوجه للوجه Face toface ويعرف كل فرد الآخر . وفى بعضها الآخر يكون ارتباطه بها عرضيا ولا شخصيا مثـــل ارتباطه بأفراد مجتمعه فى القرية أو المدينة ، حيث لا نستطيع أن نزعم أنه يعرف جميع سكان قريته أو مدينته . ومع ذلك ، فالحقيقة أنه تربطه بهم لغة واحدة ، ومصالح مشتركة ، ونظرة متطابقة تقريبا للحياة ، كما تربطه مصدر ولاء وانتماء لهذا المجتمع ، كما يعتمد هو وبقية أفراد المجتمع على حكومة قومية مشتركة تحميه هو وهم وتوفر لهم سبل العيش .

وتنتج عن هـذه المعيشة سويا جماعات ونظما اجتماعية لها قواعد منظمة ومنمطة نجمت عن تجارب الإنسان خلال حياته وعمله فى الجماعات والنظم ، وهى تؤدى وظائف معينة ، وتسمي بالظواهر الاجتماعية ، وهى أســاسا لموضوع عـــلم الاجتماع . فهو يدرس الحياة الجمعية للانسان بجميع أشكالها ونظمها كالنظم السياسية والاقتصادية والعائلية والتربوية والتى تنصب فى قوالبها العلاقات والتأثيرات الإنسانية المتبادلة ، وهو بهذا المعنى إنما يربط بين العلوم الاجتماعية ، كما يدرس أوجه النشاط التي يحافظ بها الناس على وجودهم خلال صراعهم من أجل البقاء — من تعاون وتنافس وصراع وكذلك عناصر التراث الاجتماعى والتنظيمات والقواعد التي تحدد علاقات الناس بعضهم ببعض من معرفة وعقيدة وفن وأخلاق وتقاليد وعادات وعرف وقيم وهى التي تتسم بصفة العمومية حيث تنتشر بين جميع أفراد المجتمع أو على الأقل بين الغالبية العظمى منهم ، واكتسبها الناس من خلال معيشتهم مجتمعين وتكوين ما يسمى بالوعى الجمعي Le conscience collective (1) ،

(1) Gilbert des gurand, grand textes de la Sociòlogie, p.22

وتشكل مجموع المعتقدات والعواطف هذه نسقا محدداً له أسلوبه الخاص .

ويعنى علم الاجتماع بالإراده والهدف ـ أى السلوك الهادف ، ومثل هـذا السلوك الهادف لا وجود له فى علم الطبيعة أو علم البيولوجيا ، بل وحتي علم النفس ، إذ يتعامل علم النفس مع كائن حى أقل درجة ونوعا من الإنسان . ويدرس علم الاجتماع كذلك تجمع الجماعات المختلفة واستيطانها وعلاقة الانسان بالبيئة التي تحيط به ، وكذا نسبة المواليد والوفيات ومتوسط عمر الإنسان ، كما يقوم هذا العلم بتحليل المشاكل الاجتماعية ومعرفة أسبابها ونتائجها .

ويتبين من ذلك أن علم الاجتماع يدرس الظواهر التي تنشأ عن وجود الإنسان فى المجتمع ، ومن ثم فهو ليس بفلسفة اجتماعية ، لأنه لا يتعرض ولا يقترح ما ينبغي أن يكون ، وإنما يتعرض للظواهر الكائنة بالفعل ، أو التي كانت موجودة فى الماضى . وهو في هذا إنما يسير على نفس المنهج الذى تسير عليه العلوم الطبيعية ، أى أن الدراسة فيه تكون دراسة تحليلية وضعية تهدف إلى استنتاج القواعد والقوانين التى تفسر الحياة الاجتماعية تفسيراً شاملا ، وتخضع لها الوقائع الاجتماعية .

وفى هذا المجال نذكر أن « ليتريه »(٨) قد عرف علم الاجتماع في قاموسه بأنه : علم تقدم المجتمعات الإنسانية ، ونعترض على كلمة « تقدم » بأنها تعبر عن فلسفة متفائلة فهذا التعريف يميل إلى ناحية الفلسفة لا إلى ناحية العـلم الوضعى الذى يبحث فيما هو كائن فعلا .

---

(١) رينيه مونييه . المرجع السابق ص١٨ .

خلاصـــة

نستخلص من هذا الفصل أن الفلسفة الاجتماعية تختلف عن الاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع . فبينما تتسم الفلسفة الاجتماعية بالتفكير الذاتى ، نجد أن علم الاجتماع يتسم بالموضوعية فهو يدرس الظواهر الاجتماعية ، وهى التى تترجم لنا الطريقة التي يفكر بها الكل الاجتماعى ، ويشعر الفرد بموجبها أن كيانه متوقف على معيشته مع غيره فى مجتمع معين .

وتبين من هذا الفصل أن النظرية فى مجال العلوم تعنى نسق من القضايا والقوانين والتعميمات المجردة التي تم تحقيقها والتي تحكم الظواهر موضوع الدراسة . وهى تعد مطلبا ضروريا لأى علم .

واتضح من هذا الفصل كذلك أن علم الاجتماع يعنى بدراسة الظواهر الاجتماعية ، أى دراسة المجتمع والحياة الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى . ومن ثم فهو ليس بفلسفة اجتماعية .

الفصل الثانى

الفلسفة الاجتماعية القديمة

التفكير الاجتماعى فى مصر القديمة

ساهم القدماء المصريون مساهمة كبرى فى الفلسفة الأخلاقية والوعى العلمى . فقد عرفوا نظام المدينة بوصفها (وحدة سياسية) ، وتمتعت مدنهم باستقلال ذاتى . ولما توحدت مصر ، وكبر حجمها ، وأصبحت امبراطورية واسعة الأرجاء ، صارت مسرحا لتيارات اجتماعية غير متجانسة . إذ من الطبيعى أن يقوم فى قلب الامبراطورية بعض المفكرين الذين لا يتفقون مع الفرعون ورجال الحكومة فى سياسته الداخلية والخارجية ، ومن ناحية أخرى ظهر فى العصور الفرعونية القديمة الفن وعلم العمارة والتخطيط الهندسى والفلسفات الأدبية والأخلاقية .

وقد ترك كثير من حكماء مصر القديمة وصايا وحكما تعتبر من مقومات الحياة الاجتماعية ، ولعل عقائد المصريين الدينية والعناية بدفن الموتى والآثار التى تركوها أمدتنا بالكثير من المعلومات عن حياتهم السياسية والدينية والاجتماعية .. الخ [1].

واهتم بعض المفكرين والباحثين من المصريين القدامى بوصف وقائع

---

(١) د. أحمد الخشاب ود. كرم حبيب برسوم . مقدمة فى علم الاجتماع ص ٨ وأنظر. Harold P. Lasswell & Daniel Lerner & Hans Speier. Propaganda and Communication in world History P. 172

الحياة ومحاولة ربط بعضها ببعض ، فقد كان المصريون القدماء - مثلا - يقومون بخزن الغلال فى مخازن خاصة لمعرفة حاجات كل إقليم من الغلال والمقدار الذى يحتفظ به لكل إقليم . وقامت فى عهد امنحوتب الثالث وأحمس حملة كبيرة ضد المتسولين . وكان المتسول يقاد إلى الحجز إن كان قادراً على العمل أو إلى ملاجىء خاصة إن وجدت به عاهة ، وكان ذلك يستلزم بحوثاً .(١) .

واحتلت نظرية الطبقات قدراً من تفكيرهم ، وكانت هذه النظرية مرتبطة إلى حد كبير بالأفكار السياسية ، فنجدهم يتكلمون عن طبقتين فى المجتمع : طبقة قدسية تشمل الفرعون وأنساله وكهنته ، وطبقة أرضية ، وهى طبقة عامة الشعب (من مزارعين وجند وتجار) . وقد أدى اندماج رجال الدين والحكام فى طبقة واحدة إلى ظهور نظرية تأليه الفرعون ودعم سيادته ونشر سلطاته واستقرار الوحدة الدينية والسياسية . (غير أن ظهور قادة وزعماء من أبناء الشعب)(أى من الطبقة الأرضية) ، أدى إلى انفراط عقد الطبقة المقدسة ، وأصبح المجتمع مكوناً من ثلاث طبقات ، الحكام ورجال الدين وعامة الشعب . وفى عصر الملكية الحديثة ظهر خطر طبقة رابعة وهى طبقة الجند ، ولا سيما بعد ما لجأ ملوك العصر الأخير إلى الاستعانة بجنود مرتزقة .

التفكير الاجتماعى فى الهند القديمة :

تعتبر قوانين مانو من أقدم التشريعات فى الهند ، ويبدو أنها من وضع جماعة البراهمة التى كانت من أرفع الطوائف . وتتركز فلسفتها الدينية فى

(١) د. حسن شحاته سعفان تاريخ الفكر الإجتماعى والمدارس الاجتماعية. الطبعة الرابعة ، ص ٢١٣ .

فكرة زعيم واحد للكون يدعى البرهمى ، ويشار إلى البرهمية ، باعتبارها مجموعة من الأفكار والعادات ، وبالرغم من أن البرهمية كانت تهتم بمبدأ الحقيقة الواحدة النهائية ، فان ممارسة عبادة عدد من الأفراد أو الالهة الشخصية كونت جزءا هاما في الحياة الهندية اليومية ، ووجدت لهم البرهمية مكانا . وكانت هذه الآلهة البرهمة المشهورة مثل «سيفا» Siva و « فيشنو Vishnu ، وكانت سيفا إله الدمار والانقلاب والتناسل ، وغالبا ماكان يعبد على هيئة عضو التذكير لينجا Linga (عضو التناسل المذكر ، وكانت تماثله من الحجر عادة . وكانت الاله فيشنو يجمع بين مبدأى البقاء والخلود[1] .

وكان المقصود من تدوين هـ ه القوانين الحرص على تعليم الأجيال القادمة أوضاع الحياة الاجتماعية وقواعد السلوك الاجتماعى ، والإبقاء على قواعد العرف والتقاليد .

ولقد أسرف حكام الهند فى تقرير الجزاءات وتوقيع العقوبات واستندوا فى هذا الصدد إلى ماجاء فى قوانين (مانو) من نصوص تشيد بفضل (الجزاء) فى حفظ الكيان الاجتماعى واستقرار النظام[2] .

غير أن هذا التزمت الشديد الذى بدأ فى قوانين مانو وفى مؤلفات البراهمة نحو نظام الطبقات قد خفت حدته فى تعاليم « الديانة البوذية » ؛ وهى ديانة ثورية قامت باعتبارها تحديا لسيطرة الطائفة البرهمية ؛ ثم انقسمت البوذية بعد

---

(١) أنظر بريان هاريسون . موجز تاريخ جنوب شرق آسيا ص ٣٣ .

(٢) د . مصطفى الخشاب . علم الاجتماع ومدارسه — تاريخ الفكر الاجتماعى وتطوره ص ١٨

ذلك إلى مدرستين : الهينايانا « مركبة الخلاص الصغيرة » التي حفظت بساطة البوذية الأولى ، والماهايانا وهى الأكثر إحكاما « مركبة الخلاص الكبيرة » ؛ وفيها أصبح بوذا يعبد باعتباره إلها يحيط به عدد كبير من البوذيين يتقمصون مؤقتا روح البوذية الأزلية .

ونادت البوذية بوجوب المساواة بين المواطنين ؛ ودعت جميع الأفراد إلى الاشتراك على قدم المساواة فى الطقوس والعبادات ؛ على عكس ما كانت تذهب إليه البرهمية من قصر الحياة الدينية على طبقة رجال الدين من البراهمة .

وكانت خريطة بوذا فى التعليم فريدة ، ولو أنها مدينة بشىء للجوالين ، أو السوفسطائيين المتنقلين ، فكان ينتقل من بلد إلى بلد ، وفى صحبته تلاميذه المقربون ، وكان يكتفى بالزاد الذى يقدمه له أحد المعجبين من سكان البلد الذى يحل فيه ، وكانت طريقته دائما أن يقف السير عند مدخل قرية من القرى ، ويضرب خيامه فى حديقة أو غابة أو على ضفة نهر ، وكان يخصص ساعات النهار لتأملاته ، وساعات المساء للتعليم . وكانت محادثاته تجرى فى صورة من الأسئلة وضرب الأمثلة الخلقية والحوار ، أو كان يسوق تعاليمه فى عبارات مقتضبة يرمى بها إلى تركيز آرائه تركيزا يجعلها نقر فى الأذهان ، وأحب عباراته التعليمية المقتضبة إلى نفسه هى الحقائق السامية الأربع التى بسط فيها رأيه بأن الحياة ضرب من الألم ، وأن الألم يرجع إلى الشهوة ، وإن الحكمة أساسها قمع الشهوات جميعا .

١ — تلك — أيها الرهبان — هى الحقيقة السامية عن الألم : الولادة مؤلمة ، والمرض مؤلم ، والشيخوخة مؤلمة ، والحرب والبكاء والخيبة واليأس كلها مؤلم .

٢ ــ وتلك ــ أيها الرهبان ــ هى الحقيقة السامية عن سبب الألم : سببه الشهوة ، الشهوة التي تؤدى إلى الولادة من جديد ، والشهوة التي تمازجها اللذة والانغماس فيها ، والشهوة التي تسعى وراء اللذة تتسقطها هنا وهناك ،وشهوة العاطفة ، وشهوة الحياة ، وشهوة العدم .

٣ ــ وتلك ــ أيها الرهبان ــ هى الحقيقة السامية عن وقف الألم : أن نجتث هذه الشهوة من أصولها فلا تبقى لها بقية فى نفوسنا ، السبيل هى الانقطاع والعزلة والخلاص وفكاك أنفسنا مما يشغلها من شئون العيش .

٤ ــ وتلك ــ أيها الرهبان ــ هى الحقيقة السامية عن السبل المؤدية إلى وقف الألم : إنها السبيل السامية ذات الشعب الثمان ، ألا وهى سلامة الرأى، وسلامة النية ، سلامة القول وسلامة الفعل ، وسلامة العيش ، وسلامة وسلامة الجهد ، مانعنى به ، وسلامة التركيز .

وآمن بوذا بأن الألم أرجح كفة من اللذة فى الحياة الإنسانية ، وإذن فخير للانسان ألا يولد ، ولتحديد الحياة السليمة صاغ بوذا ، قواعد خلقية خمسة هى :

١ ــ لايقتلن أحد كائنا حيا .
٢ ــ لايأخذن أحد مالم يعطه .
٣ ــ لايقولن أحد كذبا .
٤ ــ لايشربن أحد مسكرا
٥ ــ لايقيمن أحد على دنس .

ومن تعاليمه على الإنسان أن يتغلب على غضبه بالشفقة ، وأن يزيل الشر بالخير .. إن الكراهية يستحيل عليها أن تزول بكراهية مثلها ، إنما

تزول الكراهية بالحب[1].

التفكير الإجتماعي في الصين القديمة :

تعد الفلسفة الصينية فلسفة إنسانية تمتلىء بالمبادىء الأخلاقية ، ومستوى من السلوك ، وفلسفة للحياة ، فهى تخاطب أفراد المجتمع ، وترمى إلى خلق أجيال من المواطنين الأحرار ، وهى لاترتبط بالدين ، وإنما شرعها العقل .

ولعل أظهر الشخصيات في الفلسفة الصينية هى شخصية « كونفوشيوس » وتلميذه «مانشيوس» .

كونفوشيوس Confucius (٥٥١ – ٤٧٨ ق م) .

ولد كونج – فو – دزه أو كونج المعلم في عام ٥٥١ ق . م في مدينة تشو – فو إحدى البلاد التي كانت تكون وقتئذ مملكة لوء ، والتي تكون الآن ولاية شان تونج . وكان والد كونج في السبعين من عمره حين ولد له ولده . ومات حين بلغ ابنه سن الثالثة . وكان كونفوشيوس يعمل بعد الفراغ من المدرسة ليساعد على إعالة والدته . لكنه مع هذا وجد متسعا من الوقت يحذق فيه الرماية والموسيقى .

ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره بدأ يشتغل بالتعليم ، واتخذ داره مدرسة له ، وكانت المواد التي يشملها برنامجه ثلاثا : التاريخ والشعر وآداب اللياقة . وكان تعليمه كتعليم سقراط شفهيا لا يلجأ فيه إلى الكتابة[2] .

(١) ول ديورانت . قصة الحضارة – الجزء الثالث من المجلد الأول – الهند وجيرانها . ص ٧٥–٧٧ .

(٢) ول ديورانت . قصة الحضارة – الجزء الربع من المجلد الأول – الشرق الأقصى – الصين . ص ٤٠–٤١

وترك كونفوشيوس وراءه خمسة مجلدات يلوح أنها كتبها أو أعدها للنشر بيده هو نفسه ، ولذلك أصبحت تعرف في الصين باسم « الجنجات الخمسة » أو « كتب القانون الخمسة » .

وتستمد الكونفوشية مادتها من الأخلاق ، فالعالم — كما يرى كونفشيوس — في حرب لأن الدول التي يتألف منها فاسدة الحكم ، والسبب في فساد حكمها أن الشرائع الوضعية مهما كثرت لا تستطيع أن تحل محل النظام الاجتماعي الطبيعي الذي تهيئة الأسرة للفرد ، فتأكيد السلوك الحسن والنبالة إنما يبدأ بالفرد ، ومقياس الإنسان هو الإنسان Measure of man is man » ؛ ثم تمتد إلى الأسرة ؛ ولذلك لا سبيل إلى القضاء على الفوضى الأخلاقية إلا باصلاح النظام الأسرى في المجتمع ؛ لأن أساس المجتمع هو الفرد المنظم في الأسرة المنظمة . وكان يرى أن الرقي الذاتي هو أساس الرقي الاجتماعي ؛ بمعنى أن الفرد هو العمود الفقري في بناء الأسرة ؛ والأسرة هي أول خلية حية في بناء المجتمع . فهي تفرض نظاما اجتماعيا يفوق في دقته ورقيه ماترمى القوانين الوضعية الى فرضه عنوة واقتدارا ؛ فاذا كانت الأسرة فاسدة الدعائم مختلة النظام لا يتوافر التضامن الاجتماعي بين عناصرها ؛ ولا تستطيع أن تهيء النظام الاجتماعي المنشود : لا يرجى للمجتمع أي سعادة أو تقدم ؛ ولذلك يجب على أفراد الأسرة أن يقوموا من أنفسهم وعقولهم ، وليسع الناس إلى المعارف المنزهة عن الهوى يخلصوا في تفكيرهم وليخلصوا في تفكيرهم تتطهر قلوبهم من الشهوات الفاسدة ولتطهر قلوبهم على هذه الصورة تصلح نفوسهم ، ولتصلح نفوسهم تصلح من نفسها أحوال أسرهم . وليس الذي تصلح به هذه الأسر هو المواعظ التي تحث على الفضيلة أو العقاب الشديد الرادع ؛ بل الذي يصلحها هو ماللقدوة

الحسنة من قوة صامتة . ومتى تم تنظيم الأسرة عن طريق التطهير والاخلاص والتضامن وطاعة الأبناء للاباء ، والزوجات للأزواج ؛ تهيأت البلاد من تلقاء نفسها لنظام اجتماعى يساعد إلى حد كبير على قيام نظام سياسى يكفل الحرية والمساواة ، ويحقق العدالة .

والرجل الأعلى — فى رأى كونفشيوس — هو الرجل الذى « يثقف نفسه بعناية ممزوجة بالاحترام » . والرجل المثالى هو الذى « تجتمع فيه الفلسفة والقداسة فيتكون منهما الحكيم » والإنسان الكامل السامى يتكون من فضائل ثلاث هى : الذكاء والشجاعة وحب الخير . وقوام الأخلاق الصالحة الإخلاص . ويتسم أخلاق الرجل الأعلى بالعطف الفياض على الناس جميعا .

ويعتقد كونفوشيوس أن هؤلاء وحدهم هم الذين يستطيعون أن يعيدوا بناء الأسرة ؛ وأن ينقذوا الدولة . وفى رأيه أن القدوة الحسنة هى أولى وسائل الحكم ، وحسن الاختيار للمناصب وسليته الثانية . وعلى الحكومة أن تعنى بغرس الاخلاق الطيبة ؛ ذلك أن الأخلاق اذا فسدت فسدت الأمة معها .

واعتنق كونفوشيدس المبادىء الاشتراكية ونادى بتوزيع الثروة فى أوسع نطاق ممكن لأن تركيز الثروات فى أيدى قليلة يحمل الأفراد الكادحين على الهجرة والتخلص من فلاحة الأرض ويثير بين أفراد المجتمع الواحد كوامن الحسد الاجتماعى ؛ ولن يتحقق ذلك إلا إذا اتحدت شعوب العالم كلها فى « جمهورية عالمية واحدة تشرف عليها حكومة من ذوى الكفايات والفضائل والمواهب الفلسفية وبهذه الطريقة يقضى على الأنانية ، وتنتشر عواطف

حب الخير والمشاركات الوجـــدانية ولا يرى أثر للصوص والنشالين والخونة المارقين .

ودعا كونفوشيوس إلى التكافل الاجتماعى ، بحيث يكون الفقراء فى رعاية الأغنياء ، والضعفاء فى حمي الأقوياء ، والمرضى فى عطف الأصحاء ، حتى يسعد الجميع بحياة اجتماعية هادئة دعامتها الفضيلة والعدالة والمساواة الحقة ،

وكان يرى أن المساواة المنشودة لا سبيل إلى تحقيقها إلا بنشر التعليم . ومتى أثمر التعليم انعدمت الفوارق بين مختلف الطبقات الاجتماعية ، ومن ثم يكون الاستقرار الاجتماعى أدعى إلى الاستقرار .

وفى ضوء هذا يمكن أن تقرر أن كونفوشيوس كان أقرب إلى صاحب (يوتوبيا Utobia منه إلى علم الاجتماع والسياسة(١) .

مانشيوس :

كان مانشيوس من سلالة أسرة مانج العريقة ، وكان إسمه فى بادىء الأمر مانج كو ، ثم صدر مرسوم إمبراطورى بتغييره إلى مانج ـ دزة أى مانج المعلم أو الفيلسوف . وقد بدل علماء أوربا الذين مرنوا على الأسماء اللاتينية هـذا الإسم إلى مانشيوس كما بدلوا كونج ـ فو ـ دزة إلى كونفوشيوس(٢) .

---

(١) د. مصطفى الخشاب . المرجع السابق ص ٣٢ ـ ٣٣ .

(٢) ول ديورانت . قصة الحضارة ـ الجزء الرابع من المجلد الأول ـ الشرق الاقصى ـ الصين ص ٧٧ ـ ٨٠ .

وكانت عقيدة مانشيوس دنيوية خالصة لا يكاد يوجد فيها شيء عن المنطق أو فلسفة المعرفة أو ما وراء الطبيعة . وكان يعترف بحق الشعوب في الثورة ، ويندد بالحرب ويراها جريمة . وفي رأيه أن الحاكم الذى يستثير عداوة الشعب يفقد « حقه الإلهى » فى الحكم ، ومن حق الشعب أن يخلعه . ورأى أنه لا سبيل إلى استقرار التنظيم الاجتماعى ، وإصلاح حال الطبقات الفقيرة إلا إذا تحقق أمران : أولهما : بوضع دستور ينظم الملكية ، وثانيهما إصلاح نظام الضرائب بالعمل على التخفيف من ويلاتها .

وقسم مانشيوس المجتمع إلى طبقتين : الأولى طبقة العلماء والمتعلمين ، والثانية طبقة الكادحين العاملين من زراع وصناع وتجار . . . ويرى أن الطبقة الأولى من حقها أن تسود وتحكم ، أما الثانية فعليها أن توفر لأفراد الطبقة الأولى الحاجات الضرورية والأقوات اللازمة .

الفلسفه اليونانية القديمه

تقـــديم :

وضع الإغريق الأسس التي قام عليها بعد ذلك الفكر الغربى . وكانت عقليتهم سياسية ، وتدور أفكارهم حول الحرية والتي مبعثها أن حياة اليونانيين السياسية كانت تقوم على نظام إقليمى أدى إلى تمتع الأفراد بقسط وافر من الحرية لا سيما حرية الفكر .

ومال اليونان القدامى إلى فن الخطابة والذى عن طريقه يمكن الوصول إلى السلطة . وكانت الظروف الاجتماعية فى المدن اليونانية ــ مثل أثينا مقدونيا ــ مضطربة فى القرن الرابع قبل الميلاد وما بعده ، وكانت هناك

سيطرة فكرية متمثلة في آراء الفلاسفةالسوفسطائيين . ووسط هذه الظروف كان سقراط أستاذ أفلاطون يقول الحق فاتهم بافساد عقول الشباب وحكم عليه بالإعدام .

ومن مميزات هذا التفكير أن فلاسفة اليونان كانوا يبحثون عن الظواهر الاجتماعية في حالتها الاستقرارية ، ولا يتعرضون لها فى حالتها التطورية ، ولعل هذا راجع إلى الاقتصاد اليونانى فى تلك الفترة والذى كان يقوم على الزراعة ، وهذه بدورها تقوم على الروتين والتكرار . كذلك لم يقصد بدراستهم الوصول إلى معرفة علمية محققة من ظواهر المجتمع ، وإنما استهدفت دراستهم المساعدة على إيجاد مجتمع مثالى . كما قام الفكر اليونانى القديم على المنهج الاستدلالى النظرى مع استثناء أرسطو بعض الشيء .

هيرودتس (٤٨٤ — ٤٢٥ ق م)

ولدفى هاليكارتاسوس بآسيا الصغرى ، وكان يميل إلىالتعليل ويسعى إلى تبين الأسباب وإلى الربط بين الحوادث فيخلال ما يرويه من أخبار وأساطير وزاد هيرودتس بلاداً كثيرة كان منها فارس الهند ومصر . وكتب عن الصراع بين الإغريق والفرس ، ورجع فى تتبع العداء بين أوربا وآسيا إلى أقدم العصور . ووصفه شيشرون(١) بأنه « أبو التاريخ » ، لأنه أول من عالج التاريخ لا باعتباره مجموعة حكايات شائعة عنالآلهة والبشر ، بلباعتباره موضوع بحث علمى .

ووصف هيرودتس التنظيم الاجتماعي الذى شهده فى هذه البلاد وأشكال الإدارة وجوانب الاقتصاد . ومن ذلك أنه ذكر أن أيديولوجية

---

(١) محمد فريد وجدى . الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٢٦ .

المصريين – مثلا – كانت نوعا من تبرير التنظيم الاجتماعى بالنسبة للدين ، وأن تسلسل الآلهة يطابق تسلسل الناس فى طبقات ؛ وأن الحياة الأخرى لم تكن إلا امتدادا للحياة الأرضية ، وذلك يفسر الأهمية الكبرى للمقابر والتخطيط وكل ما يتصل بتنظيم ورفاهية تلك الحياة الأخرى .

أما المجتمعات الهندية ، حتى أبعدها فى القدم فنجد فيها فلسفة اجتماعية ترتبط بالمعتقدات الدينية البرهمية . . ونظام الطوائف هو التنظيم الأساسى للمجتمعات التى تسودها الفلسفة البرهمية[1] .

السوفسطائيون

جماعة من الفلاسفة قبل سقراط ، من أشهرهم جورجياس وبروتاجوراس ، وكانوا يعلمون البلاغة والخطابة ، وصدرت أبحاثهم عن انشغالهم بالناحية العنصرية ، إذ أظهروا روح المساواة ، وهاجموا الرق ، وفكرة القومية الضيقة فى المدن الإغريقية .

وأنكر السوفسطائيون إمكان الوصول إلى حقائق موضوعية ثابتة ، إذ الحقيقة عندهم ذاتية نسبية تختلف باختلاف الأفراد . وكانوا يتقاضون أجراً على تعليمهم طرائق الاقناع ، فالمهم هو إقناع خصمك ، وبلوغ الحقيقة .

وقد حارب سقراط من تعاليمهم ما من شأنه هدم المعايير الثابتة فى الأخلاق ،

---

(١) بوتول جاستون – تاريخ علم الاجتماع . ص ٤

وكتب عنهم أفلاطون محاورات اسماها بأسمائهم .

سقراط (٤٦٩ – ٣٩٩ ق.م)

فيلسوف يونانى من أثينا ، أبوه نحات وأمـــه قابله ، لم يترك أثراً مكتوبا ، لكن سجل حياته وتعاليمه تلميذه أفـلاطون فى « محاوراته » ، واكسانوفون في « مذكرانه » . وله رسالة فى إصلاح الحالةالعقلية والخلقية إذ تصور علما يبحث في الامور الانسانيةالخلقية والتي لهامعان كلية كالحكمة والشجاعة والعدل والفضيلة . . . الخ . ويشير الى أن هناك حقائق عقلية ثابتة يمكن إستنباطها من الحالات الجزئية المتغيرة ، وأن الانسـان إذا أدرك بعقله فضيلة سلك بمقتضاها ، فالعلم والفضيلة شيء واحد لايختلف باختلاف الأفراد .

أهمل سقراط شئونه الخـــاصة ، وجال الطرقات والأسواق والملاعب، يتحدث إلى الناس فى الفضيلة والعدل والتقوى . وكان يتبع في حواره منهج « التوليد » بأن يعاون من يحاوره على إستخراج المعرفه من دخيلة نفسـه ، فاذا كان سوفسطائيا تهكم عليه . أتهم بافساد عقائد الشبان ، فحوكم وحكم عليه بالموت .

أفلاطون plato (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م)

ولد أفلاطون فى أثينا ، وليس هناك دليل قاطع على السنة التي ولد فيها ، فقد إختلفت المصادر فى تحديد السنة التي ولد فيها ، والتي قد تكون ٤٢٦ ، أو ٤٢٧ أو ٤٢٨ ق . م . كما أنه ليس هناك أتفاق على السنة التي توفى فيها

١ — بوتول جاستون . تاريخ علم الاجتماع ص ٤ .

حيث تذكر بعض المصادر أنها عام ٣٤٧ ق . م . ، كما تذكر بعض المصادر الأخرى أنها ٣٤٨ ق . م . (١) .

وينتسب أفلاطون إلى أسرة ارستقراطية ، ثرية ، فكان أبوه من نسل قدروس الملك الأخير من ملوك أثينا ، وأمه من نسل صولون الحكيم . ودرس أفلاطون فى شبابه الشعر ونظم القصائد ودرس العلوم الموجوده فى عصره وكان يهتم بالرياضيات ثم إتجه إلى الفلسفة على يد أحد اتباع هيرقليطس . وعندما بلغ العشرين تعرف على سقراط ، وأعجب به ، وأخلص لمبادئه السياسية التي تقوم على النظام الاستقراطى المعارض للنظام الديموقراطى ، فهو القائل : أشكر الله أنى ولدت يونانيا لا بربريا ، حراً لا عبداً ، رجلا لا امرأة ولكن علاوة على ذلك أشكره لأن ولدت فى عهد سقراط (٢) .

وعاصر أفلاطون الفترة الأخيرة من حرب البلوبونيز التي أنهزمت فيها أثينا عام ٤٠٤ ق . م . ثم أنتقل إلى « مجارى » ، وهى مدينة يونانية فى صقلية ، بعد موت سقراط ، ثم سافر أسفاراً طويلة على ماقيل فزار القيروان ومصر وإيطاليـة وصقلية . ويقال أنه زار بابل وفارس وفلسطين ولقى المجوس والبابليين واليهود .

عرض أفلاطون نظرياته السياسية فى مؤلفات ثلاث هى :

١ الجمهورية The Repuplic .

٢ — السياسة

---

١ د . ابراهيم درويش . النظرية السياسية فى العصر الذهبى ص ٦٤ .

٢ — أفلاطون . جمهورية أفلاطون ص / ج .

٣ — القوانين The Laws

وكانت مؤلفاته على شكل محاورات يشترك فيها سقراط . وأعتمد فى ذلك على المنهج القياسى Deductvre Method ، وتمثلت آراؤه فى صورة معيارية ، فهو لا يصف المدنية كما هى ، ولكن كما ينبغى أن تكون .

وكان كتابه « الجمهورية » فى علم السياسة، ومع ذلك فقد كان تجسيداً شاملا للآداب ، حيث ناقش الكتاب مبادىء الاقتصاد ، والسياسة ، وحياة العائلة ، والدين،والتعليم ، والفلسفة ، والفن ، والأدب . وتكون هذه العوامل الحياة العامة ، وهى ترتبط معا فى وحده . وهكذا يعد الكتاب أول مقال عظيم فى الدراسات الإجتماعية [١] . وكان شاغل بال « أفلاطون » : كيف يمكن تجنب الأضطرابات لبلاده ؟ فيقول : يجب أن « تنظم المدنية » تنظيما عقليا وبطريقة تضمن الاستقرار .

وكان أفلاطون مفكراً عضويا ، فقد شبه المدينة بالفرد ، فهى عبارة عن وحدة حية مكونه من أجزاء كما يتكون جسم الانسان من أعضاء ، وكل جزء من أجزائها يؤدى وظيفة خاصة ، كما تختلف أعضاء الجسم الانسانى فى أداء وظائفها .

وأرتكزت فلسفة أفلاطون عن المجتمع على أساس الحاجة الاقتصادية ، إذ لا يوجد فرد يستطيع أن يسد حاجاته بنفسه ، لأن لكل منا حاجات كثيرة تستلزم عدة أشخاص لكي يمدونا بها ، وأفتقار كل فرد إلى الآخرين هو سبب نشأة الدولة أو المدينة . وذهب أفلاطون [٢] إلى ان اول حاجاتنا

1 - R.M. Maciver Community, A Sociological Study, p. 54

٢ — د . على المعطى ود . محمد على محمد . السياسة بين النظرية والتطبيق . ص ٦٦.

الطبيعية هي القوت ، كقوام حياتنا كمخلوقات حية ، وثانيها المسكن ، وثالثها الكساء . وان التعاون يقتضى نوعا من تقسيم العمل ، فيظهر الزراع والبناءون والحاكة والأساقفة ، كل حسب إستعداده الخاص وموهبته .

ولكن المزارع لا يصنع محراثه بنفسه ، ولا يصنع معوله ولا غيره من ادوات الحراثه ، وكذلك البناء والحائك . . . وإذن يلزمنا نجارون وحدادون وغيرهم من الصناع ، كما يلزمنا رعاة مواشى ، ومن هم من هذا القبيل لإمداد الفلاحين بالثيران والمواشي ، ومد البنائين بمواد البناء ، ونقل الجلود للأساكفة والحاكة .

وينتج من كل ما تقدم ان كل الأشياء تكون اوفر مقدارا واجود نوعا واسهل إنتاجا ، إذا التزم العامل ما يميل اليه من الاعمال واتمه في وقته الخاص . غير متشاغل عنه في ما سواه . ومن هنا يرتبط الفرد بغيره من افراد الجماعة لتبادل السلع والخدمات ، وهذا الاضطرار يحتم عليهم التكتل والتضامن لإشباع رغباتهم والوفاء بحاجاتهم ، فيصير هؤلاء اعضاء دولتنا الصغيرة ، ويؤلفون وإخوانهم شعبا .

وحدد افلاطون عدد السكان الذى ينبغى على المدينة ألا تتعداه بأى حال وذلك لتحاشي كل انفصام للتوازن الاقتصادى والسياسى . ولتنفيذ ذلك يرى أفلاطون أنه يجب على القضاة على أن ينظموا عدد حالات الزواج للاحتفاظ بنفس عدد الرجال الذى يملاء الفراغ الذى ينتج عن الحرب والأمراض وكل الأحداث الأخرى . وقد ذهب إلى حد أنه وصف بالدنس المواطنين الذين يرغبون فى انجاب الأولاد خارج حدود السن والأحوال التى ينظمها القانون (١) .

---

(١) — بوثول (جاستون) . المرجع السابق . ص ٧ .

وقسم أفلاطون الحكومات إلى حكومة ملكية وحكومة ديمقراطية ، وهما أساس أية تجمعات بشرية تعيش فى حالة أكثر أو أقل سعادة . وفى ظل النظام الملكى تستحوذ قلة من الافراد على السلطة ، ويتسم النظام بالحكم المطلق . وفى ظل النظام الديمقراطى يشارك جميع المواطنين بنصيب متساو فى الحكم [1] .

وجرح أفلاطون النظام الأثينى الديمقراطى الذى يقوم على أساس صلاحية أى فرد لشغل أى منصب فى المدينة ، إذ هو لا يؤمن باسناد الحكم إلى جميع المواطنين وفق قواعد الديمقراطية ونظمها ، فذلك معناه اضطلاع الهواة بالحكم لا المحترفين . فالديمقراطية تعنى حكم الأغلبية الجاهلية ، فهى تتيح الفرصة للجهلاء التحدث أمام الجمعية والتأثير فى قراراتها وتشريعات المجلس ، ولكون المناصب تقوم على الاقتراع .

وحمل أفلاطون كذلك على حكم الأقلية الغنية « الأوليجاركية » تعنيه من ظلم وأنانية خاصة وأستهداف تحقيق الأغراض الفردية لكون الحكام يركزون كل اهتمامهم لزيادة ثرواتهم ، وفى سبيل ذلك يستغلون الدولة ومناصبها إبتغاء تحقيق هذا الهدف الأنانى المتمثل فى حب المال والتضحية بمقومات الدولة ، فالحكم الأوليجاركى هو حكم لصالح الطبقة — هى طبقة الأقلية الغنية ، كما كان الحكم الديمقراطى من قبل هو حكم فى يد الطبقة الجاهلة — وهو بعد لا يحقق إلا المساوىء .

وأسترعى أنتباه أفلاطون ثبات وإستقرار المجتمعات البدائية واليونانية ، والتى كان أقدمها مدينة أسبرطه ذات الدستور العسكرى الصارم ، وأعتبر

1 - Gaetano Mosca, The Ruling class, pp 394 - 395

نظامها الأفضل ، فقد شغل باله كيفية تجنب الاضطرابات التي لا تحتمل ، والتي تجلب الخراب والدمار لبلاده [١] . يقول أفلاطون (٢) : يجب أن تنظم المدنية تنظيماً عقليا وبطريقة تتضمن الاستقرار ، وأن الشكل المثالي للدولة كان سابق في الوجود لكل النظم السياسية القائمة ، وأسبرطه هي هذه الصورة ، والدولة الأفضل عنده هي تلك التي تشبه الدولة المثالية، وهي أقل قابلية للتغير لكمالها ، والتغير يكون دائما نحو الأسوأ ، فهو يؤدي بالأوليجاركية والديموقراطية الى الإنحطاط والاستبداد .

وفي رأي أفلاطون ، فان النظام السياسي الأمثل يجب أن يكون إرستقراطيا يقوم على العدل، والعدل عنده لا يقوم على المتاع وإرضاء اللذات الشخصية ، بل هو صفة من صفات النفس تصون المواطن من اتباع هواه وتهيئة لأن يقصر نشاطه على آداء وظيفة واحدة من أجل الصالح العام (٣) .

ومن ثم فالتخصص — كما يرى أفلاطون في أداء وظيفة الحكم وإستقلال طبقة بها دون طبقات المجتمع الاخرى ليس إلا جانبا من جوانب التخصص التي تشمل سائر نشاط الحياة في الدولة . وتلك الطبقة الحاكمة هي طبقة عليا ، مزجت الآلهة جبلتهم بالذهب ، وتتملكها قوة العقل ، ويتوافر لها المعرفة ، وتتحكم فيها النزعة الفلسفية ، وهي طبقة الفلاسفه ، والفيلسوف

---

1 - N. Dexter & E Rayner, Guide to Contemporary Politics p. 21

٢ — بوتول (جاستون) . المرجع السابق . ص ٨

٢ — د . محمد عبد المعز نصر . في الثورة والإشتراكية . ص ٣٢

الحقيقى هو المغرم كل الغرام بالحكمة . وعلينا أن نميز فى هـذا الموقف بين الفيلسوف الحقيقى و بين المدعى الفلسفة تدجيلا ، وتستقر نقطة الفرق بينهما فى أن الدجال يكتفى بدرس الموضوعات الجميلة مثلا ، أما الفيلسوف الحقيقى فلا يقف عند ذلك الحد ، بل يتجاوزه إلى إدراك الجمال المطلق . ومن هذه الطبقة ينتقى كذلك القضاة .

وأخذ أفلاطون هذه الطبقة بالتعليم اليونانى الراقى التقليدى المؤلف من الألعاب الرياضية والموسيقى لا لتربية الجسد والروح كوحدتين منفصلتين ، بل لتهذيب النفس كوحدة . ولا تقتصر تربية الحاكم على صقل النفس بتكوين شخص يجمع فى انسجام بين الإقـدام الذى تولده الالعـاب الرياضية وبين الدقة التى توحى بهـا الموسيقى ، بل تمتد إلى العناية بالقوة الفكرية لإبراز ما تنطوى عليه مزية الحكم ، وإستخدام هذه المزية فى وظيفتها الخاصة بها ، وهى مباشرة الحكم . يقول أفلاطون (١) : الحاكم الكفء فى عرفنا : فلسفى النزعة ، عظيم الحماسة ، سريع التنفيذ ، شديد المراس ومن هنا فالحاكم يسود سيادة مطلقة ، والفرد يعود إلى مكانه الطبيعى من نظام الدولة ، وعلى الكثرة الدهماء إطاعة القلة المثقفة من الفلاسفة بلا مناقشة

وإزاء ذلك — استبعد أفلاطون أية إمكانية لـكانة الطبقة بالوراثة ، ففى رأيه أن يكون هناك مساواة تامـة أمام كل المواطنين ودون أعتبـار للمولد ، فالفرص متكافئة أمام كل فرد لإظهار مواهبه وصفاته الطبيعية .

---

١ — د . عـلى عبد المعطى و د . محمد على محمد . المرجع السابق . ص ٦٩ .

وتستطيع هذه الطبقة أن تتولى الحكم والقيادة في المجتمع ، وأن تدبر الأمور العامة فى هدوء وحسب ما تمليه الحكمة وحسب ما تراه محققا لصالح المواطنين ، كما تستطيع أن تحقق العدالة . وهي تعتبر شرطا جوهريا للاستقرار الإجتماعى ، وتوافر النظام الداخلى ، ودون أن تتعرض لثورة الطبقات الأخرى ، بل ستنال منهم الطاعة .

وتقتضى ضرورة الوجود — فى رأى أفلاطون — ضرورة الدفاع عن أفراد المجتمع ، وحماية مصالحهم . وحين تضيق حدود الدولة أو المدينة على سكانها بعد أن كانت كافية لسكانها الأولين ، فانها تضطر لمد مراعى المدينة وحقولها بواسطة الحرب .

وبالتالى تحتاج إلى تشكيل جيش من الجنود المحترفين ـ وهؤلاء هم الطبقة الثانية من طبقات المجتمع ـ طبقة الجند . وقد مزجت الآلهة جبلتهم بالفضة ، ويتملكها قوة الدفاع والغضب ، وتتميز بالشجاعة والإيثار ، ولهذا فهى أقدر على الدفاع عن الوطن .

وعلق أفلاطون أهمية كبرى على الشيوعية كوسيلة لإزالة العقبات التى تعترض طريق تطور السياسة ، ويقوم ذلك على أساس أمرين :

الأول : تحريم الملكية الخاصة التى تزيد عن الضروريات على طبقتي الحراس والجند أيا كانت هذه الملكية سواء أكانت عقارا أم منقولات ، وأن يعيش الحراس والحكام فى معسكرات ويجلسون على مائدة واحدة ، ويحصلون على كل ما يلزمهم ، ذلك أن اجتماع السلطة السياسية والاقتصادية وحرية الامتلاك فى يد شخص واحد يؤدى إلى سوء استغلال السلطة .

والثانى إلغاء الزواج الفردى الدائم واستبداله « بالإنسان الموجه » .

وفقا لمشيئة الدولة وابتغاء إنتاج السلالة الصالحة، وذلك بأن تكثر من تزويج أفضل الرجال بأفضل النساء ، وأن نقل تزويج أدنياء الرجال بمثيلاتهم من النساء . ويجب أن نخص الشبان المبرزين فى الحرب وغيرها بحرية الاختلاط بهن مع الامتيازات والمكافآت الأخرى . ويستهدف هذا كل أن يكرس الحاكم أو الموظف حبه وجهوده للدولة .

وأخيرا هناك طبقة العمال والتجار والصناع والزراع ، وقد مزجت الآلهة جبلتها بالنحاس والحديد . وهى تنهمك فى الأعمال المهنية لكسب الرزق وإشباع الحاجات الجسمية ، وليس عندها من الوقت أو قوة العقل ما يجعلها تدرك الفضيلة أو كنه الوجود ، ويتحكم فيها قوة الشهوة .

ويقول أفلاطون إننا إذا أردنا أن نقيم الدولة المثالية ، فيجب أن نرجع إلى مملكة الأطفال فهى كالعجين . . . والتربية تعمل على كشف ملكات الممتازين وتنمى فيهم هذه الملكات والإستعدادات النظرية .

ويتلخص نظام التربية فى الخطوات الآتية : —

نبدأ أولا بأن نميز بين الأحداث (بنين وبنات على السواء) أصحاب القوة البدنية والجسمانية، ونتعهدهم بالتربية الرياضية والبدنية ، ونعطى لهم قسطا من الآداب والفنون ، كما يجب أن نغرس فيهم حب الفضائل عن طريق النصح والإرشاد ونتمى فيهم أصول الدين . ويخضع الأطفال (بنين وبنات) لهذا اللون من التربية حتى سن الثامنة عشر . فيزاولون التربية العسكرية العنيفة عامين كاملين ثم يفصل الممتازون منهم على حده ليعودوا ثانية إلى مواصلة الدراسة والبحث فى أربع مواد دراسية : الحساب والهندسة والفلك والموسيقى .

ومتى بلغ الحراس الثلاثين من عمرهم ، تميز من بينهم أصحاب الاستعداد النفسى (رجالا ونساء) ليعكفوا على دراسة الفلسفة لمدة خمس سنوات ، وبعدها يزجوا فى الحياة العملية لتولى الوظائف الحربية والإدارية حتى سن الخمسين ، والذين امتازوا من بينهم فى الشئون الإدارية . . . يرقوا إلى مرتبة الحكام أما زملاؤهم الذين تخلفوا فى مراحل الدراسة فسيكون طبقة الجند[١] .

وفى ضوء هذا يتبين أن أفلاطون قد وضع نظامه فى صورة معيارية ، بمعنى أنه رتبه ووجهه بطريقة تؤدى إلى نتائج تتضمن قواعد معينة للسلوك الاجتماعى فهو لا يصف المدينة كما هى ، ولكن بما ينبغى أن تكون .

أرسطو Aristotle (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م)

ولد أرسطو عام ٣٨٤ ق .م فى مدينة استاجيرا Stagira على حدود مقدونيا وكان والده نيقوماكس Nicomachus طبيباً وصديقاً لأمينتوس Amyntos الثانى ملك مقدونيا . رحل أرسطو بعد ذلك إلى أثينا فى السابعة عشرة من عمره ليتعلم فى مدرسة أفلاطون ، ثم دعاه فيليب المقدونى إلى Pella عاصمة مقدونيا ليكون أستاذاً لابنه الإسكندر . وبعد موت فيليب عاد أرسطو ٣٣٥ – ٣٥٤ ق.م إلى أثينا ، واستأجر بعض المبانى ناحية شمالها الشرقى ، لتكون مقراً لمدرسته . وكان يتجول كل صباح مع تلاميذه بين الأشجار ، ويتناقش معهم فى المسائل الفلسفية الغامضة ، أما فترة ما بعد الظهيرة فكان يخصصها لمناقشة الموضوعات الأقل صعوبة[٢] .

---

(١) د. مصطفى الخشاب . المرجع السابق ص ٤٣ .

2) W. D Ross, Aristotle, p.5.

وإذا كان أفلاطون يعتبر مؤسس النظرية السياسية ، فان أرسطو يعتبر مؤسس علم السياسة ، وإذا كان أرسطو قد استصوب عقيدة أستاذه ، بأن دولة المدينة ـ كما كانت محققة فى اليونان ـ عضوية خالصة ، فان أرسطو لم يستسغ المجتمع المثالى عند أفلاطون . فقد أبدى أرسطو وعياً حقيقياً للحقيقة والتجريب ، ودرس النظم الاجتماعية والحكومات القائمة بروح واقعية مبنية على الوصف والشرح والتحليل ، واكتشف وجوه النقص ، وعلل الفساد مستخدماً فكرة السببية كما استخدم المنهج الاستقرائى Iuductive method واستعان أرسطو كذلك بالمنهج المقارن . ففى كتابه الرئيسى السياسة Politics بين دراسة مقارنة للدساتير السياسية عموما فى المدن الإغريقية ، وفى بعض البلاد المماثلة وخاصة قرطاجنة .

وصنف أرسطو المعرفة إلى ثلاثة أنواع رئيسية نظرية وعملية ومنتجة . وهى تقابل الفلسفة النظرية كالعلم الإلهى والرياضى والطبيعى. وفى رأيه فان العلم الطبيعى يتميز بوجود أزواج من العناصر الأربعة هي : الحرارة ، البرودة الجفاف ، والرطوبة . وتتغير المواد من شكل إلى آخر بتغيير امتزاج هذه العناصر . هذا وقد استمر استخدام آراء أرسطو عن المادة حتى ظهور علم الكيمياء الحديث فى القرن السابع عشر(١) .

أما الفلسفة العملية فهى رفيعة ، وتتمثل فى الأخلاق والاقتصاد أو علم تدبير المنزل ، وعلى رأسها علم السياسة ـ أى علم الدولة . ويميل أرسطو إلى تسمية العلم الاجتماعى ، والذى ينقسم بدوره إلى علم الأخلاق وعلم السياسة .

---

(1) See Gene I Rochlin, Scientific Tehnology and Social Change, p.331;

أما الفلسفة الإنتاجية فهى كالشعر والخطابة . واعتبر أرسطو المنطق آلة – أى أداة أو مدخلا لكل العلوم ، وبهذا لا يكون فرعا من فروع الفلسفة .

ويقوم فكر أرسطو الاجتماعي أساسا على قضيته المشهورة : الإنسان حيوان سيــــاسى Political Human Reing – أى كائن اجتماعى Social Being ، فطبيعته هى التى تدفعه إلى أن يعيش فى وسط جماعة ، ولا يمكن فصله عن الحياة فى المجتمع ، فالإنسان لا يفسر وحده ولا يكتفى بذاته ، لا من ناحية استمرار النوع ، ولا من ناحية الدافع الدائم عن الحياة وصيانتها ، ولا من ناحية نمو الأفكار والقوى الأخلاقية التي هى غاية الحياة العليا . واستمد من هذه القضية ضرورة وجود العلاقات الاجتماعية ليمكن للشخصية أن تنمو وأن تتخذ الطابع الانسانى ، كما اشار إلى شذوذ الشخصية التى تتجه أتجاها غير اجتماعى .

ومن ذلك يتبين أن أرسطو يختلف عن أفلاطون فى نظرته للاساس الذى تقوم عليه الحياة الاجتماعية ، إذ بينما أفلاطون يرد هذا الأساس على الحاجة الاقتصادية التي تدفعه إلى أن يجتمع مع عدد من الأفراد كي يشبعوا حاجات بعضهم ، ومن مجموع هؤلاء الأفراد تتكون الدولة التي يعدها بمثابة وحــدة مثالية كاملة ليس للافراد فيها وجود مستقل ، فان أرسطو يرده إلى غريزة طبيعية فى الإنسان – إلى اجتماع الإنسان بأخيه الإنسان ، فالإنسان فى رأيه حيوان اجتماعى .

وتناول أرسطو الظروف التى تجعل الإنسان مسئولا عن أفعاله ، وميز بين الأفعال الطوعية وغير الطوعية . وفى الأعمال الطوعية يمدح الإنسان فعله أو يلام عليه . أما غير الأفعال الطوعية فهى الأفعال الاضطرارية أو التي تتم عن جهل

وهى تتم دون وجود محرك لها أو دافع ، كالأفعال التى نقوم بها عند الخوف أو ظهور شر(١) .

وميز أرسطو بين الحياة النظرية والحياة العملية ، وبين العمل ووقت الفراغ ، واعتبر العمل مرتبة دنيا إذا ما قيس بوقت الفراغ . وتقوم السعادة ـ عنده ـ على نوع من التوازن ، وتؤدى إليها الحياة العقلية والفلسفية ، ولا يستطيع فرد أن يتمتع بهذه للسعادة إلى الأبد ، وذلك عدا الآلهة التى تعطى الإنسان قدراً ضئيلا من سعادتها . إلا أن سعادة المجتمعات موضوع محل شك ، ولذلك فان المجتمع الإنسانى يجب أن يضمن ولو قدر ضئيل من السعادة للانسان(٢) .

وبين أرسطو أن المجتمع يتكون من عناصر مختلفة وغير متجانسة ، وهذا الاختلاف فى نظره هو الشرط الأساسى لتعاونها ، كما أنه الشرط الذى ينظم علاقات التبعية والسلطة . فالتدرج ونظام الحكم وتقسيم العمل كلها تنتج عن هذا الاختلاف أو عدم التجانس بين الأجزاء المكونة للمجتمع . وينشأ عن مجموع هذه العناصر نوع من التوازن الذى يضمن مصالح الجميع . ويتحطم هذا التوازن : ـ

(ا) عند ما ينمو أحد عناصر المدينة فى العدد بالنسبة للعناصر الأخرى ،

(b) Harry Elmer Barnes, An Introduction to the History of Sociology, P. 14.

(2) See Ralf Dahrendorp, Life chances, Approach to social And Political Theory P.22 & pp. 148 – 149

(ب) عند ما يزيد مجموع السكان بشكل ملحوظ[١] .

وقارن أرسطو المجتمع بالكائن الحى ، كلاهما – كما يقول – يخضع لقانون المولد والنمو والموت ، وهو فى هـــذا يشير إلى أن التغير هو الشرط الأول فى بناء المجتمع وفى حياة المجتمعات ، مدحضاً بذلك محاولة أفلاطون لإنشاء نظام ثابت لا يتغير . وهو بهذا إنما يلمح إلى فكرة التطور الاجتماعى وتطور الحياة الاجتماعية من البساطة إلى التعقيد .

ونجد أرسطو الأسرة واعتبرها الخلية الأولى فى المجتمع ، وهي المؤسسة الطبيعية الأولى التي قامت للوفاء بالحاجات اليومية للفرد ، وتحقق له سبل العيش وناقش ذلك من خلال « علم الثروات » ، فالأسرة فى حاجة ماسة إلى تحصيل الثروة لتقضى حاجاتها الضرورية ، وتتفق مع مطالبها الخاصة . وتتألف الأسرة من الزوج والزوجة والبنين والعبيد ، والرجل هو رب الأسرة ، فقد وهبته الطبيعية القوة الجسمانية ، والعقل الكامل . ومن ثم يستطيع أن يدير شئون المنزل . أما المرأة فهى أقل منه عقلا ، ولا يجب أن تتدخل فى شئون السياسة والجندية ، وإنما عليها تربية الأولاد.

وهكذا اختلف أفلاطون عن أرسطو فى موضوع مركز المرأة ، فإذا كان أفلاطون نادى بمساواة المرأة بالرجل حتى فى الأمور السياسية والعسكرية فان أرسطو يعتبر الرجال قوامين على النساء .

والأسرة – كما يرى أرسطو – هى أسفل مراتب المؤسسات الإنسانية ، وتأتى القرية بعد الأسرة فى درجة أعلى منها ، فمن اجتماع عدة أسر تنشأ القرية

---

(١) د. السيد محمد بدوى . مبادىء علم الاجتماع ص ٣١ .

وهى وحده اجتماعية أوسع نطاقا ، وتقوم بوظائف اكثر تنوعاً من الأسرة ، لأن طبيعة تكوينها تسمح بتقسيم العمل . ثم يأتى التطور الثالث والأخير ، وهو دولة المدينة — وهى تنتج من تجمع عـــدة قرى — باعتبار أنها أعلى المؤسسات الإنسانية بما تعنيه من الوفاء بأعلى درجات القيم والأهداف ، وبمـا تضمنه من تقييم اجتماعي واعتبرها أرسطو أرقي صور الحياةالسياسية، اما الكيانات السياسية المترامية الاطراف كالإمبراطورية الفارسية — مثلا — فهى مركبات غير متجانسة. ومن هنا فقد تولدت دولةالمدينة عنحاجاتالحياة واستمدت بقاءها من قدرتها على قضاء تلك الحاجات ، ومن ثم فهى تجمع تلقائى طبيعى من حيث أن الإنسان كائن اجتماعى بالطبع ، وان الذى يبقى منعزلا هو إما « بهيمة او إله » . وهى تحقق سعادة الأفراد لانهم بدونها لا يمكن ان يسعدوا . وهى فى نظرة أسمى من الفرد والعائلة والقرية ، لانها تسبقهم ، ولأن الكل بالضرورة سابق عنوجود الاجزاء ، ولا وجود للجزء إذا فسد الكل .

ويضع أرسطو شروطاً ضرورية يجب توافرها لقيام دولة المدينة الفاضلة أهمها : —

(ا) الشرط الاول مساحة المدينة ، ليستفسيحة الارجاء ، وان تكون متناسبة مع حاجات المواطنين ، وبحيث توفر لهم الحياة السهلة . ويجب أن تقسم أراضى المدينة بين مواطنيها بحيث ينال كل واحد منهم جزء معينــاً فى داخل المدينة وجزء آخر فى اطرافها حتي يشتركوا جميعا فى الدفاع عنها .

(ب) والشرط الثانى خاص بموقع المدينة وتكوينها المورفولوجى ، وان تكون من تربة خصبة يسهل استغلالها ، ويجب ان تكون صعبة المدخل

بالنسبة للاعداد المغيزين ، وان يتوفر فيها الحصون والقلاع ، ومن الضرورى أن تكون المواصلات سهلة داخل اراضيها لان وعورة البيئة من شأنه ان يعوق تقدمها .

(ح) والشرط الثالث يتعلق بعدد السكان ، إذ ينبغى الا ينقص عن الحد الأدنى الضرورى لكفاية المدينة ، والا يعدوا حداً أقصى حتى لا يختل النظام ويتعذر قيام الحكم الصالح ، وضماناً لسلامة الأمور وتوزيع المناصب حسب الكفايات يجب أن يسمع كل مواطن الآخر فى مجلس المواطنين ، وأن يعرف اعضاء الحكومة بعضاً حق المعرفة . اما إذا كثر عددهم فان الامور تجرى اتفاقاً . وشبه أرسطو ذلك بالسفينة التي لا يجب أن تكون بحجم كبير يعوق حركتها . ولهذا يقرر أرسطو عدداً من الإجراءات التعسفية ، مثل الاجهاض وإعدام الأطفال ناقصى التركيب والمشوهين وفاسدى الأخلاق ، وتحريم الزواج على الشيوخ والعجزة[1] .

وبحث أرسطو ١٥٨ دستوراً لبعض المدن اليونانية ، وحاول عن طريق هذه الدراسة استنباط قواعد وقوانين خاصة بالحياة السياسية في المجتمع الانسانى . فقسم الحكومات الى ملكية واستقراطية وجمهورية . وفى ظل الديموقراطية أو الاستقراطية والاليجاركية يستحوذ شخص أو أكثر على السلطة وهى تقوم على عدم المساواة فى المولد والقوة والثروة . ففى ظل النظام الاوليجاركي ـ مثلا ـ يحكم أغنياء المجتمع ، وفى ظل الديموقراطية يحكم فقراء المجتمع . وفي ظل الحكومة الجمهورية يباشر الشعب أمور الدولة . ولهذا وجد

(١) د. مصطفى الخشاب . المرجع السابق ص ٦١ — ٦٢ ، وانظر :
Graham wallas, Humam Nature in Politics: P. 270.

أن الحل هو فى إنشاء دولة مثالية تحقق سيادة القانون ، ويسود العقل بدون أن ينحرف بتأثير العاطفة أو الهوى . وهو شكل عملى متوسط يتولد عن تجنب التطرف فى الديموقراطية أو فى الاوليجاركية سماه أرسطو «البوليتا» او الحكومة الدستورية . وهو شكل مختلط من الدستور ينبع من الجمع بين العناصر الصالحة فى الديموقراطية والاوليجاركية معاً ، وأساسها الاجتماعى هو وجود طبقة متوسطة قوية تتألف من أولئك الذين هم ليسوا أغنياء جد الغنى ، ولا الفقراء غاية الفقر ، وهذه الطبقة هى التى تستطيع أن تنقذ الدولة وهى تتبع المبدأ العقلانى .

وناقش أرسطو الأسباب العامة التى تؤدى إلى قيام الثورات وتغيير الدساتير . وفى رأيه فهى لا تنشأ عن المصادفات أو الاهواء أو المنازعات الشخصية ، ولكنها ترجع إلى أسباب عميقة فى طبيعة التنظيم السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى الدولة .

ولعل اهم سبب ترجع إليه معظم الثورات هو سوء استخدام المبدأ الذى تقوم عليه الحكومة والإفراط فى استخدامه ، فيجب على كل دولة تريد ان تتجنب الانقلابات السياسية ان تقلل إلى حد ما من التطبيقات التعسفية .

وتكمن الثورة — فى رأيه — كذلك فى عدم المساواة ، فالرغبة فى المساواة هى أساس قيام الثورات . إذ يسعى فريق من الناس إلى الثورة بسبب السمو الذى يملأ عاطفتهم ، يشعرون بعدم المساواة لانهم فى مراكز أعلى من الآخرين وتعجل الطبقة السفلى بالثوره لتحقيق المساواة . اما المتساوون فهم يسعون للثورة سعياً وراء السمو والرفعة[1] .

(1) John Rees, Eqnality, P. 92.

ومن العوامل الهامة في قيام الثورات اختلاف الأصول والأنساب وعدم إنصهار السلالات التي تدخل في تكوين الدولة ، ويرجع أرسطو هذا العامل إلى تخويل الأجانب حق الإقامة في المدينة ، مما يتسبب عنه الصدام العنيف بين المواطنين والاجانب لا سيما إذا زاد نفوذهم .

وينبه أرسطو إلى العامل المورفولوجي ، وذلك عند ما تمنع البيئة الجغرافية من أن تكون للمدينة وحدة حقيقية ، فقد تختلف الآراء السياسية من جزء لآخر ولا تتمثل رغبات الأجزاء مما يتعذر معه قيام رأى واحد فتقوم الثورة.

ويربط أرسطو بين ظاهرة الثورة وظاهرة التغير الاجتماعى ، باعتبار أنه إذا تخلف النظام السياسى عن الاستجابة إلى لزومية التغيير فقد عنصر المرونة فيه ، ومن ثم فتح الباب على نفسه أمام طريق العنف السياسى أيا كانت صورته ودرجته ، وذلك لإحداث التغيير والذى يتمثل فى صورة أصلية في ظاهرة الثورة

وهكذا يتبين أنه إذا كان أفلاطون قد اتبع المنهج العقلى مستخرجا من ذات الإنسان أصول الدولة ونظامها مع عدم إهمال المنهج التاريخى تماماً ، إذ قد عرف تماما حكومات زمانه ، ورسم صورة واضحة للطغيان الذى كان شائعاً فى فارس ، فان أرسطو على عكس أفلاطون قد نهل من مجريات الحوادث التاريخية والظواهر الاجتماعية(٢) .

---

(1) John Reel, Equa lity, P.62.

(٢) د. على عبد المعطى محمد ، المرجع السابق ص ٩٢ .

التفكير الاجتماعى عند الرومان القدامى

تقـــديم :

انقضى عهد الفكر الاجتماعى العظيم منذ انقضاء كتابات أرسطو ، ذلك أن الرومان لم تكن لهم ابتكارات كبرى فى علم الاجتماع(١) . إلا أن الفكر الاجتماعى عامة والفكر السياسى والقانونى خاصـــة عند الرومان كان لهما دور هام . فها هو فيتروفيوس Vitrovius كتب فى فن العمارة ، وألفنجالين Galen فى علم الطب ، وكتب فيجيتيوس فى المناهج العسكرية . وتبادل رجال القانون أصل وطبيعة وشرعية السلطة السياسية(٢) .

ولا ترجع هذه الأهمية إلى أصالة الرومان فى تفكيرهم الاجتماعى والسياسى بقدر ما ترجع إلى ذلك الدور الكبير الذى لعبته روما فى تطبيق المبــــادىء القانونية والسياسية والإدارية العامة تطبيقاً عمليا فى الشعوب التى أخضعوها، فأقاموا أنساقا من القوانين كانت تعتبر مقاييسا للتنظيم الاجتماعى فى العالم الذى عرفوه . كما ترجع أهمية الفكر الرومانى إلى ذلك الدور الهام الذى لعبته روما فى نقل التراث اليونانى ـ خاصة التطورات الرواقية ، فيما يتعلق بالمساواة الإنسانية والأخوة بين الناس ، وقيمة الفرد بالرغم من ضآلته . وقد نقل إلى الدول الأوربية بفضـــل اتساع رقعة الإمبراطورية الرومانية شرقا وغربا .

(1) Juston Bouthoul, Histoire de La Sociologie, P.

(2) Harray Elmer Barnes, OP. Cit, P. 13.

ماركوس توليوس شيشرون

(١٠٦ — ٤٣ ق.م)

ولد شيشرون Cicero في روما عام ١٠٦ ق.م ، وينتمى إلى أسرة من طبقة الفرسان . وتلقى العلم على خبرة أساتذة عصره ، فقد درس القانون في روما ، والفلسفة في أثينا ومارس الخطابة والكتابة والمحاماة والسياسة ، واشترك في الحيـــاة العامة ، وتقلد مختلف مناصب الدولة ، وكان قنصلا عام ٦٣ ق.م . وناصب شيشرون « الحكومة الثلاثية الأولى » (قيصر وبومبي وكراسوس) عداء شديداً ؟ وكان يدعوهم « الطغاة الثلاثة » .

ترك شيشرون عدة كتابات أهمها كتابية « الجمهورية » و « القوانين » ، وأخذ من المؤرخ الرومانى بوليبيوس إعجابه بدستور روما ، واستعاد عنه فكرة تعاقب الحلقات الاجتماعية وتعاقب الحكومات ، إذ يرى أن الطبيعة الاجتماعية في تطور دائم ، فان تجمدت فانها تصبح فى حالة العجز التـام . ورفض جمهورية أفلاطون الخيالية رغم اعترافه بجمالها . كذلك انطبعت فلسفته بالرواقية ، فقد أخذ عنهم رأيهم فى الأخوة الإنسانية ، فالإنسان أخ لأخيه الإنسان . ومال إلى رأى أرسطو القائل بأن المجتمع يرجع إلى غريزة الإنسان الاجتماعية أكثر من ميله للرأى الأبيقورى الذى كان يذهب إلى أن المجتمع يقوم بسبب ما يشعر به الإنسان من ضعف إذا عاش فى عزلة عن أشباهه من الناس ، إلى جانب ما يشعر به من فوائد تعود عن الاجتماع . ونقل عنه فكرة « المدينة » كبؤرة للسياسة ، غير أنه وسع فى نطاقها من ناحية ، وتأثر بعقليته القانونية من ناحية أخرى ـ ذلك أن شيشرون كان من فقهاء القانون الرومانى

والجمهورية ـ فى رأيه ـ هى المجتمع السياسى ، وهى الشعب ، وليس كل مجتمع بشرى يعد شعبا ، وإنما الشعب هيئة رباطها التوافق الشرعى ، والصالح المشترك .

ويرى شيشرون أن الدولة جماعة معنوية تتضمن مجموعة من الأشخاص يملكون الدولة وقانونها بالمشاع فيما بينهم ، أو هى « مصلحة الناس المشتركة » . وهى يجب أن تلتزم بالاعتراف الدائم بالحقوق والالتزامات التى تربط مواطنيها بعضهم ببعض ، وعلى أساس العلاقات المشتركة بينهم وفق مبادىء محددة هى :

١ ـ أن سلطة الدولة تنبثق من قوة الافراد أجمعين ، ما دامت أنها بقوانينها ملك الناس أجمعين ، فالافراد يكونون بمثابة منظمة تحكم نفسها بنفسها ، وتملك بالضرورة القوة اللازمة لحفظ كيانها واستمرارها فى البقاء .

٢ ـ أن استخدام القوة السياسية استخداما سليما وقانونيا هو فى حقيقته استخدام لقوة الناس مجتمعين ، وأن الموظف العام الذى يمارس استخدام هذه القوة ، إنما يعتمد على ما لديه من السلطة المخولة إليه من الناس والقانون .

٣ ـ أن الدولة ذاتها بما فيها القانون ، تخضع دائما للقانون السماوى ، وللقانون الاخلاقى أو القانون الطبيعى العام ، ذلك القانون الذى يسمو على القانون البشرى الدنيوى(١) .

---

(١) د. على عبد المعطى ، د. محمد على محمد . المرجع السابق ص ١٠٢ .

لوسيوس أنيوس سنيكا Semeca
(٣٠ ق.م ، ٦٥ م)

ولد فى قرطبة (Corduba) ، وسرعان ما جيء به إلى روما ، وتلقى فيها كل ما كان يستطيع أن يتلقاه من تربية وتعليم . وتشرب الفلسفة عن أبيه ، والرواقية من أتالس Attalus ، والفيثاغورية من سوتيون Sotion ، والفلسفة العملية من زوج عمته حاكم مصر من قبل الرومان . ومن رسائله : فى الغضب ، وفى قصر الحياة ، وفى هدوء الروح ، وفى الرحمة ، وفى الحياة السعيدة ، وفى ثبات المسرح ، وفى الفوائد وفى حسن التدبير(١) .

وكانت الاوضاع الاجتماعية السيئة أحد المصادر التي ولدت عند سنيكا ألما وشعوراً بالسخط ، كما أن إقرار المسيحية كدين رسمى للامبراطورية الرومانية نتيجة عوامل التغير الاجتماعى ، ومنها المرحلة الفكرية التي سادت الإمبراطورية الرومانية ، جعل سنيكا يمثل الجانب الدينى في مقابل شيشرون الذى كان يمثل الطابع القانونى . فقد ذهب سنيكا إلى القول بعالمين للانسان هما : عالم صغير هو عالم المدينة التي يحيا فيها ، وعالم أكبر هو عالم دولة تتكون من الكائنات العاقلة التي تربط الانسانية بعضها ببعض . وفى تصوره من هذا العالم أنه يسوده علاقات معنوية ودينية بدلا من الروابط القانونية السياسية . وعليه يجد سنيكا حالة الطبيعة الفطرية ، ورأى أن الدولة ليست هي الإطار العام للكمال

---

(١) ول ديورانت . قصة الحضارة ــ الجزء الثالث من المجلد الثالث ــ قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية ص ١٧٤ ــ ١٧٦ .

المعنوى ، بل اعتبر الحياة الفطرية الطبيعية هى هذا الإطار وفى هذا العصر الذهبى عاش الانسان بلا ضغط أو إلزام أو خضوع لاية سلطة أخرى إلا سلطة عقله ، كما كان الناس متساويين إذ لم يكن عنصر الملكية الفردية قد دخل الحياة بعد . والسبب الرئيسى فى القضاء على هذا العصر الذهبى هو ظهور مبدأ الملكية الفردية إذ ما أن ظهر هذا النظام حتى تاق الافراد إلى التخلص من الملكية الجمعيـة وتشبعوا بشهوة الحرب وراء الثروة والجاه . ثم ظهرت ضرورة إنشاء نظم اجتماعية وسياسية لكى تحد من هذه الشرور[1] .

ومن آرائه أن الحكيم لا يتحتم عليا أن يكون فقيراً ، فاذا جاءه المال عن طريق شريف كان فى وسعه أن يقبله ، ولكن يجب أن يكون فى مقدوره أن يتخلى عنه متى شاء دون أن يندم عليه . ويرى أننا لا نستطيع أن نكون عقلاء حكماء فى كل شىء ، وأننا لسنا حقيقة أمرنا إلا قطعا متنـاثرة فى الفضاء اللانهائى ، ولحظات قصيرة فى الأبدية ، وإن محاولة هذه الدراسة المتشعبة أن تصف الكون ، أو الكائن الأعلى ، لعمل ترتج منه الكواكب سخرية ومرحا .

والفلسفة عند سنيكا هى علم الحكمة ، والحكمة هى فن العيش ، والسعادة هى الغرض الذى نبتغيه ، ولكن الطريق إليها هو الفضيلة لا الرذيلة ... وسوف ننال آخر الأمر بالشرف والعدالة ، والحلم ، والرأفة ، قدراً من السعادة أكثر مما تناله بالجرى وراء اللذة . وما من شك فى أن اللذة طيبة مستحبة ، ولكنها لا تكون كذلك إلا إذا اتفقت مع الفضيلة .

---

(١) د. حسن شحاته سعفان . المرجع السابق ص ٥٦ .

ولكن كيف يحصل الإنسان على الحكمة ؟ إن السبيل إلى ذلك أن تمارسها كل يوم بقدر مهما يكن ضئيلا ، وأن تمتحن سلوكك فى آخر كل يوم ، وأن تكون قاسيا على أغلاطك ، لينا على أغلاط غيرك ، وأن تصاحب من هم أعظم منك حكمة وفضيلة(١) .

خلاصـــة

يتضح من هذا الفصل أن القدماء المصريين قد ساهموا مساهمة كبرى فى الفلسفة الأخلاقية والوعي العلمى . فقـــد عرفوا نظام المدينة ، وظهر فى العصور الفرعونية الفن وعلم العمارة والتخطيط الهندسى والفلسفات الأدبية والأخلاقية . كما اهتم بعض المفكرين بوصف وقائع الحياة ومحاولة ربط بعضها ببعض ، واحتلت نظرية الطبقات قدراً كبيراً من تفكيرهم .

ويتبين كذلك أن قوانين مانو من أقدم التشريعات فى الهنـــد ، وبها نصوص تشيد بفضل الجزاء فى حفظ الكيان الاجتماعي واستقرار النظام . ثم جاءت البوذية ونادت بوجوب المساواة بين المواطنين . أما الفلسفة الصينية القديمة فقد امتلأت بالمبادىء الأخلاقية ، ومستوى من السلوك ، وفلسفة للحياة . ومن أهم الشخصيات فى الفلسفة الصينية « كونفوشيوس » و« مانشيوس » .

واتضح أن الإغريق وضعوا الأسس التي قام عليها بعد ذلك الفكر الغربى

---

(١) ول ديورانت . قصة الحضارة ـ الجزء الثالث من المجلد الثالث ـ قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية ص ١٧٧ ـ ١٨٢ .

وكانت عقليتهم سياسية وتدور أفكارهم حول الحرية ، ويتمثل ذلك في فلسفات هيرودتس والسوفسطائيين وسقراط وأفلاطون وأرسطو .

واستبان من هذا الفصل أن الرومان لعبوا دوراً كبيراً في تطبيق المبادىء القانونية والسياسية والإدارية تطبيقا عمليا في الشعوب التي أخضعوها. كما قام الرومان بنقل التراث اليوناني . ومن أهم الشخصيات الفلسفية الرومانية شيشرون وسنيكا .

الفصل الثالث

التفكير الإجتماعي عند فلاسفة المسيحيين (العصور الوسطى)

تقديم :

لم تأت العصور الوسطى بجديد في الموضوع ، ولكنها نمت الأفكار السابقة وتوسعت ، ولعل الفكرة الحقة ، التي جاءت بهـــا المسيحية هي المساواة بين الأفراد ، فليس هناك أغنياء وفقراء ، وسادة وعبيد ، وأحرار وأرقاء .

القديس أوغسطين (٣٥٣ — ٤٣٠ م)

ولد بتجستى فى شمالى أفريقيا لأب وثنى وأم مسيحية ، فشب اول الأمر على وثنية أبيه ، لكن أعتنق المسيحية فى سن الرابعة والثلاثين ، ودافع عن الكنيسة دفاعا قويا جعله فى العـــالم المسيحى بمنزلة الإمام . أيقن أوغسطين بوجود العقل فالشك فيه هو نفسه تفكير عقلى ، ووجود العقل فى الانســان دليل على وجود الله ، وإلا فمن أين تأتى للعقل مقاييسه التى يميز بها بين الحق والباطل ؟ إنها بالطبع لم تأت من العـالم الطبيعى عن طريق الحواس ، لأن المعرفة الحسية كلها موضع شك من العقل حتى يثبها أو ينفيها . إن مصدرها هو الله . ويرى أوغسطين أن السبيل إلى الخير الأسمى هو الإتحاد بالله بواسطة التـــأمل . وأقوى دافع إلى الخير والفضيلة هو الحب ، حب الله وحب الإنسان .

ويرى أوغسطين أن الحياة الإجتماعية تقوم فى نشأتها على مبادئ القانون

الطبيعي ، غير أنه نظراً للخطايا التي وقعت فيها ذرية آدم وعبثهم باصول العقل والأخلاق ، أصبح القانون الوضعي ضرورة إجتماعية . ومن هذه الضرورات إستحدث السلطة الزمنية دعائمها .

وعرف أوغسطين المجتمع بأنه ليس حشداً من الأفراد كيفما أتفق ، ولكنه جماعة من الأفراد يشتركون فى الأفكار والعواطف ويؤلفون وحدة معنوية تقوم على الرضا والمحبة ، ويهدفون إلى غايات مشتركة . ولما كان الله تعالى قد أودع فى قلوب بعض الأفراد محبة الذات ، وفى قلوب البعض الآخر محبة الله ، أصبحنا أمام طائفتين من الناس : أهل مدينة الله أو السماء وأهل مدينة الدنيا أو الأرض ، وللأولى نعيم خالد ، وللثانية حياة الرذيلة وعذاب الآخرة .

وفى رأيه أن الثقافة الحقيقية هى التى تدرك الوحدة بين العلوم وتسمو بنا إلى الخالق ، إلا أنه لم تخف عليه أخطار الثقافة من إعجاب بالنفس ، وإبتعاد عن الواقع ، وإستسلام إلى الشك ؛ لذلك تبقى الثقافة عقيمة مالم تنضم إليها الإرادة الأخلاقية والعقيدة الدينية .

ودرس أوغسطين نظام الملكية الفردية ، وأرجع حقها إلى الذات الإلهية فالله هو المالك الحقيقى ، والملكية ليست حقا وضعيا ، وليست حقا طبيعيا ، ولكنها تقوم على السلطة المدنية وتنحدر من أصل قدسى ، ولذا يجب على الدولة حمايتها وإقرارها ، وإقرار ما يؤدى إليها من بيع وشراء وبدل وهبة وإرث وغير ذلك . وعلى الحكومة أن تحارب وسائل التملك غير المشروعة كالسرقة والإغتصاب .

ودرس أوغسطين ظاهرة الرق ، وأعتبرها نظاما طبيعيا . وأقر ظاهرة

الحرب ، وأعتبرها ظاهرة لا غنى عنها فى الحياة الإجتماعية . وما دامت كذلك فيجب أن تسودها الرحمة وتنتفى فيها مظاهر التنكيل والعبودية (١) .

سالسبرى Sailisbury (١١١٥ — ١١٨٠ م)

قس إنجليزى ، أهتم بموضوع التمييز بين وظائف الدولة والكنيسة ، وفى رأيه أن رجال الدين فوق رجال السياسة ، وأكثر منهم ضرورة للمجتمع ، ويجب على الساسة ألا يتعدوا سلطاتهم المحدودة ، والتى إذا تعدوها فان على أفراد المجتمع أن يثوروا ضدهم ويخرجوهم . على أن الحكومة المدنية ضرورية لكبح جماح الشريرين .

ونظر سالسبرى إلى الدولة نظرة عضوية على غرار أفلاطون وأرسطو ، إذ شبه المجتمع بالجسم الإنسانى ، والطبقات الموجودة كأعضاء فى الجسم الإجتماعى الكبير فالحاكم هو رئيس النظام السياسى يقابل الرأس فى الجسم والكنيسة تقابل الروح ، واعضاء المجالس التشريعية يقابلون القلب ، والقضاة ورجال الإدارة يقابلون الحراس ، والجيش والموظفون هم بمثابة اليدين ، والمراقبون الماليون المعدة والامعاء ، اما العمال والفلاحون فيشبهون القدمين (٢) .

---

١ — د . مصطفى الخشاب . المرجع السابق . ص ٧٨

٢ — د . حسن شحاته سعفان . المرجع السابق . ص ٧٣

القديس توماس الإكويني (١٢٢٥ - ١٢٧٤ م)

فيلسوف ولاهوتي إيطالي ، من أشهر ممثلي الفكر الكاثوليكي . ولد لأسرة ذات نفوذ اجتماعي وسياسي ، وتعلم في دير مونت كسينو ، ثم في نابلي ، وانتظم في رهبنة الدومينكان عام (١٢٤٤) . تلمذ لألبير الكبير في باريس ، ثم عين أستاذاً في جامعة باريس (١٢٥٢-١٢٥٩) ، ثم سافر إلى إيطاليا حيث علم عدة سنين ، ثم عاد إلى باريس .

ألف الإكويني العديد من الكتب ، تناول فيها الفلسفة واللاهوت ، وفسر معظم كتب أرسطو ، وسرح معظم أجزاء الكتاب المقدس ، ويعتبر كتابه « حكومة الأمراء » من أهم بحوثه . وقد أكد ماذهب إليه أرسطو من أن بالإنسان غريزة حب الأجتماع ، ومن ثم اعتبر الاجتماع شيء طبيعي تترعرع فيه الجماعات من الكائنات الحية ، فهناك اجتماعات حيوانية ، وأخرى إنسانية غير أن الاجتماع الحيواني يصدر عن الغريزة ؛ بينما يصدر الاجتماع البشرى عن الطبيعة العاقلة والإرادة الإنسانية ، وذهب إلى أن المجتمع المدني يشمل ثلاث أفكار :

أولا : أن الإنسان اجتماعي بالطبيعة ، وأن المجتمع هو الوسيلة الطبيعية للانسان لكي يحقق أغراضه .

ثانيا : أن المجتمع يقوم على وحدة الغرض وتحقيق الآمال المشتركة التي يستهدفها الأفراد الذين يتكون منهم .

ثالثاً : لابد من وجود سلطة عليا لكي توجه المجتمع نحو الصالح العام ، ولكي تساعد الحاكم على اصطناع الوسائل للوصول إلى تحقيق الأهداف الاجتماعية ، وذلك لايتحقق إلا بتنظيم سياسي واسع يقوم على اتفاق بين

الحاكم والمحكومين ، والقانون الذى يخضع الأفراد له لا يمثل رغبة الحاكم بل يمثل رغبة المجموع أو رغبة الأمير الحاكم كممثل للجماعة .

وأكد الإكوينى أن السلطة العليا فى المجتمع إنما تصدر عن الله ، وأن الله يكلها إلى أفراد الشعب ، ومن ثم تأتى السلطة السياسية بعد السلطة الدينية. والحكومة فى نظره قد تكون صالحة أو فاسدة ، عادلة أو ظالمة ، والحكومة الصالحة هى التي يتوخى حكامها الصالح العام ، وتصبح فاسدة إذا توخى الحكام مصلحتهم الخاصة ، والأولى هى حكومة الأفراد ، والثانية هي حكومة العبيد والأرقاء .

وللاكوينى مجموعتان من المؤلفات هى :

١ ـ الخلاصة اللاهونية ، وهى عرض شامل للعقيدة المسيحية ، وفقا لمنهج علمى دقيق ، وهى موجهة إلى المؤمنين ليتبينوا حقيقة إيمانهم من ناحية صدوره عن الوحى غير مخالف للعقل .

٢ ـ الخلاصة ضد الأمم ، وهى دفاع عن العقيدة المسيحية ، استنادا إلى العهد القديم ضد اليهود ، وإلى العقل السليم ضد المسلمين .

ويمتاز مذهبه بالتفريق بين الفلسفة واللاهوت . فالأولى تعتمد على العقل وحده ، والثانى يعول على الوحى دون أن ينكر العقل . وفى هذا مايقرب بين الفلسفة والدين ، وفيه ثقة بالعقل الذى يستطيع أن نبرهن على وجود الله وصفاته ، ويصل إلى المعرفة اليقينية .

وفى القانون ميز الاكوينى بين ثلاثة أنواع من القوانين : القانون الأزلى ، وهو مشيئة الله ، ويكشف عن طريق الوحى . والقانون الطبيعى الذى

يكشف عنه الناس بعقولهم ، وهو القدر من القانون الأزلي الذى استطاع أن يصل إليه الانسان بعقله. والقانون البشرى ، وهو من وضع الانسان، ويجب أن يستمد من القانون الطبيعي .

وأوصى الاكوينى رجال القضايا بأن يرجعوا إلى ضمائرهم عند الفصل فى القضايا باعتبارهم أعضاء فى مجتمع لا باعتبارهم موظفين فى الدولة . والجزاء فى نظره يؤدى وظيفة أخلاقية ووظيفة اجتماعية . ووظيفته الأخلاقية تأديب المجرمين ، ووظيفته الاجتماعية إقرار العدل وسيادة الطمأنينة .

وفى التربية ألف كتابا عن « المعلم » عالج فيه مسائل التربية والتعليم الأساسية ، فقال : أن المعلم يجب أن يتحلى بصفات سامية أخلاقية فى الدرجة الأولى ، كما أنه يحتاج إلى فكر مثقف ، وإلى معلومات واسعة ، ومعرفة بالروح الإنسانية ، وطرائق العقل في تحصيل العلم . وينبغى أن يكون هدف كل نظام تعليمي تعويد الطفل استخدام كل طاقاته الفكرية . وصرح أن التربية ليست مجرد تلقين ، وإنما هى إثارة وتوجيه للفكر ، حتي تنكشف قدرته الطبيعية . كذلك دعى إلى العناية بالتربية البدنية .

وعرض الاكوينى لظاهرتى الملكية والرق ، واعتبر الملكية ظاهرة جائزة شرعا ، فهى اصطلاح اجتماعي نافع يحقق الخير العام ، وهى ليست شرا فى ذاتها ، وإنما الشر فى الاستئثار بالمنافع وحرمان الفقراء ، إلا أنه قرر أن أن الفقر إذا أصبح عاما ، فان الأشياء يجب أن تصبح عامة وملكيتها تصبح مشتركة . واعترف الاكوينى بنظام الرق ، وسلم بأنه يؤدى وظيفة اجتماعية .

خلاصــة

تبين من هذا الفصل أن الأفكار السابقة نمت وتوسعت في العصور الوسطى، وكانت الفكرة الحقة التى جاءت بها المسيحية هي المساواة بين الأفراد ، ويتمثل ذلك فى فلسفات القديس أوغسطين وسـالسبرى ، والقديس توماس الاكوينى .

الفصل الرابع

التفكير الاجتماعى عند فلاسفة المسلمين

تقـديم

ظهر الإسلام فى القرن السابع الميلادى ، وانتشر فى كثير من بلدان العالم ، وانتشرت معه آراء ومبادىء اجتماعية جديدة وردت فى القرآن، وفى الأحاديث النبوية وأبرزها الآتى :

١ ـ كان للاسلام آراء تتعلق بالأسرة والملكيه والزكاة ، وآراء فى الاجتماع والفلسفة والدين ، وظهرت معه علوم جديدة مثل علم التوحيد وعلم الكلام .

٢ ـ وفيما يتعلق بالفكر السياسى ظهر النظام الديموقراطى متمثلا فى الشورى ، وما يصاحبها من حرية الرأى ، ونادى الإسلام بالمساواة بين الناس ، ووضع قواعد للعلاقة بين الرجل والمرأة .

٣ ـ اهتم القرآن بالأدب القصصى ليصف مجتمعات فى أزمنة معينة ، وأوضح هذا الوصف الاختلافات بين المجتمعات فى العادات والتقاليد .

٤ ـ نوه القرآن إلى الناحية العلمية الوضعية فى الملاحظة كقوله تعالى (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) .

وكان الفارابى وابن خلدون من أبرز المفكرين الإسلاميين فى مجال الفكر الاجتماعى والسياسى .

أبو النصر محمـــد الفرابى

(٨٧٢-٩٥١م)

سمى الفارابى نسبة إلى فاراب ببلاد الترك ، وهو أشهر فلاسفة وحكماء المسلمين . ولد عام ٢٥٩ هـ (٨٧٢/٨٧٣م)، وتوفى عام ٣٣٩ هـ (٩٥٠/٩٥١م) . درس على يوحنا بن جيلان ، وصحب متي بن يونس وهو من كبار مترجمى الفلسفة اليونانية . شرح كتب أرسطو المنطقية والطبيعية والأخلاقية ، فلقب بالمعلم الثانى بعد أرسطو . ويقول عنه المؤرخون « الحكماء أربعة اثنان قبل الإسلام وهما أفلاطون وأرسطو ، واثنان بعد الإسلام هما أبو نصر الفارابى وأبو على بن سيناء » ومن أشهر كتبه «إحصاء العلوم» ورسالة فى «معانى العقل» و« كتابات السياسات المدنية » و«آراء أهل المدينة الفاضلة »و« الجمع بين رأيى الحكيمين أفلاطون الإلهى وأرسطو » .

ويرى الفارابى أن الإنسان والحيوان يشتركان فى الاحساس والنزوع، ويمتاز الانسان بارادته الصادرة عن الفكر والروية وأوضح حاجة الانسانية للاجتماع والتعاون كهدف فى حد ذاته . وهو بذلك يتفق مع أرسطو فى أن الانسان حيوان اجتماعى ، وقسم المجتمعات إلى نوعين : مجتمعات كاملة ومجتمعات ناقصة ، والمجتمعات الكاملة هى التى يتحقق فيها التعاون الاجتماعى بأكمل صوره ، والمجتمعات الناقصة هى التى لا تستطيع أن تكفى نفسها بنفسها ، ولا تحقق لأفرادها السعادة المنشودة .

والمدينة الفاضلة — فى رأيه — هى التى يتعاون أفرادها على الأمور التى تنال بها السعادة ، واقتضى كل من أفرادها بالعمل الذى يحسنه، والوظيفة المهيأ لها بطبعه وحسب استعداداته .

وأهم وظائف المدينة هي وظيفة الرئاسة ، وذلك لأن الرئيس هو منبع السلطة العليا ، وهو المثل الأعلى ، ومصدر حياة مدينته ، ولذلك لا يصلح للرئاسة إلا من زود بصفات فطرية ومكتسبة تتمثل فيها أقصى ما يمكن أن يصل إليه الكمال في الجسم والعقل والعلم والخلق والدين(١) .

ويشترط الفارابي فيمن يصلح لتولي رئاسة المدينة الفاضلة إثنتا عشر فضيلة بصفة طبيعية ، وست فضائل عن طريق الاكتساب .

والفضائل الطبيعية هي على الترتيب .

١ ــ أن يكون الرئيس تام الأعضاء سليم الحواس حتى يؤدي مهامه بنجاح .

٢ ــ أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال أمامه .

٣ ــ أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ولما يسمعه ولما يدركه .

٤ ــ أن يكون ذكيا فطنا في تصوره للأمور .

٥ ــ أن يكون حسن العبارة يواتيه لسانه على إبانة كل ما يضمره إبانة تامة .

٦ ــ أن يكون للعلم لا يؤلمه تعب التعلم ولا يؤذيه الكد الذي يناله .

٧ ــ أن يكون بطبيعته غير شره في الأكل والمشرب ، ويبغض اللذات الدنيوية .

٨ ــ أن يكون محباً للصدق وأهله كارهاً للكذب .

٩ ــ أن يكون كبير النفس ، محبا للكرامة ، تعاف نفسه ارتكاب الدنايا .

١٠ ــ أن يكون أغراض الدنيا عنده هينة ، لاقيمة للأموال في نظره ولا يسعي إليها .

١١ ــ أن يكون بالطبع محبا للعدل وأهله ، وباغضا للظلم .

---

(١) د . مصطفى الخشاب . المرجع السابق ص ٩١

١٢ – أن يكون قوى العزيمة على الشيء الذى يرى أنه ينبغى أن يفعل ، ومقداما غير خائف ولا ضعيف النفس .

أما الست صفات المكتسبة فيحصل عليها أثناء حياته ، وهى على الترتيب:

١ ـ أن يكون حكيما ـ أى فيلسوفا .

٢ ـ أن يكون عالما حافظا للشرائع والسنن .

٣ ـ أن يكون له جودة استنباط فيما يحفظه عن السلف .

٤ ـ أن يكون له جودة روية ، وابتكار تسمح له بتشريع مبتكر فى الأمور التى لم يحدث لها نظير فى عهد سلفه .

٥ ـ لا يكفى أن يكون الرئيس ملما بالشرائع السابقة بل يجب أن يكون قادرا على تعليمها للناس وإرشادهم إليها .

٦ ـ يشترط فى الرئيس أن يكون القائد الأعلى للجيوش ، فلا بد أن تساعده قوته البدنية على أداء هذه الوظيفة .

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

(١٣٣٢ – ١٤٠٦م)

هو ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسين بن جابر ابن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون ، من أسرة أندلسية كانت قبلا من العرب اليمنية فى حضرموت (١) ، نزحت الأسرة من الأندلس إلى تونس فى أواسط القرن السابع الهجرى . ولد ابن خلدون

---

(١) د. محمد عبد المنعم نور . أسس العلاقات الانسانية ـ دراسة أساسية للعلوم الاجتماعية . ص ٦٨ .

بمدينة تونس فى غرة رمضـان عام ٧٣٢ هـ (٢٧ مايو عام ١٣٣٢) والتى أصبحت حينئذ مركز العلماء والأدباء فى بلاد المغرب ، وعاش ما بين ٢٧ مايو ١٣٣٢ — ١٥ مارس ١٤٠٦م) . وتلمذ فى الفلسفة على يد ابن رشد .

وكان ابن خلدون رجل داهية وافر الذكاء يمتـاز بذهنية دقيقة . وقوة ملاحظة على التحصيل والإنتاج ، وقام بأسفار ورحلات وعبر البلاد الإسلامية من سمر قند إلى المغرب . كما قام بأنواع من الأنشطة متعددة الجوانب شملت ميادين الخطابة والقضاء والدرس والبحث والتدريس والتأليف ، كما عمل فى ميادين الإدارة والسياسة ، وخدم فى بلاط الملوك ، ولذلك صارت حيـــاته سلسلة طويلة من حوادث النجاح والفشل . . . ووصل إلى أعلى المراتب ومناصب الحكم في عهد ملوك عديدة ، ولـكنه فى الوقت نفسه تعرض إلى محن ونكبات متعددة .

وكانت دراسه ابن خلدون واقعية وفى ضوء ملاحظاته وتجاربه . فنظر نظرة فاحصة إلى الظواهر بقصد تحليلها وإستخلاص أسباب حدوثها وتعليلها . ووضع قواعد منهجية أهمها الملاحظة والنقد . وترجع أهمية دراسته الى إستخدام المنهج المقارن ، إذ لاحظ عن كثب تباين المجتمعات وتشابهها ، وأرجع هذه العوامل إلى أثر البيئة والعوامل الجغرافية فى أخلاقية الشعوب وأحوالهم الإقتصادية ، ومدى تأثر الظواهر السياسية بهذه العوامل . واتبع ابن خلدون كذلك المنهج العضوى . وكانت قوانينه وقضاياه الكلية مستمدة من ملاحظاته لظواهر الإجتماع .

وكان ابن خلدون أول مؤرخ دل على أخطاء المؤرخين ، وأقام قواعد للبحث التاريخى على أسس فى الطبيعة الإنســانية ، وبين أن للتاريخ قواعد يسير عليها فى مجراه مما يجعله أكبر معمل للتجارب البشرية إذا نقى ما علق به

عن ظنون وأغلاط . يقول ابن خلدون(١) : أما بعد ، فان فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال ، وتشد إليه الركائب والرحال ، وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال ، . . . ويتساوى فى فهمه العلماء والجهال ، إذ هو فى ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول ، والسوابق من القرون ، وتؤدى إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال واتسع للدول فيها النطاق والمجال . . .

وإن فحول المؤرخين فى الإسلام قد استوحوا أخبار اليوم وجمعوها ، وسطروها فى صفحات الدفاتر وأودعوها ، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها وابتدعوها . . . ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها ، فالتحقيق قليل .

ولما طالت كتب القوم ، وسبرت غور الأمس واليوم ، فأنشأت فى التاريخ كتابا ، رفعت به عن أحوال الناشئة من الأجيال حجابا ، . . . وأبديت فيه لأولية الدول والعمران عللا وأسبابا . وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن وما يعرض فى الاجتماع الإنسانى من العوارض الإنسانية ما يمتعك بعلل الكوائن وأسبابها .

وهكذا كانت نشأة علم العمران أو علم الاجتماع على يد ابن خلدون ، فالنظر فى الاجتماع البشرى وما يعتريه من ظواهر — كما يرى — ينبغى أن تكون موضوعا لعلم سماه علم العمران . وهو علم يدرس الظواهر الاجتماعية دراسة مستقلة ، وهى — أى الظواهر الاجتماعية — كغيرها من ظواهر

١ — ابن خلدون . مقدمة ابن خلدون ، ص ص ٧ — ٩ .

الكون الأخرى ، تخضع للدراسة العلمية لأنها لا تسير وفق الأهواء ، ولكنها محكومة بقوانين ثابتة نجهلها بسبب عدم وجود علم يبصر النـاس بنواميسها وأحكامها .

وأهم مؤلفات ابن خلدون التي كان لها صدى عميق وتأثـير علمى ضخم هي مقدمته في التاريخ وأسمها بالكامل « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » . وقد قسم كتابه إلى ستة فصول تستوعب تقريبا كل فروع علم الإجتماع المعروفة عند الاجتماعيين المحدثين ، وهي على التوالي : في العمران البشرى واصنافه ، وهو يقابل علم الإجتماع العام ، وفيه وضح ظواهر التجمع الإنسانى والقواعد التي يسير عليها التكتل البشرى . وفي العمران البدوى والأمـــم الوحشية ، وفيه تعرض للاجـتماع البدوى ، وأهم الخصائص المميزة له . وفي الدول والخلافة والملك ، وهو يقابل علم الاجتماع السياسى ، وفيه دراسة لقواعد الحكم والنظم السياسية . وفي العمران الحضرى والبلدان والامصار ، وهو يقابل علم الإجتماع الحضرى ، وفيه شـرح الظواهر المتصلة بالحضر وأصول المدنيات . وفي الصنائع والمعاش والكسب ، وهو يقابل علم الإجتماع الإقتصادى وفيه اهتم بتأثير الظروف الاقتصـادية على أحوال المجتمع . وفي العـــلوم واكتسابها وتعلمها ، وهي تقابل علم الإجتماع التربوى ، وفيه عرض للظواهر التربية وطرق التعلم ، والعلوم وتصنيفها . كذلك عالج ابن خلدون الاجتماع القانونى والدينى ، كما أشار في اكثر من موضع إلى الظواهر الخلقية واللغوية والجمالية .

والمجتمع الانسانى — فيما يرى ابن خلدون — ضرورى للانسان ، لأن

الإنسان مدنى بالطبع » أى لابد من الاجتماع الذى هو المدنية ، وهو معنى العمـران . . . ولو فرضنـا منه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا ، فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطحن والعجن والمطبخ، وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات ، لاتتم إلا بصناعات متعددة ، من حداد ونجار وفاخوزى ... ، ومن الزراعة والحصاد والدراسي . . وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضا فى الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه . . وهكذا أرجع ابن خلدون نشأة الحياةالاجتماعية إلى ثلاث عوامل .

(ا) الضرورة : ولها مظهران : ضرورة اقتصـادية لأن الفرد كما تبين لايستطيع أن يحصل على حاجاته إلا بالإجتماع . وضرورة دفاعية ، لأن الصراع الدائم بين البشر وبين الحيوانات المتوحشة أدى إلى الاجتماع والتعاون للاحتماء والقضاء على العدو المشترك .

(ب) الشعور الفطرى : الانسان مزود بشعور فطرى تلقائى يدفعه إلى الاستئناس بأخيه الانسان ، وبذلك يكون ابن خلدون جاوز الفطرية المادية إلى النظرة السيكلوجية .

(ج) ميل الفرد ورغبته الخاصة فى تحقيق فكرة الجمعية أى لابد من تدخل جانب الارادة فى المعيشة الجمعية (١) .

ويستطرد ابن خلدون . أن الحياة الاجتماعية وجدت خطرا آخر من الإنسان نفسه ، وهو يصدر عما تنطوى عليه فطرته من ميل إلى العدوان

---

(١) مصطفى الخشاب . المرجع السابق . ص١٠٣

على أخيه الإنسان ، ومن ثم هداه ما ركب فيه من فكر وسياسة من حيث هو إنسان إلى أن يخترع الدولة ليكبح بها جماح عدوانه من حيث هو حيوان.

ولذا أكد ابن خلدون مدى التلازم بين الدولة و المجتمع ، وشبه الصلة بينهما بالصلة بين الصورة والمادة اللتين يتلازمان في فلسفة أرسطو . وتتميز الدولة دون سائر النظم الاجتماعية الأخرى بالقهر والغلب والإكراه ، وهي بذلك تحقق السيادة المتمثلة في وجهيها الداخلي والخارجي . وهو إكراه لا لوجه الإكراه ، وإنما هو إكراه لوجه المصلحة العامة . ومن ثم فهو لم يفصل بين السياسة والأخلاق ، بل اعتبر الأخلاق هي الهادى للسياسة . وذهب إلى القول بأن الأخلاق في سياسة الدولة تكسبها قوة .

وتنبعث السلطة من القوة ، وهي تتجسم بالعصبية والشوكة ، حيث تكون لدى الجماعات التي تتصف بالشجاعة والترابط والوحدة ، والصبر على الشدائد. وتتحقق هذه الصفات عند الجماعة التي تعيش على البداوة والتقشف ، ويتمثل ذلك في الغزوات الكبرى التي حدثت في التاريخ على يد الجماعة التي تعيش على البداوة أو شبه البداوة كالجرمان والهون والعرب والمغول والتتار والنورمانديين.

وربط ابن خلدون بين الدين وقوة الدولة وسعتها ، ويقول : أن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على العصبية ، وأن الدولة العامة الاستيلاء العظمة الملك أصلها الدين ..

ولاحظ ازدياد عدد السكان زيادة فاحشة في عصور الانحلال السياسي . كما لاحظ أن كل انقلاب سياسي يحمل معه حلا لمشاكل الديون العامة والخاصة .

وتناول ابن خلدون الحروب ومذاهب الأمم فى ترتيبها ، فيقول : اعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة فى الخليقة منذ بدأها الله . إرادة انتقام بعض البشر من بعض . ويتعصب لكل منها أهل عصبية . . . إحداهما تطلب الانتقام ، والأخرى تدافع . . . وهو أمر طبيعى فى البشر لا تخلو منه أمة ولا جيل . وسبب الانتقام فى الأكثر : إما غيرة أو منافسة . وإما عدوان وإما غضب الله ، ولدينه ، وإما غضب للملك وسعى فى تمجيده .

ومن آراء ابن خلدون عن الاستعمار أن المغلوب مدفوع دائما إلى محاكاة الغالب . وقد يرجع ذلك لأن الحاكم فرض عليه هذا ، أو لاعتقاده أن الغالب أقوى منه فعليه أن يشبهه فى أخلاقه ومبادئه ، كما أن الأمة إذا غلبت وصارت فى ملك غيرها كانت أسرع إلى الفناء . والسبب فى ذلك ـ كما يقول ـ والله أعلم : ما يحصل فى النفوس من التكاسل إذا ملك أمرها غيرها وصارت بالاستعباد آلة لسواها ، وعالة عليهم فاذا ذهب الأمل بالتكاسل وذهب ما يدعو إليه من الأحوال ، وكانت العصبية ذاهبة بالغلب الحاصل عليهم ، تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ، وعجزوا عن المدافعة عن أنفسهم . . .

ومن الظاهرة الاقتصادية كتب ابن خلدون يقول(١) : واعلم أن الكسب إنما يكون بالسعى فى الاقتناء والقصد إلى التحصيل . فلا بد فى الرزق من سعى وعمل ، قال تعالى : « فابتغوا عند الله الرزق » .

وخصص ابن خلدون فصلا عن الفلاحة ، وذكر أنها من معاش المستضعفين ذلك أن الفلاحة أصيل فى الطبيعة وبسيط فى منحاه ، ولذلك لا تجده ينتحله أحد من أهل الحضر فى الغالب ، ولا من المترفين ، ويختص منتحلة بالمذلة

---

(١) ابن خلدون . المرجع السابق ص ٣٤٣ ـ ٣٦٠ .

وتناول التجارة ومذاهبها وأصنافها ، وفيها يقول : إعلم أن التجارة محاولة لكسب نتيجة المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيا كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش . وذلك القدر النامى يسمى ربحا .

وخصص فصلا عن الصنائع ، وذكر أنها منها البسيط ومنها المركب ، والبسيط هو الذى يختص بالضروريات ، والمركب هو الذى يختص بالكماليات وتنقسم الصنائع إلى ما يختص بأمر المعاش ضروريا كان أو غير ضرورى ، وإلى ما يختص بالأفكار التى هى خاصية الإنسان فى العلوم والصنائع . ومن الأولى الحياكة والجزارة والتجارة والحدادة وأمثالها ، ومن الثانى الوراقة ، وهى معاناة الكتب بالانتساخ والتجليد والغناء والشعر وتعليم العلم وأمثال ذلك .

ويقرر ابن خلدون أن العلم والتعليم طبيعى في العمران البشرى ، فالإنسان قد شاركته جميع الحيوانات فى حيوانيته من الحس والحركة والغذاء ... وإنما تميز عنها بالفكر الذى يهتدى به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بأبناء جنسه ... ومن هذا الفكر تنشأ العلوم وما قدمناه من صنائع ... ومن هنا فالعلم والتعليم طبيعي فى البشر .

وتناول ابن خلدون العمليات الاجتماعية ، فكتب يقول (١) : إن الإنسان محتاج إلى المعاونة فى جميع حاجاته أبداً بطبعه ، وتلك المعاونة لا بد فيها من المفاوضة أولا ، ثم المشاركة وما بعدها ، وربما تفضى المعاونة عند اتحاد

---

(١) نفس المرجع ص ٣٩٢ .

الأغراض إلى المنازعة ، والمشاجرة ، فتنشأ المنافسة والمؤالفة ، والصداقة ، والعداوة ، ويؤول إلى الحرب والسلم بين الأمم والقبائل .

وأشار ابن خلدون إلى الفروق بين أهل البـــدو وأهل الحضر ، وفى رأيه[1] : أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر ، وسببه أن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت مهيئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو شر . . . وأهل الحضر لكثرة ما يعون من فنون الملاذ وعوائد الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم . . .

ويضيف : أن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر ، والسبب فى ذلك : أن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على نهاية الراحة ، والدعة ، وانغمسوا فى النعم والترف ، ووكلوا أمرهم إلى المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم والحاكم الذى يسوسهم ، والحامية التي تولت حراستهم .

وأصله أن الانسان ابن عوائده ومألوفه ، لا ابن طبيعته ومزاجه .

وإتبع ابن خلدون المنهج العضوى ، فالدولة عنده كائن حى يولد ويحيا ويموت ، له بدء وله نهاية ، يخضع لعوامل النمو والفناء ، وعمر الدوله — فى رأيه ثلاثة أجيال ، والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسيط ، فيكون أربعين سنة ، . . . قال تعالى« حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنه» فعمر الدولة إذن مائة وعشرون سنة « وفى هذه الأجيال الثلاثة يمر المجتمع بمراحل أربع : حالة البداوة ، حالة الملك ، حالة الحضارة ، حالة الإضمحلال والخراب والفناء والهرم .

ويرى ابن خلدون أن الظواهر الاجتماعية لا تجمد على حال واحدة ،

(١) نفس المرجع ص ١١٢ — ١١٤ .

بل تختلف أو ضاعها باختلاف الأمم والشعوب ، ويرجع هذا الى اختلاف البلدان من حيث الموارد والمناخ والتضاريس ، مما يكون له أثره فى ألوان البشر وعاداتهم وأخلاقهم وفى الكثير من أحوالهم . كما تختلف هذه الظواهر فى المجتمع الواحد باختلاف العصور وتصدق هذه الحقيقة على شئون السياسة والاقتصاد والأسرة والقضاء وسائر أنواع الظواهر الاجتماعية حتى فيما يتعلق بشئون الأخلاق ومقاييس الخير والشر والفضيلة والرذيلة ، فما يكون خيراً فى مجتمع قد يكون شرا فى مجتمع آخر . وما تعده أمة فضيلة قد تعده أخرى رذيلة ،وما يراه شعباً مباحا قد يراه شعبا غيره محظوراً . وكثيراً ما يختلف الحكم على الوجهة الخلقية على الشيء الواحد فى أمة ما باختلاف عصورها.

أوضح ابن خلدون ذلك فى عبارة يقول فيها (إن أحوال العالم والأمم وعوائدها ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر . إنما هو إختلاف على مر الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال . وكما يكون ذلك فى الأشخاص والأوقات والأمصار ، فكذلك يقع فى الآفاق والأفكار والأزمنة والدول) .

ويحدث هذا التغير وفق ما يكتنف المجتمع من عوامل تضاريسية ومناخية ومورفولوجية وثقافية وعدالة الحكومة وإستطالة سلطان الدولة أى لا تتأثر بالظواهر الطبيعية فحسب ، بل تتأثر كذلك بظواهر إجتماعية من طبيعتها وفى هذا فان ابن خلدون يتناقض مع كارل ماركس الذى ذهب إلى أن العوامل المؤثرة فى ظواهر الاجتماع وفى تغير المجتمع إنما ترجع إلى عوامل مادية وإقتصادية بحته .

وبهذه الخاصية تمتاز الظواهر الإجتماعية عن غيرها من ظواهر علوم

الرياضة والطبيعة والكيمياء وما إلى ذلك ، فى أن هذه تعالج ظواهر لاتختلف باختلاف الأمم والعصور ، وبينما الظواهر الاجتماعية متغيرة تختلف أوضاعها باختلاف الزمان والمكان .

ويؤخذ على ابن خلدون أنه وصف بأنه من أنصار المدرسة الحيوية ، وأعتمد فى دراسته لظواهر المجتمع على دراسة الفرد ، كقوله : المجتمع يولد كما يولد الفرد ، ويمر كما يمر الكائن الحى فى أدوار الطفولة والشباب والرجولة والشيخوخة . والواقع انّ ابن خلدون لم يعمد إلى التعبيرات المشار إليها إلا لمجرد التشبيه وتقريب الحقائق الاجتماعية إلى الأذهان .

وعيب على ابن خلدون أنه وقع أسيراً لتـــأثير الدين والسحر والرقى والتمائم . . . كقوله أنّ الساحر القوى العزيمة يستطيع أن يتدخل فى قوانين السببية بقوة طلاسمه ، فيبطل أثرها ويغير إتجاهها . . . غير أن هـــذه لم تكن سوى حقائق جزئية . . . وكان على ابن خلدون أن يعرض لها بوصفه عالم اجتماع يدرس هذه الأمور دراسة موضوعية باعتبارها من نتاج العقل الجمعى .

وفيما يتعلق بآراء ابن خلدون عن السلطة وانبعاثها عن القوة التى تكون لدى الجماعات المتصفة بالشجاعة والترابط والوحدة والصبر على الشدائد ، وهى الجماعات التى تعيش على البداوة والتقشف ، فاننا نستطيع اليوم القول بأن هذه الظاهرة ليست قاعدة ثابتة ، بل إن الأمر قد تغير بعد زمن ابن خلدون مباشرة فبمجرد أن ظهر البارود والأسلحة النارية لم يصبح التفوق السياسى للقوة والشجاعة ، بل أصبح فى جانب القوة المادية .

ويعتبر ابن خلدون عقلية من العصر الوسيط ، بسبب استسلامه للتشائم

الذى يغلب على حالته العقلية ، وإيمانه بالقضاء والقدر ، وإعتناقه مبدأ الجبرية . فقد صور العالم الإسلامى وقتذاك الذى كان على العكس من تطور أوربا الغربية ، إذ بينما كان عصر النهضة يشرق من ناحية ، كانت الحضارة العربية تضمحل تحت ضربات سلسلة من الغزوات قادمة من بلاد محيطه بها .
ومن ناحية أخرى فان تشاؤمه كان تشاؤم عالم مدقق ، فقد أدرك أن ظواهر الحياة النباتية والحيوانية والاجتماعية تخضع لقانون واحد هو قانون الفناء .

ويؤخذ على ابن خلدون أن القوانين والأفكار التى إستخرجها من الأدوار المتعاقبة للدول والأمم لم يثبت صحتها ، فهى تصدق فقط على الأمم التى لاحظها ، والتى أرتحل إليها ورأى بنفسه أحوال الأمم لم تمر فى الأدوار التى ظن أن المرور بها لازم لجميع الدول ، وعاشت تلك الدول أضعاف المدة التى ذكر ابن خلدون أن الدولة لاتتجاوزها فى الغالب .

وإذا تركنا هذه الإنتقادات ، لا يسعنا إلا أن نقرر أن ابن خلدون هو أول مفكر أنشأ علم الاجتماع ، وأقام دعائمه ، ورسم منهجه ، وعين موضوعه ، ورسم ظواهره ، فلا يرجع الفضل فى إنشاء هذا العلم إلى العلامة « فيكو Yico » كما يقول الايطاليون ، ولا إلى العلامة كيتيلية Guetelet كما يقول البلجيكيون ، ولا إلى « أوجست كونت » كما يقول الفرنسيون ولا إلى هربرت سبنسر H. Spencer كما يقول الإنجليز ، وإنما يرجع الفضل فى إنشاء هذا العلم إلى ذلك العلامة العربى ابن خلدون .

ومع ذلك فان ابن خلدون لم يترك مدرسة أو أتباعا ، ولم تنل بحوثه ما تستحقه من تقدير وديوع انتشار إلا حديثا ، فكانت فكرته بمثابة ومضة

برق ما كادت تظهر حتي إختفت . إلا أن أفكاره قد لعبت دوراً كبيراً فى توجيه بعض المفكرين الغربيين .

خلاصة

يتبين من هذا الفصل أن للاسلام آراء تتعلق بالأسرة والمالكية والزكاة ، وآراء فى الاجتماع والفلسفة والدين ، وظهرت معه علوم جديدة مثل علوم الدين وعلم الكلام وفيما يتعلق بالفكر السياسى ، ظهر النظام الديموقراطى متمثلا في الشورى ، ونادى بالمساواة بين الناس ، ووضع قواعد للعلاقة بين الرجل والمرأة . وأهتم القرآن بالأدب القصصى ليصف مجتمعات فى أزمنته معينة ، وأوضح هذا الوصف الاختلافات بين المجتمعات فى العادات والتقاليد كما نوه القرآن الى الناحية العلمية الوضعية في الملاحظة . ويعد الفرابى وابن سينا من أبرز المفكرين الإسلاميين في مجال الفكر الاجتماعى والسياسى .

الفصل الخامس

عصر النهضة ١٥٠٠ – ١٦٠٠

تقديم :

ظهر خلال العصر الانتقالي – مابين العصور الوسطى والحديثة حركة فكرية بدأت تلوح في الأفق الأوربي منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادى لتنفض عن العالم الغربي غبار وأفكار العصر الوسيط ، راجعة به إلى الفكر القديم لينهل الناس منه مباشرة ، لا من الفكر المسيحى الذى تولاه فى العصر الوسيط بالتخريج بما يلائم تعاليم ومصالح الكنيسة . هذا هو المعنى الضيق لعصر النهضة .

أما المعنى الواسع لعصر النهضة . فيمتد إلى ماوراء هذا ليطوى حدث تداعى النظام الوسيط الذى كان يستند إلى ازدواج السلطة : السلطة الروحية يتولاها البابا ، والسلطة الزمنية يتولاها الامبراطور . فلقد ظهرت الدول الملكية الكبرى الموحدة (فرنسا وانجلترا وأسبانيا) . ثم رسخت وتجمعت السلطة للملوك وتركزت في أيديهم ، وأضحوا أندادا للبابوات والأباطرة .

ومن الناحية الاقتصادية تغير وجه الاقتصاد العالمى نتيجة لكشف أمريكا ورأس الرجاء الصالح . ومن ناحية الفرد كآدمي راج الوعي الإنساني في شتى الميادين بقطع الطريق نحو التحرر من أفكار العصر الوسيط والتعاليم الكنسية بفضل اختراع الطباعة ، وتحرر الفرد من النظام الإقطاعي ، وتبعيته لمشيئة الله ، تلك المشيئة التي كانت الكنيسة الكاثوليكية تتولى التعبير عنها والسهر على نفاذها .

وبدا هذا التطور أوضح مايكون في إيطاليا ، إذ كان لأهلها السبق في ميدان التحرر من نير الفكر والتعاليم الكاثوليكية . ومن رواد هذا العصر نيقولو ماكيافيللي .

نيقولوماكيافيللي Niccolo Machiavelli (١٤٦٩ – ١٥٢٧م)

ايطالي ولد في فلورنسه ، عاصر الفساد الأخلاقي والاجتماعي والسياسي الذي تعرضت له إيطاليا ، وشاهدالتوتر القائم بين الصفوة والجماهير . كما عاصر الملوك والأمراء الأقوياء ، وشاهد بزوغ القوميات كالقومية الانجليزية والفرنسية والايطالية والأسبانية والألمانية . ويعتبر من أبرز المعبرين عن عصر النهضة . واختلف ماكيافيللي عن سابقيه الثيولوجيين ، وعاد إلى المنهج الأرسطي في الملاحظة والاستنتاج بعيدا عن الانحياز إلى جانب الدين[1] .

ابتكر ماكيافيللي في كتابه « الأمير » الذي وضعه عام ١٥١٥ مبدأ تحرير السياسة من مبادىء الدين وما لها من قوانين تنبثق عن عالم الحياة المقدسة ، ومن الأخلاق وما يتعلق بها من خير وشر . وأبرز أهمية الجانب السياسي في الحياة الاجتماعية ، ويقول :[2] إذا كان الخير طبيعة الناس، فهذا ليس بقاعدة عامة ثابتة ، فهم دائما متشككون متقلبون ، يبتعدون عن الأخطار ، وينحون نحو المكاسب ، فالإنسان يخاف أكثر مما يحب ، وهو مزود بالحسد ، ويتربص بأولئك الذين يتربصون به ، وهو يسلك سلوكا انفعاليا ، ويحتاج إلى تدريب طويل لممارسة شئون الحكم .

---

(١) د . حسن شحاته سعفان . المرجع السابق . ص ٧٧

(2) Benedetto, Croce, politics and Morals, p 45

وتنشد ماكيافيللي وجود المجتمع الذى يصعب تحقيقه ، وهو مجتمع الخير والناس الخيرون ، وتصور أن هذا المجتمع كان محققا فى الماضى البعيد . ولذلك فضل الشعوب الأقل تحضرا عن الشعوب الأكثر تحضرا ، فقد فضل شعوب المانيا وسويسرا عن شعوب ايطاليا وفرنسا وألمانيا . وأيد المجتمع المفتوح الذى يسمح باللامساواة ، إذ أن تكافؤ الفرص يسمح بعدم المساواة .

وأرجع ماكيافللى فساد السياسة وتدهور العمل السياسى إلى تدخل الأخلاق ومعاييرها والتى يجب أن تستخدم فقط فى توجيه السلوك الشخصى ، وكذلك إلى الضغط المستمر الذى تمارسه الكنيسة ورجال الدين على مجريات الأمور السياسة ، لذلك أقصى ماكيافيلى الأخلاق والدين عن السياسة وانحاز إلى جانب السلطة السياسية الزمنية ، وطالب باخضاع السلطة الدينية لها . ويرى ماكيافيللى اأن الفرد ينبغى أن يضحى بنفسه من أجل الدولة ، ومع ذلك فقد مجد الإنسان وعظمة روحهوقوة جسدهو الفضائل التى يتحلى بها وتجعل منه قويا . أما الديانة المسيحية ، فهى — فى رأيه — تبين الحق والطريق إلى العالم الآخر ، وهى تزدرى عالم الدنيا ، وتفضل أن يحتقر الإنسان نفسه ، أما المتأمل — فتضعه فى مرتبة عليا . ولهذا فقد اعتبرت الكنيسة ماكيافيلى من ألد أعدائها .

وتناول ماكيافيللي ما يجب أن يكون عليه مسلك الأمير إزاء رعيته وأصدقائه وأعدائه من الأمراء والملوك ، فيقول فى هذا الصدد: أن الأمير الجديد يعيش فى جو من المخاوف ، مخاوف داخلية تتبدى فى سلوك رعيته ، ومخاوف خارجية تتجلى فى الدول المجاورة له . وإزاء ذلك ينبغى على الأمير الذى ينشد الاستمرار فى السلطة ألا يكون طيبا دواما ، وإنما ينبغى أن يجيد كيف

يكون طيبا ، وكيف لا يكون كذلك وفق ما تقتضيه الضرورة . كما يجب أن يتحلى بالفضائل فيكون محسنا ، كريما ، وفيا بالعهد، شجاعا ، قوى الإرادة . غير أن هذا الأمر صعب التحقيق ، ولا يتفق وحال البشرية ، لذلك يكتفى من الأمير أن يعرف كيف يتجنب التصرفات السيئة التي تفقده دولته . إن ثمه رزائل يجب أن يتصف بها حتى يستطيع أن يحافظ على دولته فاذا كان عليه أن يتحلى بالكرم ، فقد يؤدى به ذلك إلى الفقر مما يفقده احترام رعيته . وإذا كان عليه أن يكون رحيما ، فانه يتحتم أن يكون طاغيا وقاسيا ، فالرحمة تؤدى إلى الفوضى، والقسوة تحقق النظام والوحدة . ويرى ماكيافيللى أن الأمير يجب أن يتخذ أية وسيلة يراها كفيلة لتحقيق غرض يستهدفه ، فالغاية فى نظره تبرر الوسيلة ، وعليه أباح استخدام الوسائل غير المشروعة فى سبيل تحقيق الغاية المنشودة مهما كانت بشاعة الوسيلة التى يستخدمها . واعتقد أن ايطاليا لن تتوحد إلا على يد حكومة مونارکية ـ أى حكومة فرد ، يتميز بالقوة والجبروت والدهاء .

ويبرر ماكيافيللى نصائحه أنه بالنسبة للأمير ليست العبرة بالتصرفات والوسائل ، وإنما العبرة بالنتائج ، فاذا أفلح الأمير فى تحقيق الغاية مهما كانت الوسيلة ، واحتفظ بدولته ، فان الناس جميعا سرعان ما يؤيدون هذه الوسائل ويعتبرونها شرعية مشرفة .

ويرى ماكيافيللى أن القوة المسلحة التى يستخدمها الأمير للمحافظة على نظام الدولة ، ولحماية الاستقلال يجب أن تكون من المواطنين للذين يؤدون خدماتهم للدولة ، لا من الأجانب والأجراء (١) .

(1) Gaetano Mosca, op. cit p. 267

خـــلاصة

تبين من هذا الفصل أن عصر النهضة يتميز بفض غبار أفــكار العصر الوسيط ، وظهور الدول الملكية الكبرى الموحدة ، ورسوخ السلطة للملوك بحيث أصبحوا أنداداً للبابوات والأباطرة . ومن الناحية الاقتصادية تم كشف أمريكا ، ورأس الرجاء الصالح ، كما تحرر الفرد من أفكار العصر الوسيط والتعاليم الكنسية . وتحرر كذلك من النظام الإقطـاعي . ومن رواد هذا العصر ، نيقولو ماكيافيللى .

الفصل السادس

النظريات التعاقدية

في القرنين السابع عشر والثامن عشر

تقديم :

نشط الفكر الاجتماعي والسياسي في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وظهرت كتابات ذات أهمية كبيرة تدور حول سبب قيام الحكومات وكانت نظرية التعاقد الاجتماعي هي السائدة في تلك الفترة ، وحمل لواءها الفيلسوفان الانجليزيان : « توماس هوبز » و« جون لوك » ، ثم بعد ذلك الفيلسوف الفرنسي « جان جاك روسو » .

وتقوم هذه النظرية إجمالا على أن المجتمع الإنساني قد مر بمرحلة كان يعيش فيها بلا نظام ولا قانون ، وكان الأقوياء يعتمدون على الضعفاء ، والأصحاء على المرضى ، كما كان كل فرد متمتع بحريته كاملة مطلقة من أي قيد ، مما أدى إلى سيادة الفوضى والحروب المستمرة بين الأفراد ، ولما سئم الأفراد هذه الحالة فكروا في الاتفاق على تعيين حاكم ، يتنازلون جميعا له عن جزء من حريتهم ويرتضون النظام الذي يضعه ، وهذا الاتفاق الذي سيتم بينهم — فيما ظنوا — يعمل على إحلال النظام محل الفوضى ، والأمن والسكينة محل الاضطراب (١) .

---

(١) د. محمد بدوي . أصول علم السياسة . ص ٢٥٩

توماس هوبز Thomas Hobbes

كان توماس هوبز انجليزى الجنسية ، وأبوه من رجال الدين ، تعلم فى جامعة اكسفورد ، ودرس العلوم الفيزيقية ، ثم تحول إلى علم الطب، وأصبح طبيبا فى الرابعة والثلاثين من عمره . وعاش هوبز فى عصر ثورى غيرمستقر ، مملوء بالصراعات بين الجماعات الكاثوليكية والبروتستانتية من ناحية ، والصراع السياسى بين الملك والبرلمان من جهة أخرى . وشهد هوبز انتصار جيش كرومويل Cromwall البرلمانى ، وإعدام الملك شارل الأول فى ساحة قصر Whitehall عام ١٦٤٩ .

وكان هوبز من أنصار الملكية المطلقة ، فنى عام ١٦٤٠ كتب مقالا أيد فيه حكم تشارلس الأول فى صراعه مع البرلمان . ومن أشهر كتبه كتابه البحث فى « نظام المدينة De Cive و « التنين Eviaathan » .

ويرى هوبز أن المجتمعات قبل أن تصل إلى مرحلة الحياة الاجتماعية ، وقبل وجود الدولة مرت بمرحلة كانت تعيش فيها على الطبيعة the State od Nature ، وكانت مرحلة لانطلاق ، تتسم بالوحشية ، ويحددها قانون الغابة . فليس هناك صواب أو خطأ ، حسن أو قبيح ، عدالة أو لا عدالة ، إذ انطوت الحياة على القدر والتربص ، كانت حالة حرب جميع الناس ضد جميع الناس ، وكانت الغلبة للأقوياء ، والهزيمة والهوان للضعفاء . وإن حربا كهذه تحول دون صناعة أو تجارة أو زراعة أو فلاحة ، ودون العلم والأدب والرفاهية ، ودون الحياة كلها ، ويرجع هذا إلى الافتقار إلى وجود قوة عليا (الدولة) توجه المجتمع وتقيم المعايير[1] .

---

(1) See paul Site, Control and Constraint, An Introdnction to Seciology.p. p 287-288

ولذلك أنكر هوبز إنكارا تاما حكمة أرسطو القائلة إن الإنسان اجتماعى بطبعه ، وأنه يحمل منذ ولادته غريزة العيش فى المجتمع ، فهذه الغريزة تتعارض مع أنانيته الشخصية ، فالحياة فى الأصل كانت تخضع للقوة الغاشمة .

ولما سئم الناس حالة الحرب المستمرة ، وأصبحوا تواقين لتحقيق الأمن والأمان والنظام ، فكروا فى أن يبرموا معا عقدا ، ويسلموا طوعيا كافة حقوقهم الطبيعية إلى شخص منهم يحكمهم ويكون لهم رئيسا . ومن هنا نشأت فكرة المجتمع أو الدولة ، وأقيمت الحكومات لوضع الرقابة وتحقيق العدالة . فالمجتمع فكرة اصطنعها عقل الإنسان ليضمن لنفسه الحظ الأوفر من الطمأنينة والأمن .

ويرى هوبز أن العقد الاجتماعى الذى تم بين أفراد الجماعة لا يدخل فيه الفرد الذى اختاروه رئيسا لهم بالتعاقد ، لأنه تم بين جميع أفراد الجماعة باستثناء فرد واحد هو الرئيس الذى وقع عليه الاختيار لتولى السلطة فى الجماعة ، ومن هنا ليس لديهم الحق فى الثورة ضد الحاكم حتى إذا كانوا غير راضيين عن سياسته . وعليه يفضل هوبز حكم الأقلية ، حيث يتمتع الحاكم (الملك) بسلطة دكتاتورية مطلقة ودائمة ، تجعل الناس يرهبونه كذلك الوحش أو الكائن الخيالى Leviathan الذى اتخذه هوبز عنوانا لكتابه ، وأن يمارس هذا السلطان على الأفراد بواسطة القوة العسكرية . وهذه السلطة لا تقابلها أية مسئولية تجاه أفراد الجماعة ، ولا معقب عليها ، ويجب على الأفراد طاعتها ، إذ بدون هذه السلطة لا يتوفر الأمن من خلال الرجوع إلى الفوضوية الأصلية ، ولهذا يعتبر توماس هوبز من أنصار الحكم المطلق .

جون لوك john Lock (١٦٣٢ — ١٧٠٤م)

كانت أعماله الرئيسية مقال عن الفهم الإنسانى Essay comcerming Human underatanding ، ورسالتان عن الحكومة Two Treaties of Government نشرا عام ١٦٩٠ ، وكان قد أتم من عمره ثمانية وخمسين عاما . أما نظريته عن الحكومة فقد كتبها وهو فى حوالى الخامسة والثلاثين .

وكان اتجاهه تجريبيا ، فآمن بالحواس كمصدر لمعرفتنا ، ومنهـا تنبثق الأفكار . كما قدم فلسفة عقلية عميقة ذات نسق متكامل ، آمن بعظمة الفرد الإنسان وقيمته ، وناصر الحرية الفردية ، وبأهمية وأولوية السيادة الشعبية ، وقضى على حق الملوك المقدس ، كما نادى بفصل السلطات التشريعية والتنفيذية والفيدرالية .

رفض لوك الحق الإلهى للملوك ، فأفراد الأسرة المالكة لا يولدون ومعهم حق إلهى أو فطرى لحكم الناس ، إذ يولد الناس أحراراً ، والمساواة بينهم مطلقة . وإذا كان كل إنسان مساويا للانسان الآخر من حيث الميلاد ، فلابد إذن أن يكون لكل إنسان نفس الحقوق الطبيعية ، كما أنه لابد أن يخضع الجميع لقانون واحد هو قانون الطبيعة .

ولتفسير ذلك اعتنق لوك نظرية العقد الاجتماعى ، وبدأ من نفس الخط الذى ابتدأ منه هوبز كمرحلة سابقة على المجتمع المدنى . إلا أنه يختلف عنه فى وصفه لحالة الطبيعة ، ففى رأيه لم تكن بحال ما حالة حرب واضطراب ، كما لم تكن مرحلة سابقة على المرحله الاجتماعية ، بل كانت مرحلة سابقه على الحالة السياسية Prepolitical ، إذ يتيح القانون الطبيعى الفطرى للجميع حالة من الحرية والمساواة واحترام الفرد لمصالح الآخرين . فالناس هم مخلوقات أخلاقية

عاقلة تدرك قانون الطبيعة . وتتبلور الطبيعة عنده فى ثلاثة أمور : المساواة ، والحرية ، والملكية .

إلا أن حالة الطبيعة هذه كان ينقصها القوانين التى تنشأ معبرة عن الرغبة العامة ، والقضاة الذين لا يتحيزون فيفصلون فى المنازعات طبقا لتلك القوانين ، وسلطة تتمتع باكراه قادرة على أن تضمن تنفيذ الأحكام التى يصدرها هؤلاء. ذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يكون قاضيا ومنفذاً فى ذات الوقت يحكم بما يشاء وينفذ ما يهوى ، والمطلوب هو توفر الحد الأدنى لحياة الأغلبية ووجود سلطة تتعامل مع الأقلية التى تهدم القوانين . ويتوفر ذلك فى المجتمع .

ولتحقيق هذه المزايا فضل الإنسان الانتقال من حالة الطبيعة إلى حالة الجماعة. وتم ذلك بفعل إرادى ، فما كان لأحد أن يكره على أن يهجر هذه الحالة ليمتثل لسلطة غيره السياسية من غير رضاه ، والرضا وحده هو الذى يتولد عن كل سلطة سياسية شرعية . . ومن ثم فعلوا ذلك لتشكيل المجتمع المدنى السياسى، فصنعوا العقد الاجتماعى ؛ وهو تعاقد طرفاه الشعب من جهة والحكومة أو الملك من جهة أخرى ؛ وليس طرفاه واحدا — كما ذهب إلى ذلك هوبز — وذلك بهدف رقى واتساع الحقوق الطبيعية للانسان فى الحياة والحرية والملكية ضد الأخطار الخارجية والداخلية .

ولا يتنازل الأفراد عن هذا القسط من حقوقهم الطبيعية للملك أو السلطات أو الحكومة ، وإنما هم يتنازلون عنه للمجتمع بأسره . وعليه يصبح المجتمع هو المنفذ والموجه للقانون . وهم كذلك لا يتنازلون عن كل ما لديهم من حقوق طبيعية ؛ وإنما يتنازلون عن القدر اللازم لكفالة الصالح العام . فهم يتنازلون فقط عن :

(ا) حق تنفيذ قانون الطبيعة .

(ب) حق عقاب من يخرج عن هذا القانون .

والتعاقد عند لوك هو تعاقد بين طرفين ، فاذا أخل أى طرف بهذا العقد فانه يصبح لاغياً ، مما ينجم عنه أن الملك وجب عزله إذا أخل بتعهداته وأهمل مسئولياته نحو الشعب أو تخطت سلطاته الحدود التي خولها له الأفراد ؛ ومن ثم يلتزم الملك بتسخير سلطته فى تحقيق الصالح العام واحترام الحقوق الطبيعية للأفراد ، وإذا ما أخل بهذا الالتزام يحل للأفراد فسخ العقد والثورة على الملك وخلعه . ويترك الحكم فى هذا الأمر لأكثرية المواطنين الذين يتكون منهم المجتمع ، حيث يستطيعون الحكم على ما إذا كان الخروج عن نصوص القانون يستوجب قيام الأفراد بثورة .

وتحدد الأغلبية شكل الحكومة . ومن ثم يعتبر البرلمان التمثيلى أعلى سلطة من الملكية ، وهو يتكون من ممثلى الشعب الذين يحصلون على هذا الحق عن عن طريق الانتخاب ـ لا الوراثة ، ويمثل السلطة التشريعية . أما السلطة الثانية ، فهي السلطة التنفيذية التى تخضع الأفراد لطاعة القوانين . وتتمثل الوظيفة الثالثة للدولة فى الوظيفة الفيدرالية ، وتتكون من ممثلين للمدن والمقاطعات يعينهم الملك ، وهم النواة الأولى لمجلس اللوردات الحالى فى انجلترا . وتعنى برغبات الأفراد فى المجتمع ، وتحديد العلاقة بين التجمعات المختلفة وبين المواطنين .

وقد ازدهرت نظريات لوك في فرنسا وانجلترا والمستعمرات الأمريكية ؛ ففى فرنسا أسهمت أفكاره فى الأسس الايديولوجية للثورة الفرنسية ، وانتقلت أفكاره وكتاباته إلى مفكرى الثورة الفرنسية من الساسة والمفكرين

من أمثال ديدرو وفولتير وروسو ، وكان لنظـريته أثر فى حدوث الثورة الانجليزية عام ١٦٨٨ .

وأحدثت أفكار هوبز هزة فى أمريكا ، فقد أعان استقلال الولايات المتحدة عام ١٧٧٦ ، فحين رفضت الحكومة الانجليزية التى سيطرت على الحـكم فى الولايات المتحدة مطالب الشعب فى ممارسة حقوقه الطبيعة فى الحيـاة والحرية والملكية . واستعانت المؤسسات الأمريكية التى قامت عام ١٧٨٧ بآراء لوك، فلقد قامت هذه المؤسسات على أساس يسمح بقيام سلطة للحكومة الفيدرالية، وميز بوضوح بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية .

جان جاك روسو jean jacque Rous-eau

ولد جان جاك روسو فى جنيف عام ١٧١٢ ، وهو من عائلة مشهورة ، وماتت أمه عند مولده . ومن أعمـاله الرئيسية « إميل Emile» الذى يتعلق بالتعليم ، وثلاثة أعمـال أخرى هى : الفن والعلوم ، وأصل اللامساواة بين البشر » ، والعقد الاجتماعى أو مبادىء الحقوق السياسية عام ١٧٦٢ . ويعتبر المقال الثانى The Second Dissoourse المصدر الرئيسي لفكرة الاغتراب alienation

ويقوم كتابة « العقد الاجتماعى » على أساس سيكولوجى، فقد لاحظ روسو الاختلافات بين صفات العقل والروح فى حالة الطبيعة ، وبين العقل والحكمة باعتبارها من خصائص العقل . وتساءل هل يمكن للانسان أن يكون عاقلا وفاضلا داخل نطاق المجتمع أم خارجه ؟ وأدت الإجابة على هـــذا السؤال إلى تناول حاله الطبيعة ، وظهور نظرية العقــــد الاجتماعى . وقارن بين الإنسان والمواطن ، أى بين الإنسان فى حالة الطبيعة والإنسان فى المجتمع المدنى .

ردد روسو رأى هوبز القائل بأن حياة المجتمع ليست من فطرة الإنسان، وإنما اضطر إليها بحكم حاجته إلى الاستقرار وتبادل المنافع . وأيد كذلك رأى هوبز الذى مؤداه أن الأفراد نظموا حياة المجتمع عن طريق اتفاقية تنازلوا فيها عن حقوقهم، وهو ما يطلق عليه نظرية « العقد الاجتماعي Le Contract Social »

غير أن روسو يختلف عن هوبز فى تصوره لحالة الطبيعة ، إذ يرى روسو أن حالة الطبيعة يسودها الخير والسعادة والفضيلة المطبوعة فى كل القلوب ، وكذلك المساواة وشبه تلك الحالة بالحياة فى « جنة عدن » . يقول روسو (١) فى هذا الصدد : يولد الإنسان حراً ولكنه مكبل بالأغلال فى كل مكان. كيف حدث هذا التغيير ؟ يجيب روسو : أن حياة المجتمع قد غيرت نظرته وجعلته يميل من الخير إلى الشر ومن التلقائية إلى الزيف والرياء والنفاق والآثام والكذب، والتى ما هى إلا سمات المجتمع المتحضر .

ولم تنشأ الحاجة إلى تغيير حالة الطبيعة إلا من الاحتكاك بالآخرين ، وكان عصر اكتشاف المعادن والزراعة هو العصر المميز لهذه الفترة . فقد تبع هذه الظاهرة حيازة الأراضى ، والتهافت على تقسيمها ، وظهور اللامساواة بين الناس، وقيام المشاكل بين الحدود . يقول روسو : كان أول إنسان سور قطعة من الأرض وقال : « هذه الأرض أرضى » ، ووجد حوله أناساً بلغت سذاجتهم درجة تصديقه كان هو المؤسس الحقيقى للمجتمع المدنى . وبمجرد أن أحس الأغنياء بلذة السيطرة ، لم يتوانوا فى احتقار كل من يقع عليه نظرهم ، واستخدموا العبيد فى إخضاع غيرهم ، وأقاموا حكومة تتمتع بقوانين تصون الحياة والملكية .

(١) جاستون بوتول . المرجع السابق . ص ٣٣ .

وأضاف روسو إلى هذا السبب الذى أسهم فى تحول الإنسان إلى حياة المجتمع ، عوامل الطبيعة مثل البرد القارس والقيظ المحرق والجدب ، فقد اضطرت هذه المؤثرات الإنسان الأول إلى التعاون مع بنى جنسه فى الصيد براً وبحراً ، والتآزر لتوفير الغذاء .

والعقد الإجتماعى عند روسو هو الذى ينهى عهد الفطرة ويعمل على إنشاء المجتمع لتقام الدولة الحقيقية التي تؤدى عملها ، وذلك بأن ينزل كل فرد عن نفسه وحقوقه إلى سلطان حاكم – كما أكد هوبز – إلا أن هذا السلطان الحاكم ليس إنسان، ولكنه إرادة عامة مجردة ، إنها المجتمع كله .وميزروسو بين الإرادة العامة La volonte ، وبين إرادة المجموع «v lonté de tous» فبينما إرادة المجموع لا تعدو أن تكون مجموع الإيرادات الخاصة والفردية كأصوات الناخبين – مثلا – فان الإرادة العامة هى وحدة عضوية ، وروح عامة ، تتمثل حين ينطق كل إنسان بالصيغة الآتية : يضع كل منا شخصه وجميع قوته وضعا مشتركا تحت السيطرة العليا للارادة العامة ، ونستقبل بصفتنا الجماعية كل عضو كجزء لا يتجزأ من الكل . ولهذا الشكل حقا بلا حدود .

وتتحقق المساواة فى ثنايا العقد الإجتماعى ، لأن الأفراد بردهم أنفسهم وكل حقوقهم إلى المجتمع يعودون إلى نقطة الصفر ، فتتحقق المساواة بينهم ، كما أن إتحادهم يكون كاملا بالأخلاق لا يسمح بأية أفضلية لأى فرد ، وهكذا تتحقق المساواة .

ودولة روسو دولة مطلقة ، تتسم بالإكراه ، ولكنه إكراه خير لأنه يكفل للجميع حقوقهم . كذلك فهي دولة ديموقراطية مباشرة وكاملة ، وليست

ديموقراطية برلمانية تمثيلية . وعليه فديموقراطيته تشبه الديموقراطية الأثينية أو ديموقراطية القرية السويسرية [1] .

ولهذا فهو لا يقبل تقسيم لوك للسلطات إلى سلطة تشريعية وتنفيذية فيدرالية ، فالسيادة تتركز عنده فى الشعب الذى يستطيع أن يتنازل عنها أو يرفضها ، وهذه السيادة لا تباع ولا تشترى ، وغير قابلة للتحويل أو التصرف فيها ، وهى وحدة لا تتجزأ .

نظرية فلسفة القانون

شارل دى مونتسكيو Montesquieu (١٦٨٩ — ١٧٥٥)

ينتمى شارل دى مونتسكيو إلى الأشراف الفرنسيين. ولم تقتصر إهتماماته بالجوانب الجغرافية والأنثروبولوجية فقط ، بل أهتم كذلك بالجوانب التاريخية ، وكان المؤسس الأول لعلم السياسة القائم على العقل والمنطق .

تناول مونتسكيو القوى المتنوعة التى تؤدى إلى التطور الاجتماعى ، خاصة العوامل الجغرافية والتجارية ، وبين تأثير الثورة التجارية على تاريخ المجتمع الانسانى . وكان من بين ما أهتم به فى كتابه « نظرات فى عظمة وإضمحلال الدولة الرومانية Causes of Greatness and Decadence of Romans (١٧٣٤) عمق إتجاهه نحو التاريخ ، فقد أستخلص بشكل علمى أسباب إزدهار وإنهيار المدنية الرومانية . وأرجع انهيارها إلى ضخامة نموها الذى

1 - Anderson Roddee & Christol, An Introduction to Political Science P 27

لا يتناسب مع نموها الاقتصادى وهكذا فان الظواهر الاجتماعية لا تتطور بشكل عشوائى ، وإنما تتطور وفقاً لمبادىء يجب اكتشافها ، فالحوادث التاريخية تتأثر بالتغيرات التي تطرأ على العقلية وبالتغيرات السياسية أيضا .

وكان مونتسكيو هو الذى أدخل فكرة القانون فى ميـــدان العلوم الاجتماعية . ووضح ذلك فى كتابه « روح القوانين L'esprit de Lois » (١٧٤٨) . وفيه عرف القوانين بأنها « الروابط الضرورية التي تنبثق من طبيعة الأشياء » . وبين العوامل المختلفة من فيزيقية (كالمناخ والتضاريس) . كما بين أن النظم التشريعية تستمد أساسها من طبيعة الناس ومن بيئاتهم . فالانفعالات التي تنشأ نتيجة المناخ تفرض نفسها على الأخلاق . وعلى هـذا الوجه ـ كما يقول ـ تتسامح أديان البلاد الحارة بصفة عامة تجاه الفسق ، بينما تتغاضى أديان البلاد الباردة عن السكر .

ووضع مونتسكيو نظريته فى السلطة السياسية ، وصنف الحكومات إلى ملكيات مطلقة ، وملكيات مقيدة ، وجمهوريات . وربط الصور الأساسية للسلطة السياسية بالمثل الأعلى السائد . وأوضح أن كل شكل من أشكال الحكومات له أساس وضمان فى عدد معين من المعتقدات التي يكون المعتقد الأساسى فيها مثلها الأعلى ، فيقول أن النظام الملكي يقوم على عاطفة الشرف التي ينبغي أن تسود عند الطبقة العليا أما النظم الجمهورية فترتكز أساسا على الفضيلة ، ويرتكز الحكم المطلق على الخوف.وعند ما تضعف العاطفة ، فان النظام الذى يرتبط بها يحل به الفساد ، ويجب أن يدع مكانه لنظام آخر . وبدون عاطفة الشرف يسرى الاضمحلال فى النظام الأرستقراطى ، وينقلب إلى حكم لبعض الأفراد . وعند ما تضعف الفضيلة ينقلب النظام الجمهورى إلى

فوضى تستدعي قيام الطغيان . وعند ما يتضاءل الخوف الذى يبعثه الحكم المطلق في النفوس ، فان نظامه ينهار .

ولتخفيف هذه العيوب اقترح مونتسكيو وجود حكومة مختلطة حكومة تتجمع لديها مزايا أشكال الحكومات المختلفة فتوفق بينهـــا ، إنها الملكية الأرستقراطية المعدلة ، والمحاطة ببعض نظم ديموقراطية ، ذلك أن الملكية نظام ممتاز إذا ما تضمن هيئة بين الملك والكافة ، ففى الملكية رئيس واحد ، وبذلك تتحقق الوحدة ، وهو يحكم بقوانين ثابتة هى أساس المملكة .

ولتحقيق ذلك يفترض مونتسكيو ضرورة قيام سلطات تتوسط بين الملك والشعب وهى السلطة التنفيذية والقضائية والتشريعية ، تعمل كل منها منفصلة عن الأخرى .

وأشار مونتسكيو إلى أخطار قيام حكومة تجور فيها إحـــدى هذه السلطات على السلطات الأخرى . ولهذا كانت الحكومة المتوازنة فى رأيه هى الحكومة التي تنفصل فيها كل سلطة عن الأخرى .

ولقد كان لهذه الآراء التي طرحها مونتسكيو أثر فى مجال التطبيق العملى فى أوربا ، وفى مجال التفكير النظرى لاسيما فى نظريته القائمة على فصـــل السلطات إلى ثلاث : تشريعية وتنفيذية وقضائية ، إذ وضع بذلك الأسس التى يقوم عليها النظام الديموقراطى الحديث .

خلاصة

يتضح من هـــذا الفصل أن نظرية التعاقد الاجتماعى كانت هى السائدة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وحمل لواءها الفيلسوفان الإنجيزيان ؛

« توماس هوبز » و « جون لوك » ؛ ثم بعد ذلك الفيلسوف الفرنسى «جان جان روسو » .

وتبين كذلك أن هذه النظرية تقوم على أن المجتمع الإنسانى قد مر بمرحلة كان يعيش فيها بلا نظام ولا قانون ؛ كما كان كل فرد يتمتع بحريته كاملة مطلقة من أى قيد ؛ مما أدى إلى سيادة الفوضى والحروب . ولما سئم الأفراد هذه الحالة اتفقوا على تعيين حاكم ليعمل على إحلال النظام محل الفوضى .

الفصل السابع

الاتجاهات النظرية فى علم الاجتماع فى القرن التاسع عشر والعشرين

تقـديم :

ترجع النظريات التي ظهرت في أوربا فى القرن التاسع عشر إلى الثورة الصناعية فى انجلترا والتحول الذى ارتبط بالثورة الصناعية . فقد صاحب هذه الحركات تغيرات أدت إلى الانتقال من المجتمع المحلى إلى المجتمع الكبير، ومن المجتمع الريفى إلى المجتمع الذى تقوم فيه العلاقات الطوعية فى الحضر، ومن المجتمع الذى تسوده السلطة القرابية التقليدية إلى المجتمع الذى تتجلى فيه السلطة التشريعية العقـلانية ، وحلول السلطة الدنيوية محل السلطة الدينية المقدسة . وقد أدت هذه التغيرات إلى اغتراب الإنسان فى الحضر والمناطق الصناعية ،والتنقل فى البناء الطبقى ، والذى يقوم على أسس اقتصادية وسلوك المستهلك ، والمكانة السياسية .

وكان لهذه التغيرات أثرها الواضح فى ازدياد الاهتمام بفهم المجتمع والتغيرات الإجتماعية ، وانعكس ذلك على الفكر الإجتماعي والسياسى خلال هذه الحقبة من التاريخ ، وظهرت نظريات سسيولوجية وسياسية جديدة . ففى انجلترا ظهر هربرت سبنسر ، وفي فرنسا ظهر أوجست كونت ، وفى

المانيا وفرنسا وانجلترا ظهر كارل ماركس،وفى المانيا ظهر ماكس فيبر(١).

الاتجـــاه الوضعى

تقـــديم :

أنكر علماء الاجتماع الذين أخذوا بهذا الاتجاه ذلك الاتجاه الاكاديمى الخالص التي يتمثل فى التفكير العقلى للعـلاقة بين الفرد والمجتمع ، وتناول موضوعات مثل الطبيعة الانسانية والقانون والدولة والمجتمع . ورفضوا البحث النظرى فى الدراسات السسيولوجية ، ونودى بالانفصال كلية عن الفلسفة ، ومن ثم أكد علم الاجتماع الامبيريقى الوضعى على النظرية الوضعية (٢).

ويفسر الاتجاه الوضعى العالم على معطيات التجربة ، وتستلهم الوضعية نقطة انطلاقها من العلوم الطبيعية وتفسير الظاهرات الاجتماعية فى ضـــوء مفاهيم ومصطلحات علوم الرياضة والميكانيكا والطبيعة والكيمياء ، ويفسر بعض أصحاب هـذا الاتجاه العلاقات الاجتماعية تفسيرا رياضيا . فاجتماع الأفراد عملية « جمع » ، وتفاعل علاقاتهم وتبادل مشاعرهم عملية « ضرب » ، وظاهرة تقسيم العمل الاجتماعى وتنوع الوظائف والتخصصات عملية « قسمة »

(1) See Loan Davies, S·cial Molility and political change, p.p: 12 — 13 & Doyle paul johnson Sociological Theory, Classical faunders and centemporary Perspective p. 14

(2) See Robert Nisbet Robet G Prrin. The Social Bond, p. 31

ود. قبارى محمد اسماعيل ، الاتجاهات المعاصرة في مناهج علم الاجتماع . ص ٢٦ .

ومظاهر الصراع بينهم وقيام الحروب والثورات عملية « طرح »[١] .

أوجست كونت (١٧٩٨ — ١٨٥٧)

فيلسوف فرنسى من رجال القرن التاسع عشر ، ولد فى ١٩ يناير عام ١٧٩٨ فى مونبلييه Montpellier بجنوب فرنسا ، من أسرة كاثوليكية شديدة التدين ، متوسط الحال ، وتدين بالنزعة الملكية . وكان كونت موهوبا فى العلوم الرياضية ، فالتحق بمدرسة الهندسة بباريس ، كما كان ميالا للاطلاع خاصة فى الكتب الفلسفية .

تأثر كونت فى نظرياته بمجموعة من الفلاسفة والمفكرين السابقين عليه والمعاصرين له . فعن أرسطو أخذ فكرة التنظيم الاجتماعى وتوزيع الوظائف . وتأثر بكانط وجال Gall فى تصورهما للوضعية فى المنهج ، وفى علم النفس الفيزيقى ، وأخذ عن هيوم وكانط وتورجو وجهة نظرهم فى الحتمية التاريخية ، وتأثر بمونتسكيو الذى أخذ عنه فكرة القانون فى العلوم الاجتماعية ، بمعنى أن الظاهرة الاجتماعية تخضع لقانون . كما تأثر بكتابات فولتير الذى سخر من الميتافيزيقا . وأخذ عن كوندورسيه مفهوم التقدم[٢] .

وامتدح كونت آدم سميث ، وأشار إلى تحليله لظاهرة تقسيم العمل . ومع ذلك فقد انتقد خاصية التنظيم الذاتى للسوق ، وفوضى مبـــدأ دعه يعمل

---

١ ـ د . مصطفى الخشاب . علم الاجتماع ومدارسه ـ الكتاب الثالث ـ المدارس الاجتماعية المعاصرة ص ٢٦ :

(2) Nobert Elias, what is Sociolegy, p. 37

Laissez fair . ووافق سميث على أن تقسيم العمل يجلب التعاون الاجتماعى مما يؤدى إلى زيادة الإنتاج .

أما الكونت هنرى سانت سيمون Henri Saint - Simon فقد كان كونت سكرتيرا له ، وأخذ عنه الدعوة إلى علم المجتمع حتى يقود عمليات البناء وإعادة تنظيم المجتمع Reconstruction of Society » هذا وقد حاول سان سيمون أن يحدد ضرورة قيام علم الاجتماع باعتباره هدفا Goal أما أوجست كونت فقد استطاع أن يحقق مالم يتوصل إليه سان سيمون ، فنجح كونت فى إرساء قواعد علم الاجتماع ، وفى تحديد ملامح المنهج السسيولوجي الوضعي .

ولم يستمر كونت مع سان سيمون أكثر من أربع سنوات إذ دب الشقاق بينهما عام ١٨٢٤ ، لأن سان سيمون كان أكثر تقدما من الموقف المحافظ لتلميذه كونت . فقد قدم سان سيمون الإصلاح الإجتماعى على الإصلاح العلمى ، أما كونت فكان يرى العكس ، إذ اتضح له أن التيارات العنيفة التى تقذف بالمجتمع لا يمكن أن نعزوها إلى أسباب سياسية أو اقتصادية بسيطة ، بل هى ناشئة عن الاضطراب الخلقى ، وفساد معايير الرأى العام ، وهذا ناشىء بدوره عن الفوضى العقلية . ولهذا اعتقد كونت أن الإصلاح العلمى أولى بالتقديم لانه الاساس للاصلاح الإجتماعى ويتأتى الإصلاح العلمى والقضاء على الفوضى العقلية بانشاء علم جديد يدرس ظواهر المجتمع دراسة علمية وضعية ، لأن هذه الظواهر — كما تصور — لم تخضع حتى عهده للدراسة العلمية شأن ما عداها من ظواهر العلوم المعروفة .

ويعد كونت مؤسس الفلسفة الوضعية ، ويتجلى ذلك فى أول وأعظم أعماله ، والتى ظهرت فى ست مجلدات خلال الفترة من عام ١٨٣٠ — ١٨٤٢

بعنوان « مقالات في الفلسفة الوضعية Cours de Philosophie Positivisme.
ويستخدم كونت كلمة وضعية كمرادف لكلمة علمية Scientific
والتي تعني اكتساب المعرفة باستخدام النظريات والملاحظات الامبيريقية .

بدأ كونت مذهبه بأن أثبت للمعارف الإنسانية العلوم التي أحصى منها ست علوم رتبها كالآتي : الرياضة ،والفلك astronomy ، والفيزياء physics، والكيمياء Chemistry ، والبيولوجيا Biol gy وأخيرا توج هذه العلوم بالعلم الجديد ، وهو الفيزياء الاجتماعية ، أوعلم الاجتماع Sociology ، أي الدراسة الواقعية للمجتمعات .

وتترتب هذه العلوم حسب تركيبها المتزايد في التعقيد . فالأكثر بساطة نشأ قبل الأكثر تعقيدا ، وبحيث يعتمد كل علم من هذه العلوم في ظهوره على العلوم الذى سبقته . فالظاهرات الرياضية هي أبسط الظواهر الموجودة في الكون ، حيث تتميز موضوعات الرياضة بالتجريد والصورية والرمزية Symbolism .

أما الظاهرات الفلكية فهي أكثر تعقيدا من الظاهرات الرياضية ؛ حيث أن الأفلاك والأجرام السماوية تدور هنا وهناك ، بينما نجد أن موضوعاتها إنما هي رموز تدور حول مجردات عقلية، ولا تدور إلا في عالم الفكر الصوري الخالص . وهكذا ، فاذا كانت الظاهرات الفلكية أكثر تعقيدمن الظاهرات الرياضية ، فان علم الفلك يأتي في المرتبة الثانية بعد الرياضة ، كما يستخدم عالم الأفلاك والفضاء في نفس الوقت مناهج الرياضة في التوصل إلى الحقائق العامة في علم الفلك ، وفي التحكم وضبط ظواهر الفضاء الخارجي .

أما علم الطبيعة Physics ، فاننا نعلم أن الظاهرات الطبيعية تدور حول الحرارة والضوء والصوت ، وكل ما يتعلق بتلك الظاهرات التي تحيط بنا من

كل جانب ، ولذلك كانت الظاهرات الطبيعية أكثر تركيبا وتعقيدا من الظاهرات الفلكية والرياضية ، حيث أننا بصدد الظواهر الطبيعية ، يمكننا أن نقوم بعزل هذه الظواهر فى العمل ، وهذا العزل التجريبى لا يتحقق فى علوم الرياضة والفلك .

وهناك ماهو أعقد من الظاهرات الطبيعية ، وهى ظواهر الكيمياء،حيث أنها تتصل بالجوامد ، وترتبط بالتفاعل التجريبى ، ونتائجه المعملية ، وهى أكثر تركيبا من الظاهرات الطبيعية .

ويأتى العلم الخامس وهو علم البيولوجيا بعد علم الكيمياء ، حيث تتعقد الظواهر البيولوجية إلى حد كبير ، فيدرس علم البيولوجيا الكائنات العضوية — كيف تتركب ؟ وما هي خصائصها التشريحية ؟ وهذه خصائص لا نجدها فى علوم الكيمياء التى تتعلق فقط بدراسة الجوامد، إلا أن البيولوجيا إنما تتصل مباشرة بالحياة ، لأنها علم الحياة ، ولذلك كانت الظاهرات البيولوجية أكثر تركيبا من الظاهرات الكيميائية ، واستند علم البيولوجيا إلى حقائق ونتائج العلوم الطبيعية والكيمائية [1].

أما العلم السادس والأخير فى سلم العلوم ، فهو علم الاجتماع ،وهو أكثر تعقيدا من العلوم السابقة . ويعتمد اعتمادا كبيرا فى نموه عليها ، فكثيرا ما يعود إلى الالتفات إلى نتائج علم البيولوجيا والتشريح ، حيث تدرس هذه العلوم الكائنات العضوية الوحيدة أو المنعزلة ، ولكن علم الاجتماع إنما يدرس تلك المجتمعات التى تتألف من مجموعات هائلة من الكائنات البشرية . ولذلك

---

١ — د. قبارى محمد اسماعيل . الأنثروبولوجيا الاجتماعية . ص ٣٢٩ — ٣٣١ .

كانت الظاهرة الاجتماعية أكثر تعقيدا وتركيبا من الظاهرة البيولوجية . كذلك فهو يستخدم مناهج هذه العلوم ، بالإضافه إلى استخدامه المنهج التاريخي والمنهج المقارن[1] .

والمجتمع الإنسانى - كما يرى كونت - يجب أن يدرس بنفس الطريقة العلمية التي يدرس بها علم الطبيعة ، ويستخرج قوانين تشبه قوانين الكون ، وفى هذا فان كونت أراد أن يخلق علم طبيعى للمجتمع يفسر التطور الماضى للانسانية ، وينبؤنا بالمستقبل ، كما يفسر لنا الشروط الضرورية للاستقرار الاجتماعى خلال فترة معينة من الزمن . وعليه فان علم الاجتماع عنده يستند إلى « السببية والملاحظة » . وملاحظة الحقائق لابد وأن تستند على نظرية من النظريات .

أدرك كونت منذ عام ١٨٢٢ ضرورة هذا العلم الجديد ، فكتب يقول : لدينا الآن فيزياء فلكية ، وفيزياء أرضية ، آلية أو كيمائية ، ولدينا فيزياء نباتية ، وفيزياء حيوانية ... ولكننا الآن فى حاجة إلى فيزياء أخرى وأخيرة ، وهى الفيزياء الاجتماعية Social Physics » لنستكمل نسق معرفتنا بالطبيعة. ثم عدل كونت عن هذه التسمية إلى اصطلاح علم الاجتماع Soc ology » بعد أن شرع العالم البلجيكى « أدولف كيتيليه » فى إجراءات دراسات إحصائية عن المجتمع ، وسمى هذه المحاولة « الفيزياء الاجتماعية » وحدد كونت مادة « علم الاجتماع أو موضوعه » فوجدها متمثلة فى الظواهر الاجتماعية .

---

(1) See Lewis A. Coser, Masters of Soiological and Social Thought, Ideas in Historical and Social Context P. 91

وينقسم علم الاجتماع عند أوجست كونت إلى قسمين رئيسيين: الاستاتيك الاجتماعى La Statique – أى ثبات المجتمع واستقراره، والديناميك الإجتماعي La dynamique أى تطور المجتمع وتقدمه ، أو كما يسميه السسيولوجيون في وقتنا المعاصر Structure ، والتغير Change .

ويهتم الاستاتيك الاجتماعى بدراسة شروط المجتمع ، فهو يقوم على فكرة التضامن والنظام والاعتماد المتبادل بين الأجزاء المختلفة . فالمجتمع يتكون من عدة نظم وقواعد منها السياسى والقضائى والاقتصادى والخلقى والدينى، وهى متسقة ومترابطة ومتضامنة وتثبت وتستقر خـلال فترة معينة من تاريخها . وحيث أن التاريخ الإنسانى ظل حقبات طويلة تحت سيادة نموذج الفكر الدينى ، لذا يعد الدين مصدراً رئيسيا للثبات الاجتماعى والوحدة والتضامن .

وميز كونت بين ثلاث مستويات موجودة فى المجتمع : الفرد ،و الأسرة، والاتحادات الإجتماعية Social Comdiuation . واستبعد الفرد من الدراسة السسيولوجية، فالفرد فى ذاته لا يعد عنصراً اجتماعيا ،والقوة الاجتماعية فى حقيقتها تنبـع من تضامن الأفراد واتحادهم ومشاركتهم فى العمل وتوزيع الوظائف فيما بينهم . واعتبر الأسرة الوحدة الاجتماعية الأساسية . وهى تتمتع بدرجة خاصة من الوحدة unity ، وبطابع أخلاقي يميزها عن الوحدات الاجتماعية الأخرى . وقرر كونت مبدأ خضوع المرأة للرجل مع الاعتراف بسموها من الناحية العاطفية والوجدانية الضرورية للاستقرار فى حياة الأسرة . وتكلم عن الزواج واعتبره استعدادا طبيعيا عاما ، وهو الأساس الأول لكل مجتمـع . وهو لا يقبل فكرة الطلاق ويعتبرها من عوامل الإخلال بنظام الحياة الأسرية وحياة المجتمع .

ومن خلال التنسيق بين الأسر تظهر الاتحادات ، كالطبقات الاجتماعية

والمدن . ومن خلال العديد من الاتجاهات الإجتماعية يظهر النموذج السياسى أو الدولة .

وميز كونت بين الدولة ، والمجتمع ، والأمة ، والحكومة. والدولة — فى نظره — نظام مصطنع Artificial إلى حد ما، ولكنها من ناحية أخرى نظام طبيعى لأن أى مجتمع لايمكن له البقاء دون حكومة. وكلما تقدم المجتمع أصبحت الحكومة أكثر لزوما.

ويرى كونت أن التضامن الإجتماعى لايمكن أن يتحقق بصورة كاملة إلا إذا وجه المسئولون عنايتهم إلى إصلاح ثلاث نظم اجتماعية أساسية هى :

١ — نظام التربية والتعليم
٢ — نظام الأسرة
٣ — النظام السياسى للدولة

وفيما يتعلق بوسائل الإصلاح السياسى ، أتضح له أن السياسة وحدها لاتكون فرعا بذاته ، بل هى جزء لا يتجزأ من العلوم الانسانية ، ولا يمكن فهمها والتوصل إلى تنظيمها إلا إذا درسنا النظم الاجتماعية الأخرى التى تتعلق بها . ومن هنا فليست هى بمفردها الأساس فى الفوضى السياسية ، بل إن أساس ذلك نوع من الإضطرابات العقلية ، أى إلى عدم وجود مبادىء مشتركة بين جميع العقول . ومن ثم رد كونت الأزمات السياسية فى عصره إلى ما أسماه بالفوضى العقلية [١] .

1 - Morton Davies & Vaughan Lewis, Models of Politicol Systems p. 8.

أما الديناميك الاجتماعى (الاجتماع الديناميكي) ، فهو يقوم على فكرة التقدم والتغير والتطور وبحث قوانين نمو المجتمع أى دراسة المجتمع فى حركته المستمرة . ويرى كونت أن الإنسانية ، وكل فرع من فروع المعرفة ، والفرد فى تطوره وتربيته وتعليمه ونمو عقله ، قد مرت فى تطورها بمراحل تطابق المراحل التي وضعها فى قانون الحالات الثلاث Lois des trois Etates وهى اللاهوتية L'etat theologique والميتافيزيقية L'etat metaphysique والوضعية أو العلمية L'etat positif .

وفى العصر اللاهوتى تفسر الظواهر الاجتماعية بعامل أولية تتشخص بصفة عامة فى الآلهة ، وفى الأنظمة الإجتماعية التي تتوافق مع هذه العقلية ، وحيث يخضع أفراد المجتمع للروحانيات ، ويسود رجال الدين ويكون لهم التفوق والسيطرة وقد قسم كونت هذه المرحلة إلى ثلاث مراحل فرعية — الطور الخرافى fetishism ، وطور تعدد الآلهة polytheism ، وطور وحدة الآلهة monotheism .

أما الطور الخرافى ، فقد ساد فيه الأعتقاد ، بأن بعض الأشياء أو الحيوانات أو الأجرام السماوية لها روح ولها إرادة تتسلط بها على ما يحدث فى حياة الإنسان . وخلال هذا الطور تنظم العائلة نفسها ويستقر مكان إقامتها ، مما يساعد على إقامة الدولة .

وإبتدأ عصر تعدد الآلهة حين عدل الإنسان عن عبادة الأشياء ذاتها وإستبدلهـا بأرواح خارجة عن الأشياء بحيث تستطيع أن تتحكم فيها . وترتب على تقيده بعبادة الآلهة نشأة الروح الحربية ، فقد زخرت الميثولوجيا اليونانية بالحروب والملاحم بين الآلهة المختلفة ، وأنقسم الناس تبعا

لذلك شيعاً وأحزابا كل يتعصب لآلهته . كما نشأت الروح الفنية رغبة فى تمجيد انتصارات الآلهة ووصف معاركهم تارة بالشعر وتاره بالنحت . وفى ذلك العهد نشأت طبقة الكهنة ورجال الدين ، وأقيمت المعابد ، وظهرت دولة المدينة ، ونظام ملكية الأرض ، ونسق الطبقة .

ويبدأ عصر وحدة الآلهة بفصل السلطة الروحية عن السلطة الزمنية ، وفيه تحولت الروح الحربية إلى نوع من الاستقرار الذى نتج عنه ما خلفته لنا العصور الوسطى من آثار فنيه تقوم على تمجيد الدين والكنيسة .

ويبدأ العصر الميتافيزيقى ـ فيما يرى كونت ـ بأواخر العصور الوسطى وعصر النهضة ، وهي مرحلة تعد تعديلا للمرحلة اللاهوتية ، وفيها برزت الدولة ، وبدأ تحطيم الروح الحربية ليحل محلها الروح الصناعية . وظهرت أول بوادر هذا التحطيم فى النزاع بين البابا والأشراف ـ أى بين ممثل السلطة الروحية وممثلى السلطة الزمنية . ثم ظهر التصدع داخل نطاق الدين فظهرت الحركة البروتستانتية ، والتي تعنى الاحتجاج على سلطة الكنيسة ، وتطالب بما للعقل من حق فى الاقتناع بالعقيدة قبل التسليم بها .

أما العصر الوضعي ، فيبدأ بالثورة الفرنسية ، ويقوم على الإتجاه العقلانى ويفسر الظواهر تفسيراً عليا يقوم على الملاحظة العلمية والتجربة . ويتميز هذا العصر باستقلال التفكير الإنسانى مما أدى به سريعا إلى التقدم فى الصناعة والفن والعلم . وقد قضت الثورة على النظم القديمة التى كانت تعوق تقدم الإنسانية ، فأصبح من الواجب أن تستبدل بنظم جديدة تتفق وروح العصر الوضعي .

ويرى كونت أن إنتقال الإنسانية من مرحلة إلى مرحلة أخرى يتجم

عن زيادة السكان ، ويتجلى فيه تقسيم العمل ، ويصاحبه تقدم يبدو فى مظهرين :

أ ـ تقدم فى الحالة الإجتماعية

ب ـ تقدم فى الطبيعة الإنسانية

وهذا التطور نحو الكمال بطىء ويعتريه بعض العقبات وتذلله الجهود .

وفى ضوء هذا فان كلمة « تقدم » عند كونت إنما تعنى سيراً إجتماعيا نحو هدف معين لا يمكن الوصول إليه إلا بعد المرور بأدوار ضرورية محددة، أى أن السير الاجتماعى لا بد أن يكون خاضعا لقوانين. بينما كان المفكرون السابقون لكونت يدرسونها على أنها مجرد إضطرابات أو ذبذبات تحصل فى المجتمعات ، ولم يفطنوا إلى القوانين .

ويؤخذ على كونت أنه وسائر الوضعيين قد غاب عنهم أن هناك الكثير من العقبات والصعوبات التى تعترض منهج علم الإجتماع لتحقيق تلك الوضعية ، فالظواهر الإجتماعية إنما هى فى ذاتها ظواهر إنسانية ، وتتمايز عن الظواهر الطبيعية . والظواهر الاجتماعية كما أعلن كونت نفسه تتسم بالتعقيد الذى لا يتوافر فى الظاهرة الطبيعية التى تتميز ببساطتها وخضوعها للقياس والكم والتجربة والتنبؤ ؛ وهذه أمور وخواص لا تتوافر إطلاقا فى الظواهر الطبيعية . ومن ثم تصبح وضعية علم الإجتماع أقل درجة من وضعية العلم الطبيعى . كذلك فان كونت لم يمارس عمليا ما كان ينادى به ، فقد نادى بالوضعية السسيولوجية ، وإستخدام المنهج العلمى ، ثم شرع للمنطق والفكر الإنسانى قانونا ميتافيزيقيا خالصا لا يستند إلى الوضعية فى شىء ، وإنما هو فرض فلسفى .

كذلك فان القائمة التي وضعها كونت للعلوم قائمة ناقصة ، فقد أغفل علم النفس الذى أعتبره فرعا من الفسيولوجيا .

وأرجع كونت تطور الظواهر الاجتماعية إلى تطور التفكير ، مع أن تطور المجتمع ينجم عن العديد من العوامل المتفاعلة ، بل إن تطور التفكير ليس إلا مظهراً من مظاهر تطور المجتمع ، ولا يعتبر هو ذاته سبباً لهذا التطور .

وإذا أردنا أن نضع قانون الحالات الثلاث فى ميزان النقد ، فاننا نقول أن المرحلة الأولى اللاهوتية لا تختفى – كما يقول جنزبرج – بظهور العلم وتطور النظريات العلمية ، فهى تظهر فى صورة من الصور لدى العلماء والفلاسفة وتاريخ العلم يشهد بامتزاج الفكر الميتافيزيقى بالفكر العلمى الخالص . فقد أسس كل من كبلر Kepler وديكارت رأيها فى قوانين الطبيعية على القول بكمال الله ، ورأى نيوتن أن نظام المجموعة الشمسية راجع إلى القدرة الآلهية وأن المكان اللانهائى infinite apaca هو الحس الإلهى ، والدال على وجوده فى كل مكان فلا معنى إذن للقول بفكرة المراحل أو الفواصل التى تفصل بين جوانب الفكر الانسانى برمته برغم إتصالها الأكيد [1] .

---

١ — د . قبارى محمد إسماعيل . علم الإجتماع والفلسفة . ص ١٥٥

روبرت موريسون ماكيفر Robert Morrison Maciver
(١٨٨٢ —   )

ولد روبرت م ماكيفر فى ١٧ إبريل عام ١٨٨٢ فى ستورنواى فى اسكتلنده، وكان أبوه من سلالة عائلة تعمل فى فلاحة البساتين والصيد ، واشتغل أبوه بالتجارة ونشأ في مناخ مسيحى اسكتلندى يتسم بصلابة الرأى ، ويضع قيوداً وضوابط على السلوك ، فتعلم منه كيف يقاوم ثم يستنكر . وكان ماكيفر يؤدى شعائره الدينية المنزلية بانتظام ، ويقرأ الإنجيل ، ويمتنع عن اللهو . واحتوت مكتبة بيته كتباً ترجع إلى العصر الفكتورى ، وفتح عينيه على ازدهار الأدب الانجليزى ، وكما يقول(b) : فقد غير هذا الأدب مناخ حياته وتعلم التعاليم الأرثوذكسية عن العصر اللاتينى . واليونانى . كما تعلم اللغة الفرنسية ، والعلوم الفيزيقية . وفى السادسة عشرة من عمره سافر إلى أدنبره ، ثم إلى جامعة إكسفورد ، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة أدنبره عام ١٩١٥ واشتغل بالتدريس فى وطنه الأصلى ، وفى كندا . ومنذ عام ١٩٢٧ ، وحتى تقاعده عمل بالتدريس فى جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية .

وضع ماكيفر مجموعة كبيرة من الكتب الشهيرة فى ميادين النظرية السياسية ، والاقتصاد ، والعلوم الاجتماعية التطبيقية ، والفلسفة ، وعلم الاجتماع . ومن مؤلفاته « المجتمع المحلى Community » (١٩١٧) ، « والمجتمع Society » (١٩٣١) ، و« العلية الاجتماعية » .

ويرى ماكيفر أن مناهج العلوم الفيزيقية لا تستطيع بمفردها أن تفسر

(b) Robert Bierstedt, op. cit. p. 243.

الظواهر الاجتماعية . ومع ذلك فليس هناك تعارض بين الحقائق الاجتماعية والمعلومات الإحصائية . وحدد موقفه من التفسير الوضعي الذى يطابق بين العلية الاجتماعية والعلية الطبيعية . وحاول أن لا يقع فى الخطأ الذى وقع فيه غيره من أنصار الاتجاه الوضعي ، ذلك أن العلاقة بين الريح والموج تصور رابطة لا تتغير ذات طبيعة خارجية ، كما أنها تعكس فى نفس الوقت قوانين طبيعية وليست اجتماعية ، ولهذا فمن الخطأ أن تطبق نفس المناهج والقضايا على الظواهر الاجتماعية التي تتضمن بالضرورة ناحية نفسية ، فهنـــاك فرقاً جوهرياً بين نمط العلية الذى يطبق على إنسان يهرب من جمهور يطارده ، فالورقة لا تعرف الخوف ولا الكراهية ، وبدون الخوف والكراهية لن يهرب الرجل ويطارده أحد . وهكذا نرى أن إدخال العامل النفسى فى التفسير السسيولوجي حدد موقف ماكيفر من العلية الاجتماعية ، فطالما أن علم الاجتماع يعنى بالنطاقين النفسى والاجتماعي اللذين ينبثقان من النطاقين البيولوجى والطبيعى ، فان هذين النطاقين الأخيرين لهما تأثيرات علية على الوقائع الاجتماعية[١] .

وبدأ ماكيفر بأن أولى اهتمامه بتحديد مفهوم المصطلحات المستخدمة فى علم الاجتماع ، وميز بينها تمييزاً واضحاً مثل : المجتمع Society ، والمجتمع المحلى Community ، والرابطة Association ، والنظـــام Institutions ، والاتجاهات Attitudes ، والمصالح Interests ، والسنن الاجتماعية Social Codes ، والطبقة الاجتماعية ، والحشد ، والثقافة ، والحضارة Civilization ، كما ميز

---

(١) أنظر د. محمد عاطف غيث . عـــلم الاجتماع ـ النظرية والمنهج والموضوع ص ١٢٥ — ١٢٦ .

بين المصالح الفردية والمشتركة ، والدولة والمجتمع ، والنظم الداخلية التي تتضمن الشعور البشرى ، والخارجية والتي تشمـــل الجوانب البيولوجية والجغرافية والتكنولوجية . ويعتبر ماكيفر أن هذه التحديدات هى الاطار الأساسى لنظريته فى البناء الاجتماعى والتغير الاجتماعى .

والانسان — فيما يرى ماكيفر — حيوان اجتماعى . فمنذ بدايات الفكر المسجل نجد أن الانسان لا يستطيع أن يعيش منعزلا ، فهو يعتمد على المجتمع لأكثر من مجرد الانتاج والراحة والتعليم والامداد . ومنذ ولادته ولد فيه الحاجة إلى المجتمع . ولا عجب أن الحبس الانفرادى يعد أشد وطأة على النفس من الأشغال الشاقة ، لأنه يحول دون أن يحقق الانسان إشباع حاجاته الجوهرية وهكذا فان الانسانية إنما تعنى وجود علاقات اجتماعية تجعل الحياة الانسانية ممكنة ، والحاجة إلى المجتمع تتأصل فى طبيعتنا الجوهرية . وباختصار فان المجتمع هو نسق من العلاقات الاجتماعية . وهو يتمتع بشكل أو صورة أو بناء وهذا الشكل يمكن دراسته ودراسة مستقلة عن الأفراد وتفاعلهم . وفى ضوء هذا فانه يمكن دراسة المجتمـــع دون أن ندرس تفاعلهم ، كما هو الحال عند ما ندرس اللغة دون أن نهتم بدراسة أسلوب الخطابة . فالمجتمع هنا هو اللغة أما رموز اللغة فهى التى تشير إليها بالبناء(1) .

وميز ماكيفر بين علم الاجتماع ، والأنثروبولوجيا ، والاقتصاد ، والتاريخ ، وعلم النفس ، وعـــلم النفس الاجتماعى . وأعلن — فى كتابه المجتمع

(1) See M. .MacIver & charles Page, Society, An Introductory Analysis P.8 & See Robert Bierstedt, op cit. p. 240

المحلى Community, أن الالمام بهذه الاختلافات هو أحد الأسس التي يبنى عليها معرفة مجال علم الاجتماع . وعلم الاجتماع ـ عنـــده ـ يهتم بالعلاقات الاجتماعية ، والمجتمع(١) .

وذكر ماكيفر فى كتابه الذى اشترك فيه مع بيج بعنوان « المجتمع » . أن المجتمعات البسيطة مثل هنود الكواكتيل Kwakiutl وسكان جزر التروبرياند Trobraind وسكان الساموان Samoan تتبدى بينهم العلاقات الاجتماعية فى شكل قيام أفراد المجتمع بالصيد البرى وصيد السمك ، وقيامهم بحفر الأرض أو النسيج أو التجارة ، وهى عمليات متشابكة فى حياتهم الاجتماعية ، وتتميز بخصائص ثقافية ، حيث تسود الحياة تقاليد واحتفالات وأساطير وفنون . والفن عندهم ليس فناً من أجل الفن ، ولكنه فن نفعى ، حيث يقومون بصنع السلال والحصر ، والأقداح ، والرمح، والقوس ، وهى أساس الروابط الثقافية(٢) .

وأشار ماكيفر إلى وجود الجماعات الداخلية In group والجماعات الخارجية aut group فى جميع المجتمعات ، وذلك بالرغم من اختلاف المصالح وظروف الحياة من مجتمع لآخر . إلا أنها تتجلى فى المجتمعات البدائية بشكل بسيط غير معقد ، ويكون من الصعب التمييز بين الجماعات .

كما ميز ماكيفر بين الجماعات الأولية والجماعات الثانوية ، فنى الأولى تقوم علاقات الوجه للوجه ، وتقوم فى الثانية روابط واسعة ، وعلاقات غير شخصية

---

(1) Robert Moris Maciver, Community, Sociologicai Study, P. 256.

(2) R.M. Maciver & Charles Page, op. cit, p. 631.

وتتجلى في المجتمعات المعقدة(١) .

وأورد ماكيفر ثلاثة أنماط من الظواهر الاجتماعية الديناميكية هي :

الأولى : وهى الظواهر التوزيعية Distributive changes ، وهى تعبر عن التغيرات المختلفة فى السنن الاجتماعية وأساليب الحياة ، واختلافها في الزمان والمكان ، والذبذبات التي تعترى نسب المواليد والوفيات والجريمة والزواج . ويمثل هذا النوع من التغيرات مجموعة الأفعال الفردية ، ولا تشير هذه الظواهر إلى جماعة بعينها .

الثانية . وهى الظواهر الجمعيـــة Collective ، وتتمثل فى الحركات الاجتماعية المنظمة والسياسات الإدارية ، والثورات السياسية والاجتماعية .

الثالثة : وهي الظواهر الارتباطية (الاقترانية Conjunctural ، التي تعبر عن ارتباط عدة قوى أو ظروف تؤدى إلى تغيرات فى البناء الاجتماعى ، مثل تغير المجتمع من الزراعي إلى الصناعة أو الذبذبات التي تحدث فى دورات العمل والتجارة .

وحلل ماكيفر الثورات فى ضوء التغيرات العلمية الحديثة ، والحكومة ـ فى رأيه ـ تنظيم يمارس السلطة . وهي ذات مظهر تاريخى يحمل طابع العصر والمكان ، وهي تخضع لمتغيرات قد تكون سريعة ، أو مفاجئة وهى ما تسمى بالثورات(٢) .

واختلف ماكيفر عن ماركس فى تصوره لأثر الثورة فى التغير الاجتماعى

(1) Ibid , p. 218
(2) john Rees, op. cit p.p. 80 – 31.

فقد اعتبر ماكيفر أن الطبقات الاجتماعية متداخلة ، وأنها قد تكون متصالحة في بعض المواقف . ويضيف أن الصراع بين الطبقات الاجتماعية لا يحدث دائماً بسبب المصالح الاقتصادية ، فقد يحدث بسبب السلطة . وعند ما تعارض الحكومة الأوليجاركية مطالب واحتياجات الطبقات المحكومة ، فان الثورة هي الطريق الوحيد الذى تلجأ إليه هذه الطبقات . أما الدافع الذى يدفعها إلى الثورة ، فهو الإحساس الحاقد بالاضطهاد وعدم المساواة(١) .

جورج أندرو لندبرج George Andrew lundberg
(١٨٩٥ —)

ولد جورج أندرو لندبرج في فيردال Fairdale شمال ولاية دوكوتا Dokota في ٢ أكتوبر عام ١٨٩٥ ، وكان أبوه من المهاجرين السويديين . وشب لندبرج في مزرعة أبيه ، وتعلم في مدرسة القرية الابتدائية المكونة من فصل واحد . وكان سكان هـــذه المقاطعة مزيجاً من جنسيات مختلفة : الاسكندناف ، والألمان والروس . ويقول لندبرج أنه لم يشاهد في مدرسته أحد الزنوج أو اليهود أو الشرقيين .

هذا ولم يلتحق لندبرج بمدرسة عليا ، وإنما درس بالمراسلة في مدرسة شيكاغو وحصل على الدبلوم ، ثم استطاع أن يوفر مالا مكنه من الالتحاق بجامعة دوكوتا ، وحصل منها على الدرجة التعليمية عام ١٩٢٠ . ثم ساعده الحظ على الالتحاق بجامعة لندن ، واستمـــع إلى محاضرات هوبهاوس Hobbhouse وويستر مارك Westerrmarck في مدرسة الاقتصاد(٢) .

(1) Loan Davies op. cit. p. 27

(2) Robert Bierstedt, American sociological Theory, p.349

ويعتبر لندبرج أحد أقطاب الاتجاه الوضعى الحديث فى علم الاجتماع . وتظهر وضعيته من خلال كتابيه « أسس علم الاجتماع » و« هل يستطيع العلم إنقاذنا » .

واعتبر لندبرج العلم سواء كان علماً طبيعياً أم اجتماعياً وسيـــلة فنية « للتوافق » بالضرورة ، ذلك أن كل استقصاء يبدأ بتوتر أو اختلال من نوع معين فى المستقصى . ويجرى هذا التوافق على أساس أن كل الظواهر التى يهتم بها العالم تتكون من انتقالات الطاقة (أى الحركة) فى عالم طبيعى ، وكل حركة تتم تأخـذ (مكاناً) فى الزمن فى حقل « القوة » الذى يشكل جزءاً من العالم ، والذى يعرفه لندبرج على أنه الموقف وحركات الناس وسلوكهم التى تحدد مواضعهم فى المواقف الاجتماعية تكون موضوع العلوم الاجتماعية .

ويرى لندبرج أن العناصر الثقافية المختلفة لا يمكن ملاحظتها جميعاً . فمن السهولة ملاحظة الإنتاج المادى ، أو الرمزى كالعادات والتراث الشعبى وأنساق الأفعال ومع ذلك ، فقد يصعب ملاحظة الرموز التى تنظم التفاعل الإنسانى . ويرجع ذلك إلى عدم وضوحها ، وإلى استخدام الأعراف والتقاليد . وعليه فحين يحدث انحراف عن هذه الرموز ، يصعب إدراك العلاقة بينها وبين السلوك الجمعى ونتائجه . ومن ثم فان معرفة حقيقة الرموز تستلزم خبرة ومهـارة وفراسة الملاحظ(١) .

---

(1) Gerge A, Lundberg E clarence C. Schrag E Otto N. Larsen. Sociology, 107.

وليام أوجبرن

أقام نظرية فى الفكر السسيولوجى تستند إلى الاتجاه الوضعى سواء ظهرت السلوكية أو الرياضية فى أعماله . وصنف الثقافة إلى ثقافة مادية Mat. rial Culture ، وثقافة لا مادية Immaterial culture . وتشمل الثقافة المادية كل ما يصنعه العقل البشرى من أشياء ملموسة ، وكذلك كل ما يحصل عليه الناس عن طريق استخدام فنونهم التكنولوجية . واستخلص — نتيجة دراسته لـ ١٥٠ اختراع واكتشاف أن العامل الأساسى فى التغير هو تراكم الصور الثقافية التى تترتب على حتمية الاختراع والاكتشاف(١) .

أما الثقافة اللامادية ، فهى تشمل النظم الاجتماعية ومظاهر السلوك التى تتمثل فى العادات والتقاليد ، والتى تعبر عن المثل والقيم والأفكار والمعتقدات وكل من الثقافة المادية واللامادية يدور حول إشباع الحاجات الرئيسية للانسان الأمر الذى يعطيه نظمه الاجتماعية التى هى جوهر الثقافة .

ويرى أوجبرن أن تغير الجزء اللامادى من الثقافة لا يسير بسهولة ، بل تعترضه عقبات كثيرة منها الصراع الذى يبديه أصحاب المصالح التى سوف تضار من التغير ، والخوف الذى يسيطر على بعض الناس خشية تجربة ما هو جديد ، والبطء الذى قد يعود إلى تحكم العادات أو النزامات المحافظة ، وقد تكون مبادىء التربية غير المتغيرة ، أو صعوبة المراجعة العقلية عند بعض الناس

---

(1) See Robert K. Merton, The S. ci. logy of Science, Theoreticol and Empirical Investigations, p. 352.

من الأسباب الهامة لتعويق المتغيرات الجديدة ، ولكن التغير نتيجة لاستمرار عملياته يقلل دائماً فى هذه المعوقات بالتدريج .

ولما كان التغير فى الثقافة المادية يسبق التغير فى الثقافة اللامادية ، ونظراً لبطء وصول الأخيرة إلى التقاء مع الأولى ، فان هـــذا يترتب عليه ما أسماه « أوجبرن » « التخلف Lag » الذى قد يكون ضاراً بالمجتمع ، ومن أجـل هذا يجب قياس هذا التخلف لمعرفة مداه وتأثيراته المختلفة . ومثال ذلك أن التشريعات التى تحمى العمال لا تنمو بالدرجة التي تنمو بها الآلات[1] .

خلاصـــة

تبين من هذا الفصل أن الثورة الصناعية فى انجلترا ، والتحول الذى ارتبط بها ، قد صاحبه تغيرات ضخمة مثل اغتراب الإنسان فى الحضر والمناطق الصناعية ، والتنقل فى البناء الطبقى ، والذى يقوم على أسس اقتصادية وسلوك المستهلك والمكانة السياسية .

واتضح أن هذه التغيرات كان لها أثرها الواضح فى ازدياد الاهتمام بفهم المجتمع والتغيرات الاجتماعية ، وانعكس ذلك على الفكر الاجتماعى والسياسى خلال هذه الحقبة من التاريخ وظهرت نظريات سسيولوجية وسياسية جديدة ففى انجلترا ظهرت هربرت سبنسر ، وفى فرنسا ظهر اوجست كونت ، وفى ألمانيا وفرنسا وانجلترا ظهر كارل ماركس ، وفى المانيا ظهر ماكس فيبر .

واستبان من هذا الفصل أن الاتجاه الوضعي كان أحد الاتجاهات الكبرى

---

(١) د. محمد عاطف غيث ، المرجع السابق ص ٧١ — ٧٣ .

الذى ظهر فى هذا العصر . وقد أنكر أصحابه التفكير العقلى الخالص للعلاقة بين الفرد والمجتمع ، ونادوا بالانفصال كلية عن الفلسفة . وفسروا الظاهرات الاجتماعية فى ضوء معطيات التجربة ، ومفاهيم ومصطلحات علـوم الرياضة والميكانيكا والطبيعة والكيمياء . ومن أبرز الذين أخذوا بهذا الاتجاه أوجست كونت وروبرت ماكيفر وجورج لندبرج ووليام أوجبرن .

الفصل الثامن

الاتجاه التطوري التاريخي

تقـــديم :

التطور هو أحد الإتجاهات الأساسية التي ظهرت في القرن التاسع عشر . فقد أسهم كثير من الباحثين في نظريات هذا الإتجاه ، وفي رأي أصحاب هذا الإتجاه أن السير الرتيب للانسانية لا يمكن أن يكون اعتباطا أو خاضعا للمسيئات الفردية والأهواء والمصادفات ، ولكنه يقع في مراحل متعاقبة ينظمها قانون واحد يجمع في كلماته القصيرة كل تاريخ الإنسانية .

وكان تشارلس ديروين أحد رواده . أما لاكومب Lacomb فقد ذكر عن علم الإجتماع التاريخي أو التاريخ الإجتماعي أن التاريخ ينبغي أن يكون علما شاملا لتطور النظم . وشرح « هنري بير Herai Berr » ناشر كتاب تاريخ الحضارة A. Great History of civilization التركيب التاريخي . وألف «جورج رينارد George Renard» عدداً من الكتب في التاريخ الإجتماعي Social History نذكر منها « تاريخ الصناعة والعمل The History of Industry and lalor » . كما تبنى « إميل ليفاسير Emile Levasseur » التاريخ الإجتماعي في تنـــاول المشاكل وتطور العمل (1) .

1- See Harry Elmer Barnes, op, cit. p 460

فيكو Vico (١٦٦٨ — ١٧٤٤)

إيطالى الجنسية ، وتتلخص نظريته فى أن تاريخ الإنسانية يمثل وحدة متماسكة ، وأن تاريخ الشعوب وتطور مظاهر حياتها يمر فى ثلاث مراحل متتابعة على التوالى : المرحلة الدينية ، ومرحلة البطولة ، ومرحلة الإنسانية . وهذا التطور يسير سيراً دائرياً بمعنى أن آخر طور يمهد للطور الأول .

سان سيمون Count Henri de Saint Simon
(١٧٦٠ — ١٨٢٥)

فيلسوف اجتماعي فرنسى ، نال فى شبابه شهرة فى الجيش الفرنسى فى أمريكا ، وعند عودته إلى فرنسا عام ١٧٨٣ آزر للثورة الفرنسية ونزل عن لقبه ، جمع ثروة عن طريق المضاربة ، أنفقها بسخاء على (صالون العلماء)[1] .

واستخدم سان سيمون كلمه علم السياسة Science politique بدلا من كلمة علم اجتماع Sociology التي صاغها أوجست كونت . ونشر عدة موضوعات بعد أن قام بتجميع وتنسيق الاتجاهات والمذاهب التي كانت سائدة فى عصره[2] .

تفحص سان سيمون الظروف الأخلاقية والسياسية فى العصور الوسطى ، وقارنها بالظروف الاجتماعية فى بداية القرن التاسع عشر ، ووصل إلى نتيجة مؤداها أن العناصر العسكرية واللاهوتية تسود المجتمع الأول ، إذ تربع

(١) محمد فريد وجدى . المرجع السابق ص ٩٥ .

(2) Herry Elmer Barnes, op cit p, 73.

رجال الدين والقادة العسكريون على قمة الهرم السياسى ، بينما سادت الحياة الاجتماعية فى المجتمع التالى بالعناصر العلمية والصناعية . وهكذا مرت القيادة السياسية بمراحل تطورية واستحوذت عليها فى المجتمعات العلمية والصناعية عناصر قيادية تعمل على تقدم العلوم وتوجه الإنتاج الاقتصادى . وحيث أن القوى المسيطرة فى المجتمع الثانى هي فى ميدان الصناعة والعلم ، فرأى أن قادة الصناعة والعلم عليهم أن يعيدوا تنظيم الدولة ويوجهوها ، حتى يقيموا نظاماً اجتماعياً أفضل .

وفى كتابه « المسيحية الجديدة » (١٨٢٥) أعلن أن مفهوم الأخاء بين البشر يجب أن يصاحب التنظيم العلمى .

الكسيس دى توكوفى Alexis de Toqueville

(١٨٠٥ — ١٨٥٩)

اهتم توكوفى بالجذور التاريخية التي كان لها أثر عميق فى الثورةالفرنسية، كما أولى اهتماما بالاتساع الجغرافى الذى ساهم مساهمة فعالة فىوجود خصائص مميزة للتنظيم السياسى والاجتماعى فى المجتمع الأوربى فى القرن التاسع عشر . وألف توكوفى عـــدداً من الكتب نذكر منها « الديموقراطية فى أمريكا Democracy in America » ، ونظم الحكم القـــديمة The regime ، والثورة ، تناول فيها الثورات ، وهى ــ فى رأيه ــ انفجار يتبعه تقدم ، لم تستطع المسيحية الغربية أن تقاومه .

وأرجع توكوفى خصائص الاستقراطية والديموقراطية إلى عصـور ومراحل التاريخ ــ لا إلى المجتمع . ويرى أن عصور الديموقراطية ظهرت بعد الأرستقراطية ، ويتمثل ذلك فى فرنسا وتحولها من الأرستقراطية إلى

الديموقراطية . وتصور المجتمع الأرستقراطى نسقاً ثنائياً ، ينقسم فيه المجتمع إلى طبقة دنيا ، وطبقة عليا قليلة العدد ، بينهما هوة واسعة لا يمكن عبورها . ويتمتع أفراد هذه الطبقة العليا بامتيازات لا تستند إلى القوة أو سلطة الحكم فحسب ، بل تقوم كذلك على أساس ما تتمتع به من حقوق تتعلق بمصالحها الخاصة ، فهى تقاوم أى تهجم على هذه المصالح ، حتى لو صدرت عن الحاكم نفسه . ويتمثل ذلك فى السلطات الحاكمة فى أوربا الغربية خلال توحيـــد الوحدات الإقليمية . فالمساحة الجغرافية والفترة الزمنية محل الاعتبار تتسـع بحيث تغطى تنوعا من التنظيمات الاجتماعية (الدولة) . ويلقى على عاتقه مسئولية سير الشئون الخاصة كالأحلاف والحروب ، كما يواجه مسئوليات إدارة الشئون الداخلية ، ويساعده فى ذلك النبلاء وهيئة من الموظفين .

أما فى المجتمع الأرستقراطى ، فيمارس النبلاء سلطتهم ـ ليس على أساس تعاونهم مع الحكومة الإقليمية أو القومية فحسب ـ دائماً على أساس محلى كذلك . فكل نبيل يحكم قطاعاً من الجمهور يحدده عادة ما يمتلكه من أرض . وكانت القاعـــدة القانونية فى فرنسا فى ذلك الوقت « كل بارون ملك فى بارونيته Chapue baron ert noi dans sa barnnie » ، حيث يتمتـع كل نبيل فى إطار القانون بسلطات حاكمة على سكان مقاطعته . فهو يقوم بأعمال الشرطة ، وينشىء القوات المسلحة ، ويحصـل الضرائب ، ويفض المنازعات ، ويعاقب المجرمين ، ويعبد الطرق ، ويقدم المساعدات للمرضى والفقراء فى حدود مقاطعته . وهو يؤدى هذه المسئوليات ـ ليس بحكم وظيفته كحاكم ـ وإنما حسب قدراته وإمكانياته الخاصة . أما جباية الضرائب ، فهى ليست مجرد انعكاسا لاحتياجاته الخاصة بمستوى معيشته ، وإنما هى

كذلك انعكاساً لاحتياجاته الحكومية(١) .

ويرى توكوفى أن الانتفاضات الكبرى ينجم عنها انهيـــار الطبقات الاجتماعية العتيقة التي تدير الأعمال المحلية ، وظهور طبقات جديدة . ويترتب على ذلك تغير النسق السياسى ، وتصبح السلطة أكثر مركزية . فقد أدت الثورة الصناعية فى انجلترا إلى ظهور طبقة دنيا جديدة تستهدف مركزية السلطة لتحمى نفسها من السلطة المحلية التي تتمثل فى الطبقة العليا . ومع مرور الوقت تميل الطبقة العليا كذلك إلى مركزية السلطة(٢) .

وتؤدى الانتفاضات الكبرى كذلك إلى ظهور الديموقراطية ـ فيما يرى توكوفي . ويتمثل هذا في فرنسا بعد عام ١٧٨٩ ، وفي الولايات المتحـدة الأمريكية . ويختلف المجتمع الارستقراطى عن لمجتمع الديموقراطي ، فى النسق الأخير تتجلى عضوية الفرد فى المواطنة ، وفى المســاواة بين جميع الأفراد . وتقوم شرعية النسق الديموقراطى على أساس الحكم الجمعى ، وتتحقق العدالة التي تستند على إرادة الشعب ، وهى عدالة دنيوية علمانية تختلف عن النسق الارستقراطي الذى يقوم على قداســة التقاليد والتمسك بالأساطير الدينية الشرعية ، وفي ظل الديموقراطية ، تعمل الهيئة الحاكمة من خلال القانون ، وهو قانون رسمى وغير شخصى ، يمارس بأسلوب واحد على كل الإقليم ، ويضع قواعد لحقوق وواجبات الأفراد أساسها حق كل مواطن

---

(1) Gianfranco poggi, Images of society. de Tocquerille, Marx and durkheim, p. 3 & p.p; 6 – 7 & p. 15. & p.p. 62-65

(2) De Tocqueville Democracy in America, p. 298 Davies Lean, op. cit, p 15

فى المشاركة إلى مدى معين فى التعبير عن إرادة الشعب ، وتمتد المشاركة من حق التصويت فى الانتخابات إلى حق الانتساب إلى الهيئات الحاكمة.

وميز توكوفى بين الديموقراطية الأستبدادية والديموقراطية الجمهورية . وتتسم الديموقراطية الاستبدادية بافتقارها إلى القيود الشرعية ألتى تضبط تصرفات الحكومة . ويعتبر الشخص الديموقراطى فى الديموقراطية الاستبدادية مقياساً لكل شيء ، بينما فى ظل الديموقراطية ، تكون الحكومة منظمة وشرعية ، وتحقيق رغبات الشعب . أما الهيئات الدينية ، فهى حرة فى بث عقائدها ، وممارسة شعائرها دون تدخل من الدولة(١) .

وفى ظل الديموقراطية تزداد شدة الحراك الاجتماعى ، ولا تثار استفسارات عن تركيب وتوزيع الصفوة السياسية ، وإنما تظهر أسئلة تدور حول الأساس الكلى للتنظيم السياسى . ويتجلى ذلك فى أمريكا ، حيث أن التمايز الاجتماعي يلاحظ بدرجة أقل منه في المجتمعات الارستقراطية .

ويؤخذ على توكوفي أنه كان وصفياً عقلياً إذا ما قورن بالعديد من علماء الاجتماع الذين كتبوا في القرنين التاسع عشر وأوائل القرن العشرين(٢) .

تشارلس داروين Charles Darwin

قام تشارلس داروين بأسفار إلى مختلف بلدان العالم ، واستطاع أن يصنف الأشكال من الكائنات الحية والآثار المتبقية لاشكال الحياة الاولى وبين في كتابه

---

(١) Gianfranco poggi, op cit p.p 29-31 & p.p; 41-50

(2) Loan Dav.es, op; cit p. 14

« أصول الانواع Origins of species (١٨٥٩) نظرية مؤداها أن الجنس البشرى تطور تطوراً بطيئاً من التنظيمات الحيـوية الدنيا . وينتج عن ذلك التكيف مع البيئة(١) .

ويدلل داروين على ذلك بأن ما يميز الإنسان عن سائر الحيوانات لا يقتصر على مجرد القدرة على فهم الاصوات فهما واضحا ، فاذا كان الإنسان يدرك هذه الاصوات ، فان الكلاب لديها القدرة على فهم العديد من الكلمات والجمل . وهكذا ، فان الـكلاب والقرود والخيل والطيور ومخلوقات حية أدنى منها تدخل في نطاق التطور ، فهى تتعلم وتستجيب للنداءات الصوتية . فصغار الشمبانزى في تجربة كيلوجز Kellogs تتفوق خلال مرحـلة من مراحل حياتها على الطفل فى الاستجابة لكلمات الإنسان . ويستتبع ذلك أنه لا يوجد اختلاف بين معنى الكلمات والجمل بالنسبة للانسان والقرد والكلب . فالكلمات هى علامات ورموز للانسان ، وهى علامات للكلب . وإذا ما حللنا المنبهات الصوتية والاستجابات ، نجد أن الكلب يتعلم أن يجرى عند ما يطلب منه ذلك ، وينطبق نفس الحال على الإنسان ، فهو يستطيع أن يتعلم وأن يقف عند ما يطلب منه الوقوف . وهكذا يتبين وجود علاقة بين المنبهات ، الدافع والاستجابات عند كل من الإنسان والحيوان(٢) .

---

(1) B. Hortom paul & L. Hunt chester, Scciology, p. 73.

(2) Lewis A. coser & Bernard Rosenburg, sociobogical theory, A book of readings, p. 36.

هربرت سبنسر Herbert Spencer

(١٨٢٠ — ١٩٠٣)

ولد هربرت سبنسر لأسرة تنتمي إلى الطبقة المتوسطة ، وتلقى تعليما منزلياً واهتم بداية بالميكانيكا . وفى عام ١٨٣٧ أصبح كبير المهندسين فى خطوط السكك الحديدية فى لندن وبرمنجهـــام . وفى عام ١٨٤٨ استقال من وظيفته ، وعمل بالصحافة ، ثم أصبح رئيسا لتحرير المجلة الاقتصادية « Econou.ist » .

ساهم سبنسر فى علم اجتماع مساهمة كبيرة ، وصدرت له عدة دراسات كان أولهـا الثبات الاجتماعى « Social Statics » ؛ ونسق الفلسفة التركيبية ، ومبادىء علم الحياة ، ومبادىء علم الاجتماع ، ومبادىء الأخلاق . كما صدرت له مجموعة من المقالات تتناول الأخلاق ، والنظرية السياسية ، والتربية ، وتغير طبيعة الأحزاب السياسية ، وأهداف الفن ، وأصل الموسيقى .

أدرك سبنسر إمكانية تأسيس علم الاجتماع ، وهى تسمية اعترف مراراً أنه أخذها عن المعلم الفرنسى . لكن لمـاذا يمكن إقامة علم المجتمـع ؟ ذهب سبنسر إلى أن هناك نظاما للتعايش والتقدم فى المجتمع . وإذا كان هناك نظام فان الظواهر المطابقة قد تشكل موضوعا لعلم . وأضاف إلى ذلك أن موضوع علم الاجتماع خاص وفريد جداً ، طالمـا أن العملية الاجتماعية متفردة . فعـلم الاجتماع عليه إذن أن يفسر الحالة الراهنة للمجتمع بالتركيز على مراحل التطور الرئيسية وتطبيق قوانين التطور عليها . وقد أمل فى أن يفسر الحاضر المعروف بواسطة الماضى الظنى غير المعروف . وينهض هذا الموقف على نظرة سبنسر العامة والتى مؤداها أن التطور هو القانون الأسمى لكل موجود .

وأعتقد سبنسر بأن علم الاجتماع ينبغى أن يفيد من تعميمات العلوم الخاصة كالاقتصاد والحكومة والإنثولوجيا . وأشار إلى أن علم الاجتماع يختلف عن التاريخ فالتاريخ يروى الاحداث التي تمر بحياة المجتمعات (١) .

مفهوم التطور :

اهتم هربرت سبنسر بكتابات داروين ، واعتبر أن التطور هو القانون العام ، والمفهوم الرئيسى لفهم العالم ككل سواء فى النظم غير العضوية أو العضوية أو فوق العضوية (الاجتماعية) . والمجتمع فى رأيه ـ كائن عضوى أو مركب عضوى يشبه الجسم الحى ، وعناصر المجتمع وهيئاته تشبه نظائرها فى الجسم الحى . وعقد « سبنسر مماثلة بين المجتمع وبين الجسم الحي من ناحية التركيب الخارجي . ونظراً إلى التطور الاجتماعى باعتباره استمرار للتطور الذى يسميه « ما فوق العضوى للحيوان » ؛ وهذا بدوره ليس إلا استمراراً لعملية التطور العضوى . ويتميز تطور الكائن العضوى بأنه تغير من التجانس إلى اللاتجانس ، ومن البسيط إلى المركب ، ومن عدم التمايز إلى تمايز البناءات والوظائف وتخصصها. وتشبه عملية التطور الاجتماعى التطور البيولوجي العضوى ـ كلاهما قادر على النمو يزداد تعقد بنائهما كلما زاد حجمها ، وهذا التعقيد المتزايد يؤدى إلى نمو الانشطة المتزايدة فى التركيب . فالمجتمعات تتطور فى حركة مستمرة من المجتمعات البسيطة إلى المستويات المختلفة من المجتمعات المركبة . وفى المجتمعات البسيطة يعمل الناس نفس الأعمال بينما يسود المجتمعات المركبة التخصص والتعاون المتبادل .

(١) نيقولا تيماشيف . نظرية علم الاجتماع ـ طبيعتها وتطورها . ص ٥٣ ـ ٥٦ .

وأخترع سبنسر عبارة « البقاء للاصلح » وأعتبرها القوة الرئيسية التي تكمن وراء التقدم التطورى ، فالصراع فى سبيل البقاء داخل المجتمعات أو بينها فى نظره تؤدى إلى خلق حالة من التوازن الاجتماعى ، لأنه التحول البطيء الذى تمر به جماعة من حالة التجانس إلى حالة اللا تجانس .

وأول خطوة للخروج بالمجتمع من حالة التجانس إلى اللا تجانس وإختلاف العناصر تتصف بطابع دينى ، فهناك رجال الدين من ناحية ، ومن عداهم من الناس فى ناحية أخرى . ولكن لا تلبث الكنيسة أن تنفصل عن الدولة شيئاً فشيئاً ، ويصبح لكل منها حدود وتقاليد خاصة تضمن لها الاستقرار داخل نطاق نفوذها . ثم تتعقد الدولة فتتوزع مصالحها بين السلطات المختلفة من تشريعية وتنفيذية وقضائية ، وتتوزع السلطة التنفيذية بين الوزراء والمديرين ورؤساء الإرادات والمصالح . . . كما يتعقد نظام الكنيسة ويشمل طبقات ودرجات مختلفة ، ويظهر بجانب هذا التدرج أنفصال آخر بين المذاهب المختلفة وما يتبعها من إختلاف فى الطقوس والشعائر ، ويلاحظ أن هذا الإختلاف والتباين يزداد كلما تقدم المجتمع فى مدارج الرقى .

كما صـــور سبنسر التطور فى نموذجين : النموذج العسكرى والنموذج الصناعى . ويتكامل النموذج العسكرى عن طريق إستخدام القوة والقهر ، ويكون القائد العسكرى هو القائد السياسى ، ويعتبر النشاط الصناعى فرعى بالنسبة للمرحلة الحربية . ثم يتحول المجتمع من تلك المرحلة إلى المرحـــلة الصناعية ، ولا تكون القوة السياسية أداة فرعية للنشاط الحربى . ويقوم هذا المجتمع على مبدأ تقسيم العمل ، وفيه يسود العلمـاء والمهندسون ورجال الصناعة . ويظهر هنا البناءات الديموقراطية ، ويتحرر الفرد من قهر الدولة ، ويقوم التكامل فى المجتمع الصناعى على أساس التعاون الطوعى .

السياسة والمجتمع :

أهتم سبنسر بمعالجة العلاقة بين علم الاجتماع والسياسة . ويرى أن العلوم الإجتماعية وإن كانت متميزة إنما تمثل فروعا لعلم الاجتماع . وفرق بين مصطلحى المجتمع والدولة على أساس أن التنظيم السياسى هو ذلك الجزء من التنظيم الاجتماعى الذى يتولى عن وعى أداء وظيفة التوجيه والقهر من أجل تحقيق الأهداف العامة .

وتناول سبنسر مسألة أصل الدولة والحكومة تحليليا وتاريخيا ، « فالخوف من الحياة » هو العامل الأساسى الذى أدى عبر العصور إلى ظهور الضبط السياسى . و « الخوف من الموت هو أساس الضبط الدينى » . على أن الحكومة من الناحية التحليلية قد نشأت نظراً لأن المجتمع لا يستطيع أن يؤدى وظائفه ببساطة بدونها . فليس تجمع الأفراد وحده هو الذى يكون المجتمع ، وإنما يتعين أن يوجد نسق لتنظيم التعاون بين هذه الوحدات . ويمكن تحليل بناء الحكومة فى أى مجتمع إلى ثلاثة عناصر أساسية هى : القائد ، وجماعة الأقلية التي لديها قدرات تجعل منها هيئة إستشارية يستعين بها القائد ، ثم الأغلبية من العامة الذين يخضعون لحكم القائد وسيطرته . والقوة الأساسية التي تكمن وراء القوة السياسية والبناءات السياسية الأخرى هي « الإحساس بالمجتمع » ، وهو إحساس يستند إلى التراث الإجتماعى الهائل الذى يتبلور فى شكل عادات وتقاليد مستقرة [١] .

وأكد سبنسر على وجوب قيام الإصلاح السياسى ، إلا أن البناء الحكومى

---

(١) د . محمد على محمد . رواد علم الاجتماع — قراءة جديده للفكر الاجتماعي الغربي . ص ص ٨٣ — ٨٥

يميل إلى أن يكون محافظا ، ويعمل على مقاومة التغيير فى كتابه « مبادىء علم الاجتماع Principles of Sociology » بين أن التنظيم السياسى يتشابه مع جميع التنظيمات الأخرى فى مقاومة التغيير . ومن ثم لا تظهر الحاجة إلى الإصلاح ، وإنما تتجلى أهمية كفاءة النماذج ، وتقترح مبادىء الإصلاح [1] .

سبنسر فى الميزان :

أعتبر سبنسر أن المجتمع كائن عضوى يظهر من خلال تجمع الكائنات العضوية الفرديه ، ولجأ إلى المقارنة والتمثيل وتشبيه المجتمع بالكائن الحى . ولا شك أن الطبيعة الحيوية تختلف فى أسسها ومقوماتها ووظائفها عن الطبيعة الاجتماعية ، لأن الافراد فى الحياة الإجتماعية لم يجتمعوا ليأكلوا ويشربوا ، ولكن لينظموا شئونهم إجتماعيا ويصطلحوا على مايحقق الخير المشترك . حقا إن المجتمع يتكون من أفراد ، والأفراض خاضعون لقانون علم الحياة . ولكن لا يستتبع ذلك أن نقول أن المجتمع كائن حى كبير يخضع للقوانين نفسها التى يخضع لها الأفراد . فقوانين الحساب وقوانين الطبيعة تنطبق على الإنسان والحيوان والجماد ، ولكن ليس معنى ذلك أن هذه الكائنات متشابهة فليس معنى أنطباق قوانين الحياة على الإنسان والمجتمع أنهما متشابهان .

ولم يميز سبنسر بين عالمى الحيوان والإنسان . فمبدأ البقاء للأصلح لايمكن أن يسرى على الإنسان وهو يحيا حياة إجتماعية مثلما يمكن تطبيقه على الحيوانات التى تحيا حياه أنفراديه ، لأن الصلاحية ومبدأ تأصلها فى الأفراد إنما ترجع إلى المجتمع الذى يجعل الفرد معه فى مدارج الارتقاء .

1 -Harry Elmer Barnes, op. cit. p. 133

وكان ينبغي على سبنسر أن يتحقق من أن المجتمعات التي تعيش نفس المرحلة من التطور لا تتمتع بالضرورة – وفقاً لمبدأ التباين الاجتماعي – بأوجه شبه في السياسة والدين والأخلاق والفن وغير ذلك من الملامح الثقافية وعلى العكس من ذلك توجد النماذج المتشابهة من الحكومة والأشكال الدينية بين نماذج بنائية مختلفة من المجتمعات .

وأخطأ سبنسر في اعتقاده أن المجتمعات الصناعية تتميز بقدرتها على التنمية الاقتصادية ، وأن المجتمعات العسكرية تتسم بقدرتها على القتال والحرب ، إذ أن هذا المعيار يعد سطحياً ومظهرياً . كما أن وجهة نظره للحرب والقوة العسكرية كانت نظرية بحتة، حيث من الصعوبة بمكان أن يبرهن عليها بالرجوع إلى تطبيقات عملية .

وطالب سبنسر باستخدام منهج الملاحظة . وتصنيف نماذج المجتمعات ، والمقارنة الدقيقة ، والدراسة التاريخية ، وأكد أهمية كل هـــذه المناهج في الوصول إلى معرفة وصفية بالمجتمعات ، لكن ذلك كله ليس هدف الدراسة الإمبيريقية ، إذ أن هدف العلم بصفة عامة ، وعلم الاجتماع أيضاً هو إقامة نظريات سسيولوجية .

إدوارد تايلور Edward Tylor

(١٨٣٢ — ١٩١٧)

أنثروبولوجي بريطاني ، أهم كتاباته الثقافة البدائية Primitive Culture .
وعرف تايلور(١) الثقافة بأنها ذلك الكل المركب الذي يتضمن المعرفة

---

(1) See Eric Nordskog, social change, 77.

والمعتقدات والفن والأخلاق الاجتماعية والقانون والعادات الاجتماعية وغير ذلك من القدرات والعادات التى يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً فى المجتمع .

آمن تايلور بوجود مراحل محددة ومتميزة من تطور الثقافة الإنسانية . وتطلع إلى وسائل تمكنه من قياس التطور وبالتالى يستطيع أن يستخرج مبادىء عامة تحكم هذا التطور وتنبؤنا بمستقبل الثقافة البشرية ، وذلك بالرغم من وجود الجماعات ذات الثقافات المختلفة . واعتبر أن الدرجات المختلفة من الثقافة هي مراحل للتنمية أو التطور ، وكل منها ينتج عن تاريخ سابق ، وهى تسهم فى تشكيل مستقبل البشرية . واستعان فى ذلك بالدراسات الإثنولوجية وتمدن القبائل المتأخرة وارتباطه بتمدن الأمم الراقية .

واعتقد تايلور أن المحك الرئيسى للتطور الثقافي يتمثل في تطور الفنون الصناعية ونموها ، والمدى الذى وصلت إليه المعرفة العلمية ، وطبيعة الدين ، ودرجة التنظيم الاجتماعي والسياسى .

هذا وقد استمر استخدام العلماء والباحثين لتعريف تايلور للثقافة فترة طويلة امتدت من عام ١٨٧١ — ١٩٠٣ ، ولكن ازداد عدد التعريفات إلى ١٦٤ تعريفاً عام ١٩٥٠ ، ذلك أن التعريفات الوصفية التي تشتمل على عدد من سمات الثقافة تكون قابلة للنقد . ويعد تعريف تايلور ناقصاً ، كما أنه عقلانى . وبالإضافة إلى ذلك فهو يتضمن ثبات واستقرار الثقافة ويلقى على الإنسان دوراً إيجابياً .

لويس هنرى مورجان Morgon

من أوائل الأنثروبولوجين الأمريكيين ، وظل نفوذه وتأثيره عظيما خلال حياته ولعقدين من الزمن بعد وفاته .

تؤكد نظريته الأهمية الأساسية للعوامل التكنولوجية فى المجتمـــع ، والتغيرات التى تجرى فيه . وآمن مورجان بوجود مراحل محددة للتطور يمر بها الناس فى كل مكان . وميز بين ثلاث مراحل أساسية من التطور الثقافى : الوحشية والبربرية والمدنية . وتتولد كل مرحلة من هـذه المراحل بواسطة اختراع تكنولوجى عظيم . فالمرحلة الثانية من الوحشية تترتب على اختراع فن اشتعال النـار ، وظهرت المرحلة الثالثة نتيجة لاختراع القوس والسهم وبدأت البربرية بالتوصل إلى صناعة الفخار ، أما المرحلة الثانية منها فقد نتجت عن استئناس الحيوانات ، وبدأت المرحلة الثالثة بتشكيل الحديد وتحويله . وترتبط كل من هذه المراحل التكنولوجية بتطور متميز فى الدين والأسرة والتنظيم السياسى والملكية .

وفى كتابه « المجتمع القديم Ancient society » أورد أن هناك قدر من التقسيم الطبقى فى المجتمـــع الحديث ، وأن الأرستقراطية تتعارض مع الديموقراطية . وفى مجلة European Trav.l ja urnat تناول الحياة الاجتماعية فى إيطاليا واستراليا وألمانيا وفرنسا وانجلترا ، ولاحظ أن الطبقة الأرستقراطية قد وهنت ، وأنها بدأت تأخذ مكانها بين طبقة التجار وكبار رجال الصناعة وأصحاب البنوك ، والذين هم يستحوذون على السلطة حالياً . أما الطبقة الأرستقراطية الحقيقية فهى تتمثل فى أصحاب الأراضى .

وقد هوجم مورجان هجوما عنيفـــاً من رجال الأنثروبولوجيا مثل فرانس بواس B as وتلاميذه . فقد أعلن أحـد هؤلاء التلاميذ أن فكرة التطور الاجتماعى خاوية من المعنى ، وعقيمة . ونقد الكسندر جولدينويزر فكرة التطور ووصفها بأنها سقوط التطور The dowufall of ev lutin

وها هو فرانس بواس تجاهل إنثم مورجان فى كتابه تاريخ الأنثروبولوجيا The history of Anthropology ، بالرغم مه تناوله المدرسة التطورية(١) .

شبنجـــلر O. Spengler

كانت أعمال شبنجلر هى مجرد تكرار وإعادة لأعمال ليونتيف Leonieff ودانيلفسكى Danilevsky ، ومن ثم لا تتميز أعماله من أعمال أسلافه . وتتلخص أهم نظرياته فى الآتى :

١ ـ ارتضى الفصل بين الحقيقية التاريخية والحقيقة الطبيعية . . . فاذا كان المنهج الطبيعى يصلح خاصة للعالم الطبيعى . فانه يقصر عن تفسير التاريخ الإنسانى ، ولذلك فالمنهج التاريخى هو الوحيـــد الذى يوقفنا على حقائق التاريخ الإنسانى .

٢ ـ وأهم شىء عن فلسفته نظريته عن الحضارة . . . . . والمشاهد أن كل حضارة كبرى لها خصائصها المميزة ، إلا أنها جميعا تتفق فى تاريخها العـام واتجاهها نحو الفناء .

٣ ـ والدرجة الأخيرة من تاريخ الحضارة هي المدنية . . . وهذه تتميز بوجود نوع من سيطرة المراكز العليا تعتبر رئيسية فى المدنية(٢) .

---

(1) Seeharry Elmer Barnes, op. cit. p. 149 & p. 198.

وانظر تيقولا تيماستيف . المرجع السابق الطبعة الخامسة ص ٨٩ .

(1) See Doyle johnson, op. eit. p. 25.

وانظر د. محمد عاطف غيث . علم الاجتماع ص ١٣ .

كارل مانهايم Karl Mannheim

ولد مانهايم فى بودابست ، وهي مركز من مراكز الانتشار الثقافى للفكر الألمانى ، وعاش فى فترة سياسية عصيبة ، وشاهد جواً فكريا متصارعا أثناء الحرب العالمية الأولى . ولذلك ذهب إلى أن الاسباب المباشرة فى تكوين النظريات والمذاهب الفلسفية ، وفى نشأة الحركات الفكرية ، انما ينبثق من تلك الصراعات والمصـــالح السائدة فى مختلف الزمر الاجتماعية والمواقف التاريخية(٢) .

حاول مانهايم أن يدرس المضمون الحقيقى الكامن وراء كل عملية تاريخية وما تحققه من قيم وتصورات وطرق الفكر وأساليب المعرفة ، وهى التى تتعدل وتتبدل طبقا لتبدل المواقف وتحولها على مر العصور ، وتتقيد بموقف تاريخى معين ، وهى لا تتكرر « بشحمها ولحمها » لانها تمر ولن تعود . ومن هنا كان الزمان التاريخى هو الذى يخلق الفكر ويصنع القيم ، حيث يتميز كل عصر من عصور التاريخ بنسق ثابت من القيم والتصورات .

ويرى مانهايم أن دراسة الموضوعات الثقافية مثل موضوعات الفن والأدب والفلسفة ، انما يتعذر معها تطبيق مناهج العلوم الطبيعية ، بمعنى أنه لا يمكن أن تفهم حقيقة الظاهرات الثقافية الا بتفسير معناها ، حيث أنه لا يمكن أن تشاهد أو أن يقام عليها « منهج » من مناهج الملاحظة والاستقراء ، كما هو الحال فى دراسة الظاهرات العينية المشخصة التي يعالجها العالم الفيزيقى .

ولذلك كان العلم التاريخى ضروريا فى تحليل للظاهرات الحضارية وتفسير

(١) د. انظر قبادى محمد اسماعيل ، علم الاجتماع الالمانى ص ٤١٩

أنماط الفكر والثقافة ، فالتاريخ يقدم المادة الخام التي يستند إليها الفكر . وميز مانهايم بين ثلاث مستويات من تطور المعرفة وتغير الفكر . أولها مرحلة أو منهج « المحاولة والخطأ ، أو الاكتشاف بطريق المصادفة Chance discovery ؛ ثم يتجه الفكر إلى الاختراع Invenion وأخيراً يصل العقل إلى مرحلة التخطيط Planning .

وتظهر هذه التغيرات في حياة العقل والسلوك عن طريق التكيف . ويؤدى التصنيع والديموقراطية إلى حدوث هذه التغيرات . فانجازات التكنولوجيا الحديثة تؤدى إلى نتائج بناءه ؛ كما تحمل في طياتها نتائج هدامة . أما الديموقراطية فتستخدم لإبعاد العناصر والقوى العتيقة ؛ وهي ذات تأثير اجتماعى بناء ؛ كما أنها في ذات الوقت عنصر هادم للأخلاق[1] .

ولتقييم النزعة التاريخية عند مانهايم ، يقول « روبرت ميرتون[2] » في كتابه « النظرية الاجتماعية والبناء الاجتماعي social Theory and social Structure أن مانهايم قد أخفق في تحديد أشكال العلاقات التي تربط « البناء الاجتماعى » بمصادر المعرفة وأصول الفكر . وهذه ثغرة واضحة في المعرفة .

كذلك فان محاولة مانهايم التاريخية قد جانبها التوفيق ؛ حين تحاول جاهدة إخضاع الفكر الإنسانى للواقع التاريخى . كما أننا نعلم أن الاتجاه التاريخى

---

(1) Karl man nheim, man anp society. an age of re construtien Studies in m dern social structure, p. 71.

(٢) د. قبارى محمد إسماعيل . الاتجاهات المعاصرة في مناهج علم الاجتماع ص ٦٣٨ وما بعدها .

للنهايم يذهب إلى الأخذ بمبدأ نسبية الحقائق والمواقف التاريخية ، فمن الناحية المنطقية البحتة ، نقول : كيف يتفق القول بمبدأ مطلق كمبدأ الحتم السسيولوجي مع الإيمان في الوقت ذاته بمبدأ نسبية الفكر .

ولو أخذنا بتلك التصورية التاريخية لخضوع الفكر الإنسانى لحتمية الوجود الاجتماعى ، فكيف نفسر تلك « الإرادة » أو « القدرة » على تغيير الوجود الاجتماعى وتطوير المواقف التاريخية لو اقتصرنا على ذلك الموقف السلبي للفكر فى خضوعه لحتم التاريخ وحكمه .

ولو قبلنا جدلا فكرة الحتم التاريخى للفكر لوجدنا أن التاريخ فى ذاته لا يستند إلى تعميم ؛ أو إلى « قانون عام » كما هو الشأن فى العلوم الطبيعية لأن التاريخ يمتاز بالمضى والانفراد فى وقائعه الجزئية و« قضاياه المخصوصة » وأحداثه الفردة ومن ثم يصعب علينا التعميم والتوصل من تلك القضايا الفريدة إلى قانون يفسرها .

خلاصـــه

واتضح من هذا الفصل أن الاتجاه التطورى والتاريخى هو أحد الاتجاهات الأساسية التي ظهرت فى القرن التاسع عشر . وفى رأى أصحاب هذا الاتجاه أن السير الرتيب للانسانية لا يمكن أن يكون اعتباطاً أو خاضعاً للمشيئات الفردية والأهواء والمصادفات . ولكنه يقع فى مراحل متعاقبة ينظمها قانون واحد يجمع فى كل كلماته القصيرة كل تاريخ الإنسانية .

الباب التاسع

الاتجـــاه التحليلى

تقـــديم :

يعنى التحليل تقسيم المشكلة موضوع الدراسة إلى مجموعة متغيرات أو عناصر أو قضايا أكثر بساطة . والقضية البسيطة هى ما أعرف بوضوح ماذا تعنى. ومن ثم تنحل المشكلة الى مجموعة قضايا تساعدنا على إدراك ذلك العنصر المعقد، وقد يتبين حينئذ أن بعض العناصر أصبحت لغـــوا ، وأنها صيغت صيغة مضللة (١) .

وينقسم التحليل إلى تحليل عقلى وتحليل تجريبى . والتحليل العقلى هو تلك العملية التى يقوم بها الباحث من أجل الوصول إلى بعض المعانى الجزئية الواضحة ، وفى ذلك انتقال من المجهول إلى المعلوم . ومن أمثلة ذلك التحليل العقلى : تحليل فـكرة الزمن إلى ماضى وحاضر ومستقبل . وكذلك تحليل الوجود إلى ممكن وواجب . ومنه أنه لو حللنا معنى النوع الإنسانى نجد أنه ينطوى على بعض المعانى الخاصة وهى أنه ناطق ضاحك ماش آكل. و بعضها جوهرى كالنطق ، وبعضها عرضي كالمشى والأكل .

أما التحليل التجريبى فهو عملية مادية تستخدم فى عزل العناصر الأولية الحقيقية التى تدخل فى تركيب إحدى الظواهر . وينتقل البـاحث هنا من ظاهرة يجهلها إلى ظاهرة يعرفها معرفة دقيقـة ، وذلك عند إدراكه لطبيعة

---

١ ـ د . محمود زيدان . منـاهج البحث الفلسفى . ص ٥٥ .

العناصر التي تألف منها . فقد كان الإنسان يجهل قديما طبيعة الماء قبل تحليله إلى عنصرين ، وهما الأوكسجين والأيدروجين. كما أمكن تحليل الأوكسجين إلى غازات ، وتحليل الأيدروجين إلى ألوان الطيف (١) .

جورج زيمل George Simmel
(١٨٥٨١ – ١٩١٨)

جورج زيمل ألمانى الأصل ينتمى إلى أسرة يهودية ميسرة الحال . وحين بلغ الثامنة عشرة من عمره ، دخل جامعة برلين ، والتحق أولا بقسم التاريخ ، ثم تحول إلى قسم الفلسفة ، ثم حصل على الدكتوراه ، وكان موضوعها : « الفلسفة الطبيعية عند كانط Kant » ، وفى عام ١٨٩٠ نال شهرة حين نشر كتابه « علم الاجتماع Sozialogie » .

رفض زيمل النظريات العضوية لكل من كونت فى فرنسا وسبنسر فى انجلترا ، وانتقد الوصف التاريخى للأحداث الفريدة ، كما انتقد فلسفة ماركس وتحليله الاقتصادى الذى يرجع إليه كل ما يدور فى المجتمع من حركة ونشاط . وقرر فى هذا الصدد أن الظاهرة الاقتصادية لا يمكن أن نفهم فهما صحيحا بدون دراسة القوى النفسية والروحية والأخلاقية والسياسية التى تؤثر فى السلوك الاقتصادى للمجتمعات .

ومع ذلك فقد قبل زيمل من نظرية ماركس ملامح المادية التاريخية ، والتغيرات الإجتماعية التى نجمت عن ظهور النقود ، فقد ظهرت علاقات التعاقد التى تقوم على أساس غير شخصى ، واستبعاد الاعتبارات الأخلاقية ، ويتمثل ذلك فى رابطات العصور الوسطى .

١– د . عبد اللطيف محمد العبد . مناهج البحث العلمى . ص ص ١٨–١٩

وتأثر زيمل بنظرية سبنسر عن التطور والتعقد الاجتماعى ويعكس أول مؤلف لزيمل وهو «التباين الاجتماعى» هذا التأثير، على وجه الخصوص عند مناقشة الأسس المتغيرة لشكل الجماعة، والمنظمات الإجتماعية للفرد .

كما تأثر زيمل بالفيلسوف الألمانى إيمانويل كانط Immanuel Kant خاصة فيما يتعلق بالتمييز بين التصور الإنسانى للظاهرة، والأسس الجوهرية للموضوعات كما هى فى ذاتها . فنحن لا نستطيع أن نعرف الموضوعات كما فى ذاتها، وإنما كما تظهر لنا . وقد طبق زيمل هذا النموذج من الفكر فى سعيه لمعرفة الحقيقة الإجتماعيــة . فالمعرفة السسيولوجية تتضمن ماهو أبعد من الملاحظة، والعقل الإنسانى يفسر الحقائق الإمبيريقية، وهو يستخدم معايير لاتفسر الحقائق كما هى فى ذاتها . ومن ثم ميز زيمل بين الشكل والمحتوى(١) .

ويرى جورج زيمل أن علم الاجتماع يتناول نفس الموضوعات التى تدرسها العلوم الإجتماعية . ومع ذلك فهو يتمتع بمجال خاص فى دراسته، ويتعـامل مع نماذج مختلفة من العلاقات الإجتماعية . فهو علم اجتماعى خاص يقوم بشرح وتصنيف وتحليل :

١ ـ أشكال العلاقات الإجتماعية .

٢ ـ عملية التنشئة الإجتماعية .

٣ ـ التنظيم الإجتماعى (٢) .

---

(1) Doyle paul Johnson op cit. p.p. 250-254

(2) B.S. Narang and R.c. Dhawam Introduction to Soctal Science, p. 3

وقد أكد زيمل أنه من العسير فهم المجتمع على أنه وحدة سسيولوجية مستقلة عن عقول الأفراد . كما أنه من الخطأ الاعتقاد أن للأفراد وحدهم وجودا واقعيا ، فالأفراد فى ذاتهم ليسوا ذرات اجتماعية،أى المادة التى يتكون منها المجتمع . والمجتمع اذن ليس هو مجموع الأفراد الذين يكونونه، وإنما تؤلف الأفراد (كل A whole) ، وإذا كان الكل هو أكثر من مجموع الأفراد على حد تعبير مدرسة « الصيغ الجشطانية Gestalt » ، فكذلك الحال نفسه بالنسبة للمجتمع . فهو أكثر من مجموع الأفراد المكونين لفحوى ومضمون البناء الإجتماعى .

ويذكر زيمل أن البناء الإجتماعى أو النظم الإجتماعية لاتستقل استقلالا مطلقاً ، بل هى تتفاعل مع غيرها من النظم ، مما ينجم عنه صور مجردة من العلاقات بعيدة عن تجسداتها الإجتماعية . في حين أن علوم الاقتصادوالسياسة والقانون وما إليها تعالج بعض نماذج العلاقات المتبادلة . على أن هناك فى الواقع نماذج لاحصر لها من علاقات التفاعل . والتي تتضمن ظواهر الحياة اليومية ، مثل نظرة الناس إلى بعضهم والاشتراك فى تناول الطعام وتبادل الخطابات ومساعدة الآخرين .

وقد لايكون هناك استمرار للكثير من العلاقات المتبادلة عبر الزمن بينما تأخذ علاقات أخرى أشكالا محددة . وتتجسد في مواقف متسقة مثل الدولة والكنيسة أو عصابة المنحرفين . أو المدرسة . أو الهيئة الاقتصادية .

بيد أن هناك إنتقادات كثيرة وجهت إلى زميل بصفة خاصةو إلى مدرسة

العلاقات بصفة عامة . وأهم هذه الانتقادات ما يأتى :

١ ـ لا يمكن دراسة العلاقات الاجتماعية دراسة مجردة . إذ أن تجريد هذه العلاقات وردها إلى عناصرها الأولية يخرجها عن طبيعتها ويجردها من معانيها الاجتماعية . فتبقى عقيمة غير ذات دلاله مادية وشيئية .

٢ ـ إن تجريد هذه العلاقات الاجتماعية والرجوع بها إلى عناصر أولية مجردة يقطع صلتها ويمزق وحدتها ، لأن هذه العلاقات متداخلة ومتشابكة وسريعة التغير ودائمة التفاعل ، ومن طبيعتها أن لا تفهم جيدا إلا فى صلاتها المستمرة وتفاعلها السريع وتطوراتها التي لا تقف عند حد. والملاحظ أن كل تغيير يصيب ناحية من نواحيها لابد أن يتردد صداه فى العلاقات ، فلا يمكن إذن دراسة هذه العلاقات منعزلة أو مجردة . ومن ثم يجب دراسة المجتمع ككل ويجب دراسة العلاقات دراسة موضوعية كما هى موجودة فى مختلف وجوه النشاط الاجتماعى .

٣ ـ إن دراسة العلاقات الاجتماعية دراسة مجردة تتنافى مع فكرة القانون الإجتماعى . إذ كيف نستطيع الوصول إلى قانون إجتماعى يحكم « ظاهرة المنافسة فى ذاتها » مالم تكن المنافسة مرتبه بالحوادث الاجتماعية ومقيده بشروط زمنية وموضوعية . إن رجل الإجتماع لا يفهم المنافسة إلافى ضوء مادتها الاجتماعية ومن الحالات التى تقوم فى وسط جمعى كالمنافسة الاقتصادية والسياسية والرياضية والعلمية ، أما المنافسة في ذاتها أو الصورة المجردة لظاهرة المنافسة فانها أفكار فلسفية ميتافيزيقية يمكن أن تكون مادة لقوانين من طبيعة فلسفية وليست من طبيعة إجتماعية .

فلفريدو باريتو Vilfredo Pareto

(١٨٤٨ — ١٩٢٣)

ولد فلفريدو باريتو في باريس عند أب إيطالى وأم فرنسية . وعاد إلى إيطاليا في الحادية عشرة من عمره حيث تلقى دراسته ، ثم التحق بمعهد الهندسة في تورين Tourine . وعمل في وظيفة مهندس إستشارى بالسكك الحديدية ثم عين مراقباً لمناجم إستخراج الحديد . وفي عام ١٨٨٢ حصل على ميراث مكنه من أن يكرس بقية حياته للدراسة والبحث . ونشر مجموعة مقالات في الاقتصاد ، ثم في الاقتصاد الرياضى ، ثم مؤلفه الأنظمة الإشتراكية Sosial Systems ، ثم كتابه « مقدمة عامة في علم الاجتماع Treatize on Sociology ، ثم مؤلفه « العقل والمجتمع Mand and Society

أتفق باريتو مع أوجست كونت في بعض أفكاره وبخاصة تطور الإنسانية إلى الحالة الوضعية ، ولكنه أخذها بما تتضمنه من نزعة إنسانية . وإستخلص من الداروينية ومن أفكار سبنسر كل ما يتعلق بالتساند المتبادل بين مكونات الجسم الاجتماعى [1] .

علم الاجتماع ومناهجه :

أكد باريتو الطابع العلمى (الامبيريقى) عن طريق إستخدام المنهج التجريبى المنطقى Logic - Experimental Method Man and الذى يعتمد على الملاحظة والاستنتاج المنطقى ، وفقاً لقواعد الاستقرار الاساسية

---

(١) د . محمد على محمد . رواد علم الاجتماع المرجع السابق . ص . ص . ١٥٣ — ١٥٧

التى حددها جون ستيوارت ميل . ويؤكد باريتو على أن الأسلوب العلمى يجب أن يقوم ما هو غير معروف على أساس ما هو معروف . ومعنى ذلك أن تفسير الماضى من خلال الحاضر ، هو أفضل من تفسير الحاضر على ضوء ما هو معروف .

النسق الإجتماعى :

أعتبر باريتو المجتمع نسقاً فى حالة توازن ، فهو يتكون من أجزاء يعتمد كل منها على الآخر . والتغيير فى جزء من هذه الأجزاء يؤثر على بقية الأجزاء الأخرى. أما جزيئات النسق أو عناصره الماديه فهى الأفراد الذين يخضعون لقوى إجتماعية ذات سمات عامة وثابتة . ويحدد حالة النسق الظروف الآتيـة : أولا : البيئة الخارجية عن الانسان ـ أى الأرض والمناخ والظروف الطبيعية . ثانيا : العوامل الأخرى الخارجية عن المجتمع فى وقت معين ، ويشمل ذلك المجتمعات الأخرى التى تحيط بالمجتمع ، والظروف التى مر بها فى فترات سابقة . ثالثا : عناصر النسق الداخلية ، وتشمل السلالة والمصالح والمعرفة ، وكذلك الرواسب residues والمشتقات derivation وهى التى تعد بمثابة مظاهر للعواطف sentiment . وأعتبر باريتو التربه والمناخ ذات أهمية محدودة نسبيا إذا ما قورنت ببعض خصائص السكان مثل العرق (Race) .

وأكد باريتو أن هذه العناصر بينها إعتماد متبادل . وأعتبر أهمها الرواسب والمشتقات والعوامل الاقتصادية واللاتجانس الاجتماعى والحراك الاجتماعى ودورة الصفوة .

وإستند باريتو فى تحليله للقوى الداخليـة الى التميز بين الفعل المنطقى ،

والفعل غير المنطقى . والفعل المنطقى — فى رأيه — هو الفعل العقلى الخالص Pure Rational Action الذى يستخدم وسائل تتناسب مع الأهداف . وتستند الأفعال المنطقية على الموضوعية ، وتقوم على المنهج المنطقى التجريبى أما عدا ذلك من أفعال فهى أفعال غير منطقية . وأعتقد باريتو أن الافعال المنطقية نادرة فى حياتنا الإنسانية اليومية . وهى تتمثل فى السلوك العلمى ، والنشاطات اليومية ، وسلوك المحامين فى ساحات القضاء (١) .

وأرجع باريتو الأفعال غير المنطقية الى الرواسب والمشتقات والتى تعتبر بدورها مظاهر للعواطف ، ويبدو أنها حالات بيولوجية . والرواسب — فى رأيه هى مجموعة من الأصول التى تفسر بناء عليها جميع مظاهر السلوك الإنسانى فى المجتمع . أما المشتقات فهى تجليات واضحة أو المظاهر السلوكية المعروضة دائما للتغير عن طريق إعطائها ألوانا مختلفة من الشعارات والنظم والتوجيه السياسى يرجع أغلبها الى رواسب هى المصدر الأول لكل حدث سياسى أو اجتماعى .

دورة الصفوة :

وانتهت به نظريته عن الرواسب والمشتقات الى صياغة نظريته عن دوره الصفوه Circulation of Elites . فاللاتجانس الاجتماعى Social heterogeneiy هو خاصية أصيلة فى كل المجتمعات ، ولا يتساوى الناس فى صفاتهم الفيزيقية والعقلية فقلة من الناس يتمتعون بقدرات ومواهب تمكنهم من أن يكونوا فى مركز السلطة ، وهؤلاء هم الطبقة الحاكمة . وهى

---

1 – James H. Meisel, (Ed), Makers of Modern Social Sciences Pareto & Mosca, pp. 63-64 & See Lewis A. Coser, op.pp 388-389.

ما يطلق عليها الصفوة . وهناك فئتان رئيسيتان للصفوة هما الصفوة الحاكمة التي تتألف من أفراد يلعبون دورا بارزا في ممارسة السلطة السياسية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . ثم الصفوة الحاكمة التي تتألف من أفراد لديهم القدرات ، ولكنهم ليسوا في مراكز السلطة . وفي ضوء سيطرة الرواسب على الطبقة الأولى أو الثانية ، نستطيع أن يميز بين نوعين من الأفراد : الأول يمثله المفكرون Speculater ، والثاني يمثله المحافظون Rentiers . وحينما يستحوذ المفكرون على السلطة ، ويصبحون الصفوة الحاكمة ، يمر المجتمع بتغير سريع نسبيا ، بينما يكون التغير بطيئا حين يسيطر المحافظون . وتميل الصفوة إلى التناوب فحين تشغل إحدى هاتين الفئتين مركز السلطة ، فهي ترتكب أخطاء جسيمة فتحل محلها الفئة الأخرى. وهكذا فالتاريخ مقبرة الأرستقراطية .

باريتو في الميزان :

رفع باريتو شعار المنهج العلمي ، وأكد أن علم الاجتماع يجب أن يعتمد على المنهج التجريبي المنطقي ؛ وهو المنهج الذى يستلزم القيام بالملاحظة العلمية والخروج منها باستنتاجات منطقية . ولكن تحليلات باريتو كانت ذات طابع سيكلوجي وسياج عاطفي .

ونظر باريتو إلى المجتمع باعتباره نسقا يحقق توازناً ، وأن العناصر المادية لهذا النسق تتألف من الأفراد تتعرض لقوى هي العواطف والرواسب التي تحدد وضع النسق الاجتماعي . وهذا التطور للنسق الاجتماعي لا يعطى للثقافة إلا دوراً ضئيلا للغاية .

ومن ناحية أخرى ، فقد اكتفى باريتو بوضع قائمة للرواسب زاعما أنها ذات جذور عميقة فى ثنايا النفس البشرية دون أن يفسر لنا العوامل التي تمنح هذه الرواسب تلك القوة الفعالة . كذلك فقد استخدم عدداً من المصطلحات الغامضة غير المحددة ؛ فهو أحياناً يطلق على الرواسب مصطلح الغرائز وأحياناً أخرى يذهب إلى أن الرواسب أوسع نطاقاً وأشمل من الغرائز . كما نجده يستخدم مصطلحى « الرواسب » و « العاطفة » كمترادفين ، ثم يعود ويحذر من الخلط بينهما . وأرجع باريتو الرواسب إلى العاطفة ؛ وهى دائماً غير منطقية . ومع ذلك فقد اكتشف مفكرو القرن التاسع عشر (سومنر Sumner أن العاطفة هي جماع طائفة من المشاعر والأفكار والأحكام القيمة والمعايير ، وهي أحياناً تكون مصدر الإبداع والخيال الخصب الخلاق . وفضلا عن ذلك فهو لم يميز تماماً بين الرواسب والمشتقات .

لو افترض باريتو فرضاً مؤداه اللامساواة الاجتماعية سمة أساسية من سمات المجتمعات الإنسانية . والحق أن التاريخ يؤكد لنا أن بعض المجتمعات يظهر فيها قدر كبير من عدم المساواة ، بينما مجتمعات أخرى تكاد تختفى عدم المساواة بين الأفراد .

فرديناند تونيز Ferdinand Toennies

(١٨٥٥ — ١٩٣٩)

ولد فرديناند تونيز فى شلزفيج ، وهى أقصى مقاطعة فى شمال ألمانيا . ويعد كتابه « الجماعة المحلية والمجتمع Community and society »

أول وأهم عمل له ، حيث صدر لأول مرة عام ١٨٨٧ . وأكد فى هذا الكتاب أن كافة العلاقات الاجتماعية هى نتاج للارادة الإنسانية التى تتخــذ نمطين متميزين : الأول هو الإرادة الرئيسية Essential will ، وهى تمثل اتجاها أساسيا وغريزيا وعضويا يكمن وراء النشاط الإنسانى كدافع له . والنمط الثانى هو الإرادة التحكمية Arbitary will ، وهى الشكل المتعمد والقصدى للارادة الذى يحدد النشاط الإنسانى بالنظر إلى المستقبل . ويؤكد تونيز أن الإرادة الرئيسية تسيطر على حياة القرويين ، وأصحاب الحرف والعامة . بينما التحكمية هى الطابع المميز لنشاط رجال الأعمال ، والعلماء ، والذين يمارسون السلطة . ويميل النساء والشباب إلى إشباع إرادة رئيسية ، بينما نلاحظ أن الرجال وكبار السن يسيرون وفقا للنمط التحكمى للارادة[1] .

وأطلق تونيز على الجماعة الأولى — التى تعبر عن الإرادة الرئيسية — مصطلح « الجماعة المحلية Gemeinschaft » . وهى تشير إلى المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ ، وتقوم على التنشئة والتقاليد ، وتعد القرابة أساس هذه المجتمعات وتسود العلاقات الشخصية والتقليدية . ويتمثل ذلك فى الرجل الإقطاعى ، وفى الأسرة ، والجماعات القرابية ، والجوار فى القرية والمدينة .

أما الجماعة الثانية ، والتى نشأت عن الإرادة التحكمية ، فقد أطلق عليها مصطلح « المجتمع Gosellschaft » . وقد ظهر المجتمع بظهور الإنتاج الصناعى الرأسمالى والتحضر . وهو يستند إلى الروابط السياسية والتعليمية ، وأعمال التجارة ، وكثافة علاقات المصالح ، وعلاقات التعاقد ، وتسود

(١) نيقولا تيماشيف . المرجع السابق — الطبعة الخامسة ص ١٥٥ .

العلاقات العلاقات غير الشخصية . ويتمثل ذلك فى المدينة والدولة . ويضيف أن الجماعة المحلية والمجتمع يعكسان مراحل تطورية ، فالمجتمع ينبثق حينما ينفصل الأشخاص، وتحرر الخدمات من إطار الجماعة المحلية ، وبخاصة بعد أن ظهرت النقود ، وأصبحت السلع تباع وتشترى .

فلوريان ويتولد زنانيكى Florian witold znanicki

(— ٨٨٢)

ولد فلوريان ويتولد زنانيكى فى ١٥ فبراير عام ١٨٨٢ بالقرب من سورياتنيكى Swiatriki فى بولنـدا . وتلقى تعليمه الأولى على يد معلمين خصوصيين ، حيث تعلم اللغة الفرنسية والألمانية والروسية . وفى المدرسة الثانوية تعلم اللغة اليونانية واللاتينية والأدب وكتابة الشعر . وفى عام ١٩٠٣ وحوال العشرين من عمره نشر ديوانا فى الشعر بعنوان « شعر الخيـــال poem of fantasty » . وفى جامعة وارسو انضم إلى جماعة ثائرة وطرد من الجامعة . ثم بدأ فترة من السفر والدراسة فى سويسرا وفرنسا وإيطاليا ، والتحقق بجامعات جنوه وزيورخ وباريس ، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة كراكاو Cracow(١) .

وانتهج زنانيكى منهج التجريد والتعميم ، وهى عمليات تســاعد على التصنيف . وبالتالى تظهر أهميتها فى العلوم ، ويتجلى فيها الاستقراء التحليلى. واهتم كذلك بتحليل التفاعل الإنسانى والثقافة كما أشار إلى علم اجتماع العلم ، وحدد نموذجين من الموضوعات فى دراسته للمعرفة . فألفاظ مثل عالم ، ورجل متعلم ، ورجل العلم والمعرفة تستخدم باعتبارها مترادفات مما ينجم عنه نوعان

---

(1) Robert Biosedt, op. cit. p. 185.

من المشاكل ، أولها : ماهو تركيب وبناء النماذج المختلفة من الأدوار الاجتماعية للعلماء ؟ وما هى علاقاتهم واتجاهات نحوهم ؟ وثانيهما : كيف تتأثر أنساق المعرفة والمناهج بالأنماط القياسية التى تحدد سلوكهم فى النظام الاجتماعى ؟

وقد أدرك زنانيكي الدور الاجتماعي لرجال العلم ، واعتبره نسق اجتماعى يتضمن :

١ ــ دورة اجتماعية ، وهى مجموعة من الأفراد يتفاعلون فيما بينهم .
٢ ــ ذاتية الفرد ــ أى خصائصه الفيزيقية والسيكلوجية .
٣ ــ المكانة الاجتماعية للفرد .
٤ ــ وظائف الفرد ودوره الاجتماعى .

وبدأ زنانيكى بأن ميز الأنساق الطبيعية والأنساق الثقافية . وتستقل الأنساق الطبيعيةمن تجارب الإنسان ونشاطاته . ويهتم كل علم بموضوعاتمعينة ويتجاهل الموضوعات الأخرى . أما علم الاجتماع فهو علم الأنساق الاجتماعية . وينقسم هذه الأنساق بدورها إلى أنساق فرعية هى : نظرية الأفعال الاجتماعية ونظرية العلاقات الاجتماعية ، ونظرية الإنسان الاجتماعى ونظرية الحاجات الاجتماعية . وهكذا فان علم الاجتماع له مجاله وميدانه الخاص . وهو علم إمبيريقى يستقل عن العلوم الإمبيريقية الأخرى . ومن ثم فليس من المناسب استخدام الحقيقة العلمية التى تمت فى العلوم الأخرى سواء فى علم النفس أو علم البيولوجيا أو الأنثروبولوجيا أو الجغرافيا . وإذا كنا لا نستطيع أن نتجنب استخدام القياس فى علم الاجتماع ، فان علم الاجتماع ينبغى أن يكون علماً استقرائيا ينبنى على الحقائق الإمبيريقية .

وخصص زنانيكى فصلا عن العلاقات الاجتماعية ، وصفتها إلى علاقات تلقائية تقوم على أساس بيولوجي ، وعلاقات طوعية كالروابط الدينية والعلمانية . وتسود هذه العلاقات جميع العلاقات الإنسانية . وهى تتميز بالتبادل كالعاطفة والمساعدة والعطاء المتبادل ، وكذلك الخدمات والمساعدات المتبادلة . وجميعها أفعال اجتماعية .

وميز زنانيكي بين علاقات الزواج وعلاقات الغزل والعشق بالرغم من أنهما حق طبيعى يتوافر فى كل فرد ذكر أو أنثى . وذكر أن علاقات الزواج تختلف باختلاف الثقافات المتباينة ، ولكنها تتفق فى أن المجتمع المحلى هو الذى ينظمها . ويميل الرجال والنساء فى جميع المجتمعات إلى الزواج حين يصلون إلى سن النضج الجنسى ، ويستثنى من ذلك من يختارون لوظائف معينة كالوظيفة الدينية ، وكذلك من هم فى مستوى عقلي وفيزيقي منخفض . وليس الزواج مجرد إشباع للحاجة الجنسية أو التعاون الاقتصادى القائم على أساس تقسيم العمل بين الذكور والاناث ، ولكنه كذلك يشبع الحاجة إلى التكاثر والإنجاب . وشرح زنانيكى تنوع عادات الزواج من مجتمع إلى مجتمع آخر كما يبين الواجبات والحقوق بين الزوج والزوجة .

أما علاقات الغزل والعشق فتختلف عن علاقات الزواج من حيث أنها تستهدف بقاء السلالة ، ولكنها إشباع للذكور والإناث يقوم على أساس الجاذبية الجنسية ، وهى ليست دائمة ، وإنما تستمر لفترة محددة(١) .

---

(1) Ebid·, p· P. 230 – 2ع4.

خلاصـــة

أوضحنا فى هـذا الفصل الاتجاه التحليلى ، وهو اتجاه يقوم على تقسيم المشكلة موضوع الدراسة إلى مجموعة متغيرات أو عناصر أو قضايا أكثر بساطة وينقسم التحليل إلى تحليل عقلى وتحليل تجريبى . ومن أنصار هـــذا الاتجاه جورج زيمل وفلفريد وباريتو وفرينا ند تونيز .

الفصل العاشر

الاتجـــاه النفسى

تقـــديم :

لجأ كثير من علماء الاجتماع خاصة فى أمريكا إلى تفسير المجتمع فى ضوء علم النفس الاجتماعى . ويرجع ذلك إلى غموض النظم الاجتماعية . ويرتبط هذا الاتجاه بعلم النفس بالتركيز على الذات واتجاهات الفرد وعواطفه ودوره فى الفعل الاجتماعى ، وبمعنى آخر كيف يفسر الفرد الجماعة ؟ وفى ضوء هذا فان الجماعات ليست موجودة فيزيقيا . وإنما هى مجرد حصيلة جمع عدد من الأفراد يلعب فيها الفرد دوراً ، وتؤثر هى على سلوكه .

سيجموند فرويد Sigmond freud

يذهب فرويد إلى أننا لا نستطيع أن نثق فى جميع الأحوال فيما يقوله الناس عن أنفسهم . ومن ثم ينبغى أن تستخدم طرقا غير مباشرة مثل تحليل الأحلام ، والقيـام بالاختبارات النفسية لمعرفة عمق الدوافع التى تحرك سلوك الفرد(١) .

ولفهم تلك الدوافع الإنسانية قسم فرويد الذات Self إلى ثلاثة أجزاء هى : الهو The ide ، والأنا ego ، والأنا العليا Super ego . وأل ide هى أساس الدوافع الفطرية ، وأساس جلب الملذات للفرد . ويستخدمها المحللون

(1) Bernard Mauser, citizens Guide to the Social Sciences, p. 84.

النفسيون فى تفسير مظاهر معينة من السلوك كالعدوان .

أما الأنا ego فيقصد بها الوعي الذاتى ، والذات الشخصية Personal self وهى تتمتع بتأثيرات وقوى ذات اتجاهات ثلاث أولها : تتابع الدوافع الناجمة من جسم الفرد وأعضائه ، أى طاقة الفرد . وثانيها : المنبهات ، وهى الأعضاء الجسمية والحسية . وثالثها : البيئة الاجتماعية ، وهى التي تتخلل الشخصية وتتمثل فى الأنا العليا(١) .

وتنمو الأنا العليا من خلال عملية التنشئة الاجتماعية ، وتكوين العلاقات مع الآخرين . وتشمل رموز الجماعة التي تخص الخير والشر . ويتعلم الفرد ويكتسب هذه الرموز ممن يحيطون به أقران ، وعلى وجه الخصوص من الأبوين .

وذكر فرويد أن كلا من الهو id ، والأنا العليا تؤدى إلى قلق ، فالناس يميلون للاتجاه الى الإشباع الجنسى . ومن ثم فهم يعملون على إزالة هذا القلق ، والمحافظة على توازن الانفعالات والعواطف ، وهي ما يسميها فرويد « آلية الدفاع defense mechanism » .

وإستخدم فرويد لفظة « الإعلاء Suhxlimation » ليشير إلى فاعلية . النشاط الانتاجى الاجتماعي ، والذى يعمل على تصريف طاقة اللبيدو libido وتزيل القلق . فالفرد الذى يأخذ حماماً بارداً ويجرى حول الملعب والشخص الذى يكرس كل وقته وجهده للبحوث العلمية أو الفنيه أو الدينية

(1) Talcott parsons, acti n theoro and human condition, p. 416.

إنما يعملان على إعلاء الدافع الجنسى . وكذلك الزوج الذى يضرب زوجته لإحساسه بعداء وخصومه نحو رئيسه إنما يعلى دافع العدوان ويحقق توازنه وتحدث نفس الاحداث حين يقوم الفرد بعمل على عكس ما يريده (١) .

مارجريت ميد Morgeret mead

قامت مارجريت ميد بدراسة خصائص الجنس وأمزجة الناس في عدد من المجتمعات البدائية واستنتجت من هذه الدراسة عام ١٩٣٥ أن هاتين الخاصتيين من سمات الشخصية . ويرتبط ما نسميه بالذكورة والانات إرتباطا ضئيلا بالجنس ، حيث تمتد الفروق بينهما إلى ارتداء الملابس ، والأخلاق ، والسلوك ، وشكل غطاء الرأس .

واتضح لمارجريت ميد وجود أرتباط بين الجنس والمزاج . فنى غينيا الجديدة يتمتع الذكور والإناث فى قبائل ماندا جومور Mundugumor بمزاج عدوانى ، وهم يتشككون فى كل شىء .وفى قبائل تشامبولى Tchambuli يسود النساء روحا عدوانية ، أما الرجال فهم عاطفيون ، فنانون ، حساسون ومن ثم يمكن القول أن الذكور عدانيون بطبيعتهم ، والنساء سلبيون . ومع ذلك فقد إكتشفت مارجريت ميد أن رجال التشامبولى يذهبون للحرب ، وبالتالى فمن الصعوبة بمكان الإعتقاد أنهم أقل عدوانية من النساء (٢) .

وأشارت ميد إلى أن بعض المجتمعات البدائية يسودها روح التعاون ، بينما يسود البعض الآخر روح التنافس (٣) .

(1) Bernard Mauser op. cit. p. 82

(2) Emory Brown Social Psychology p. 164-165

(3) Emory Bogardus Sociology p 17

جابربيل تاد Gabriel Tard

(١٨٣٤ — ١٩٠٤)

قامت فى فرنسا مدرسة معارضة لمدرسة دور كايم يتزعمها العالم النفساوى جابربيل تارد (١٨٣٤ — ١٩٠٤) . ولد تارد فى سارالات بجنوب فرنسا ، واشتغل بالقانون ، ثم أنتقل مديراً لإدارة الإحصائيات الجنائية . وكانت مؤلفاته الرئيسية فى علم الاجتماع « الجريمة (١٨٦٦) » ، وقوانين المحاكاة Laws of Imitation (١٨٩٠) » وفاسفة الجزاء « (١٨٩٠) ، والمنطق الاجتماعى Social Logic (١٨٩٤) ، والتعارض الكونى unti versal Oppsition ، والقوانين الاجتماعية Laws Sauid (١٨٩٨) .

نقد تارد علم الحياه ، ونقد الدارونية ، وهاجم ما ذهب إليه أوجست كونت ودور كايم بصدد استقلال علم الاجتماع واستقلال ظواهره وذهب إلى القول بأن علم الاجتماع لا يصح أن يكون له وجود مستقل . وعلى أفتراض تحقيق مثل هذا الوجود فانه يجب أن يكون فرعا من علم النفس . وأنكر طبيعة الظاهرة الاجتماعية ، ونادى بأن هذه الظاهرة إن هى إلا ظاهرة فردية من صنع الأفراد لأن المجتمع الذى تنسب إليه هذه الظواهر هو فى حقيقة الأمر مؤلف من أفراد . ومن ثمة فلا داعى لقيام علم جديد لدراسة ظواهره [1] .

---

(١) د . مصطفى الخشاب . علم الاجتماع ودراسة — الكتاب الثالث — المدارس الاجتماعية المعاصرة ص ١٦

وتتركز النظرية السسيولوجية عند تادر حول عملية المحاكاه ، وفى رأيه أنها تخضع لنوعين من العوامل :

أولا : عوامل منظقية تتلخص فى محاكاة الأفعال النافعة ومظاهر السلوك المستحدثة وذلك بعد التبصر .

ثانيا : عوامل غير منطقية وتتمثل في أندفاع الفرد تلقائيا وبصفة غير شعورية إلى المحاكاة والتقليد ، ولا سيما إذا كان يحاكي من هو أرقى منه فى المنزلة الاجتماعية .

وتتمخض نظرية المحاكاة عند تارد عن ثلاث عمليات هي : التكرار Repetition ، والتعارض Opposition، والتوافق Adeptotion . فكل ضروب التشابه ترجع إلى التكرار . ويتبدى التكرار فى نماذج مختلفة . ففى العالم الطبيعى يتمثل في الموجات ، وفى علم الحياة يتجلى فى التوالد ويأخذ التكرار صورة المحاكاة على المستوى النفسى والاجتماعى . ومعنى ذلك أن كل الظواهر الاجتماعية إنما ترجع إلى العلاقة بين شخصين ، يمارس أحدهما تأثيراً عقليا على الآخر ، بل أن المجتمع يأخذ فى الظهور حينما يتجه الفرد نحو جعل سلوكه على نمط سلوك الآخرين .

وقد يصادف الفرد عند المحاكاة نوعا من المعارضة وعدم التأييد لكل ما هو جديد ، والذى يعبر عنه بألتقاء موجات متباينه من المحاكاة . ويتجلى التعارض فى حالات الحرب ، وعند المنافسه ، والمجادلات اللفظية .

ويعقب التعارض حدوث التوافق ، أى إكتشاف توازن جديد ، ومظهره الأساسى قانون التجمع .

جون ستيوارت مل john stuart Mill

عرف جون ستيوارت مل السعادة بأنها كل ما يجلب الشعور باللذة ويبعد الألم . وأضاف أن مصدر اللذات يختلف الشعور بها من فرد لآخر . فقد يكون ما يثير اللذة عند البعض لا يعنى شيئاً بالنسبة للآخرين .

وعرض مل لنوعين من الحكومات ، الحكومة التسلطية وغير التسلطية وتشير التسلطية إلى الحكومة التى تضع قيودا على حرية الأفـــراد . أما الحكومة الديموقراطية فهى التى تذيع وتنشر نصائحها وتعليماتها على المواطنين ، وتحثهم على إتباعها ، بدلا من إصدار الأوامر وجبرهم عليها باستخدام القوة والجزاءات .

وإكتشف مل مبدأ « دعه يعمل «Laissey faire» ، أو عدم تدخل الدولة فى شئون حياة الأفراد السياسية والاقتصادية والتعليمية ، وكذلك العلاقات بين الافراد والحكومة . وفى ظل ذلك ، يتساوى الناس فيما يتعلق بالحريات . ويضيف أنه حين يعتاد الناس الاعتماد على أنفسهم ، فانهم يرفضون الاستبداد . وفى رأيه أن خير الأنظمة هى التى تجلب أكبر قدر من الفائدة والرفاهية المادية والحرية لأكبر عدد من الناس [1] .

وليام جراهام سمنر William Graham Sumner

(١٨٤٠ — ١٩١٠)

ولد وليام جراهام سمنر فى باترسون Paterson بولاية نيوجرسى فى ٣٠ أكتوبر عام ١٨٤٠ . وكان أبوه توماس سمنر عاملا هاجر من إنجلترا

---

(1) See Neilj Smelser, **The sociology of Economic Life**, p. 7.

إلى تلك البلدة ، وتزوج من إنجليزية هى سارا جراهام Sarah Graham توفيت حين بلغ وليام من العمر ثمانى سنوات . وتعلم وليام فى المدارس العامة مدرسة هارتفور Hartford وكونيكتيكات connecticut تعلماً متقطعا تخللها سنتين من العمل فى صناعة السلع الجافة. وأنتقل وليام بعد ذلك إلى يال Yale . ثم التحق بجامعة جنوه ودرس اللغة الفرنسية والعبرية ، ثم درس اللغات القديمة والتاريخ والانجيل فى جامعة جوتنجن Gottingen . وفى عام ١٨٦٦ عاد إلى أكسفورد .

وألف سمنر فى علم الإجتماع والاقتصاد والشئون العامة ، كما كان مؤرخاً، إلا أن مؤلفاته فى علم الإجتماع هى التى ذاعت شهرته ، خاصه كتابه « التراث الشعبى f. lkways » .

وفى رأى سمنر ، فان كل علم بدأ بتحرير نفسه من الميتافيزيقا والإفتراضات القبلية ، ولا يشذ علم الاجتماع عن هذه القاعدة . وعلم الاجتماع — كما يقول — هو «علم الحياة فى المجتمع «The Science of Life in Society وبادئ ذى بدء — ركز سمنر على البناء والوظيفة . ثم قرر أن قوانين المجتمع تسود الطبيعة ، وفى ضوء هذا أعتبر المجتمع ظاهرة إجتماعية . ومن ناحية ثالثة ، فعلم الاجتماع – بالنسبة له – يعمل على إقامة حياة إجتماعية طيبة ويختلف علم الاجتماع عن الدين – كما يرى – حيث أن نظريات الدين هى مسلمات نهائية .

وأشار سمنر إلى صعوبة علم الاجتماع ، حيث أن الظاهره الاجتماعية دائما معقدة ويصعب تفسيرها (١) .

1) Robert Bierstedt, op. cit, P. 2 & p. 8.

وتناول سمنر موضوع السلالية ، وهي مصطلح يشير إلى ملاحظة الأشياء في ضوء ما تراه الجماعة التي ينتمي إليها الفرد ، بحيث تكون الجماعة مركزا لكل شيء ، أما الجماعات الأخرى فهي في مرتبة أقل . وبمعنى آخر إنها الأعتقاد في أن جماعة الفرد أعلى منزلة ورفعه وسموا من الجماعات الأخرى ، فهي تنظر الى الجماعات الاخرى بازدراء .

وفى كتابه « التراث الشعبى والأخلاق «Folkways and mores» أشار إلى الأهمية السسيولوجية لدراسة العادات والأعراف والأخلاق وأنماط السلوك ، فهى تمكننا من معرفة أصل وطبيعة هذه المعايير . وعرف الأخلاق mores بأنها أساليب السلوك التي تقع فى المجتمع من أجل إشباع الحاجات والرغبات الإنسانية . وهي تشمل العقيدة ، والتصورات ، والقوانين ، ومستوى المعيشة ، المهارات. أما الحاجات فهي تتضمن الجوع والحب والدافع الجنسى والغرور والخوف . ويعتبرها سمنر مظاهر سيكلوجية .

وتوجه الغرائز والعوامل الوراثية هذه النظرية ، حيث تنتقل الجينات الوراثية من الآباء إلى الأبناء . أما القدرات النفسية فهى تميز الألم عن اللذة ويستطيع الإنسان أن يقيم تدريجيا نماذج معينة من السلوك الجمعي عن طريق المحاولة والخطأ ، ويكتشف عن طريق التجربة المخرجات التي تنتج عن الصراع من أجل الحياة . وبمرور الوقت تكتسب هذه العادات الاجتماعية والتراث الشعبي قوة عظيمه من خلال قوة التقاليد والعادات والجزاء الدينى .

وتناول سمنر التغير الاجتماعى ، وفى رأيه أن هناك درجة معينة تستطيع فيها رجال الادارة تغيير الاخلاقيات ، ذلك أن الاخلاقيات إجتماعية ،ولا تختص بها الدولة . وإذا ما رغبت السلطة فى تغييرها ، فانها يجب أن تتفهم القوى التى تحركها . وكثيراً ما تقع الازمات فى المجتمع حين تقاوم القوى القديمة

ما هو جديد . وهكذا فالمعرفة الاجتماعية ، وليست التشريعات القانونية ، هى التي تغير الأخلاقيات

وأعتبر سمنر الإنجاب صورة من صور التغير ، ذلك أن الأطفال لا يسلكون فى غالبية الأحيان نفس السلوك الذى يسلكه آباؤهم . كذلك فان أنماط السلوك التي تجرى فى القرية أو القبيلة أو مجتمع محلى صغير تختلف عن أنماط السلوك التي تقع فى مدينة كبيرة (١) .

وساهم سمنر فى النظرية السياسية ، إذ ميز بين الحكومة الديموقراطية والجمهورية ، ودافع عن مبدأ « دعه يعمل Laisser fair » ، وأدان الاستعمار . وتصور سمنر الدولة تصورا عمليا وواقعيا ، وأنتقد النظريات الانتقالية للدولة التي نادى بها هيجل إذ أعتبر الاخيرة الدولة « عقلانية كاملة Perfect Rationality » أو شخص أخلاقى «ethical person (٢) .

جورج هربرت ميد George Herbrt Mead

ولد جورج هربرت ميد عام ١٨٦٣ فى جنوب هادلى Hadley فى ماساشوسيت ، وكان أبوه وزيراً للشئون الدينية . وبعد سبع سنوات من مولده أنتقلت الاسرة إلى أو برلين Oberlin فى أهيو Ohio ، وعين أبوه أستاذاً للوعظ فى معهد اللاهوت . ومات أبوه عام ١٨٨١ ، وتولت أمه تربيته ، إذ عملت مديرة لمعهد سانت هوليوك olyoke : لمدة عشر سنوات . وكانت أمه تتجنب المناقشات الفلسفية معه ، ومع ذلك فقد أتخذ إتجاها عقلانيا يتسم بالحرية (٣) .

1) Ibid., p. 26.
2) Harry Elmer Barnes, op. cit, p. 161.
(3) James A. Schellenberg, Masters of Social Psychulogy freud, Mead, Lewin and Skinner. p 38

والتحق ميد بعد ذلك بجامعة برلين حيث تلقى دروساً فى علم النفس الفسيولوجى ، ثم عاد إلى الولايات المتحدة الأمريكية وقام بالتدريس فى قسم الفلسفة بجامعة ميتشجان . ونشر كتابه « العقل والذات والمجتمع Mind self and Society (١٩٣٤) . واهتم بعلم النفس الاجتماعى ، تعد أفكاره أساس علم النفس الوظيفى . كما اهتم بالفلسفة وتناول طبيعة الزمن فى كتابه « فلسفة الحاضر Philosophy of the Present » . وفى التاريخ ألف كتاباً بعنوان حركات الفكر فى القرن التاسع عشر Movement in theught in the nineteenth century.

ويهتم علم النفس الاجتماعى – فى رأى ميد – بدراسة نشاط أو سلوك الفرد كما يقع فى العملية الاجتماعية ، ذلك أنه لا يمكن أن نتفهم سلوك الفرد إلا من خلال سلوك الكل الجمعى ، ولا توجد الذات Self منفصلة عن المجتمع فهى تصدر عن عملية التفاعل الرمزى وفى ضوء هذا فان المجتمع بناء ينبثق من خلال العمليات المستمرة للأفعال الاجتماعية .

ويتصف السلوك الفعلى بأربعة مظاهر هى: الدوافع Impulse الاحساس الشعور Perceptual ، والممارسة Manipulation وإتمام الفعل Consummation وتتجلى الدوافع فى العاطفة . ويقوم الإحساس والشعور بالتوجيه وتتبدى الممارسة فى التنفيذ . أما إتمام الفعل فهو التجربة النهائية .

ويؤخذ على ميد أنه كان فيلسوفاً أكثر منه عالما ، فهو لم يستخدم فى دراسته الملاحظة ، ولم يقم ظواهر يمكن أن تقاس إمبيريقيا ، وتشكل افتراضات قابلة للاختبار .

ماكس فيبر Max Weber (١٨٦٤ - ١٩٢٠)

ولد ماكس فيبر فى إيرفيرت Erfurt بولاية تورنجيا Thuringia بألمانيا عام ١٨٦٤ . ثم انتقلت أسرته إلى برلين وهو فى الخامسة من عمره . وكانت أسرته من الطبقة فوق المتوسطة ، تعتنق البروتستانتية ، وتنتمي إلى الثقافة البورجوازية وكان والده يعمل فى ميدان السياسة فى عهد بسمارك ، إذا كان عضواً فى البرلمان الألمانى (الريشستاخ) . وأتاح ذلك لماكس فيبر أن يلتقى فى منزل العائلة ببعض الشخصيات البارزة فى ذلك الوقت من أمثال ديلتى Dilthey ، وممومسن Mommsen مما أثار فى فيبر الوعى المستمر بأهمية العمل السياسى .

وفى جامعة برلين تخصص فيبر فى الفقه ، وكان من المتوقع أن يكون أستاذاً للقانون ، ولكنه عمل أستـــاذاً للاقتصاد فى جامعة فرايبورج عام ١٨٩٣ . وترك فيبر مؤلفات علمية تتناول الموضوعات الآتية : علـــم الاجتماع ، والسياسة الاجتماعية ، ومقالات فى علم الاجتماع الدينى ، والتاريخ الاجتماعي ، والتاريخ الاقتصادى ، والأخــلاق البروتستانتية ، وروح الرأسمالية .

حاول فيبر Weber أن يتوسط آراء كل من ريكارت ودلتي،فهو يوافق دلتيعلى أن المعانى والقيم هى موضوع علم الاجتماع. وينظر كما هو الأمر عند ريكارت إلى العلم باعتباره علماً ، سواء كان يعالج ظواهر عقلية أو اجتماعية أو فيزيقية . وهو على العكس من دلتي لا يعتقد أن عزل المعانى المتضمنة فى الأحداث الاجتماعية ، يضع علم الاجتماع في فئة مختلفة عن تلك العلوم التى تحاول إقامة العلاقات والقوانين السببية . كما أنه لا يجعل من العلوم والتاريخ

معسكرين منفصلين ـ على عكس ما يرى ريكارت ـ إلا أنه يفضل أن يتقبل الفكرة التقليدية من أن علم الاجتماع هو نظام علمي يهتم بدراسة مادة مشتقة من التاريخ[١] .

وحاول فيبر أن يتغلب على التعارض القائم بين « العلوم الطبيعية » والعلوم الروحانية «Spiritual» ، وأن يستفيد من الإمكانيات التى تقدمها هذان العلمان ويتضح ذلك من أنه يرى أن أعلى المستويات لفهم الظواهر الاجتماعية هى الفهم الذى يبحث عن الأسباب ، ويتحرى فهم المعانى . ذلك أن الوقائع الاجتماعية تختلف عن ظواهر علوم الطبيعة من حيث القصد والمعنى المتضمن فى الأولى ، والذى يرجع إلى طبيعتها الإنسانية . ويتأتى ذلك عن طريق إنشاء علم منظم تعميمى للثقافة ، وهو علم أمبيريقى يدرس الوقائع الملموسة .

ولخص فيبر موقفه من المنهج فى مقالين هما « السيـاسة كحرفة » و« العلم كحرفة » فالعلم يهدف إلى صياغة قوانين تتعلق بالارتباطات السببية بين الوقائع . ويستند ذلك إلى أساس إحصـائى . أما الظواهر التى يصعب وصفها وتفسيرها إحصائيا ، فتخضع لطريقة أخرى فى مقارنة أكبر عدد من العمليات المتماثلة سواء التاريخية أو المعاصرة . وعلى هذا النحو يصبح البحث العلمى ضربا من السلوك العقلى الذى يصبو نحو غايات محددة بوضوح . وتتمثل هذه الغايات فى اكتشاف الحقيقة المطلقة . وهكذا يصبح السلوك العلمى هو سلوك عقلى . والعقلانية هي القواعد المنطقية للبحث التي لا بد من الاهتمام بها كى نستطيع أن نثق في صحة النتائج[٢] .

---

(١) د. محمد على . المرجع السابق ص ٢١٥ – ٢١٦

(٢) نفس المرجع ص ٢٤٤

ويرى ماكس فيبر أن علم الاجتماع يدرس الفعل والسلوك الاجتماعى ، مستهدفا بذلك تفسير هذا السلوك ، وإقامة القوانين السسيولوجية . ولا تتعلق الدراسة في علم الاجتماع بالمظاهر الحسية للسلوك فحسب ، وإنما تهتم بادراك المعانى التي تنطوى عليها هذه الأفعال ، والعلاقات المتبادلة بين الناس .

وصنف فيبر أنماط الفعل الاجتماعى على النحو التالى :

١ ـ السلوك أو الفعل العقلى الغائى الذى توجهه غايات محـددة ووسائل واضحة .

٢ ـ السلوك أو الفعل العقلى الذى توجهه قيمة مطلقة ، وفى هذا النموذج يكون الفرد واعيا بالقيم المطلقة التي تحكم الفعل ، وهى قيم يمكن أن تكون أخلاقية وجمالية أو دينية .

٣ ـ السلوك أو الفعل العاطفى Affective وهو فعل صـادر عن حالات شعورية خاصة يعيشها الفاعل ، وهنا يختار المرء الوسائل لا على أساس صلتها بالغايات أو القيم ، وإنما باعتبارها تنبع من العاطفة .

٤ـ السلوك أو الفعل التقليدى وهو نموذج للأفعال غيرالعقلانية ، وتوجه العادات والتقاليد والمعتقدات السائدة هذا السلوك . ويرى فيبر أن هذا النموذج من الفعل فى طريقه إلى الانقراض بفضـل الازدياد المستمر للعقلانية .

ويعنى فيبر بالسلوك العقلانى التروى الواعى والقدرة على الوصول إلى النهايات فى ضوء أحسن الوسائل ، ويتمثل ذلك في الفعل الاقتصادى وأنساق السوق غير الشخصية ، وهى تعكس النظم البيروقراطية .

والبيروقراطية المعاصرة هى شكل تنظيمى وسلوك وظيفى يستند إلى علاقات غير شخصية ، ويتسم بالعقلانية . وهو يقوم على تقسيم العمل وتدرج السلطة .

واتفق فيبر مع ماركس فيما يتعلق بالمظاهر الاقتصادية للتدرج . واعتبر الملكية الحقيقة الكامنة وراء التدرج الاجتماعى إلا أنه اختلف مع ماركس فى إضافة بعدين آخرين هما المكانة والسلطة . أما الحراك الاجتماعى فهو يتخذ ثلاث صور الحراك المهنى ، وحراك المكانة ، والحراك السياسى .

وميز فيبر بين الرأسمالية الصناعية البورجوازية العقلانية التي لا تزدهر إلا بوجود السلطة السياسية التي تسمح بالتداول ، وتعمل على توسيع السوق وتخلق نظام الائتمان، والرأسماليات الأخرى مثل رأسمالية التمويل ، والرأسمالية الاستعمارية . ودرس الظروف التاريخية التي أدت إلى ظهور الرأسمالية في أوربا وأرجعها إلى البروتستانتية خاصة الكالفنية Calvinism ، فقد أكدت الأخلاق البروتستانتية على فردية الإنسان ، وحريته ، ومسئوليته أمام الله أعلى من أمام أقرانه ، وتلك سمات تتوافق مع خصائص الرأسمالية . أما فى بلاد مثل الصين فان الرأسمالية لم تنمـــو لأن التوجيه الروحى لم يكن مناسبا لظهور خصائص الرأسمالية الحديثة .

وكان ماكس فيبر أحد المفكرين الذين أسهموا فى علم الاجتماع السياسى فقد حلل السلطة ، واعتبرها تقوم على القوة ، ووصفها إلى ثلاثة أنماط السلطة التقليدية « Traditional » ، و« السلطة العقلانية Rational و« السلطة الملهمة Charismatic ». وتقوم الأولى على قدسية التقاليد ، وشرعية قيـــام فرد أو أفراد بممارسة السلطة ، ويتمثل ذلك فى رئيس القبيلة الذى يرث السلطة .

وتستند السلطة العقلانية القانونية على الانتخابات . وتقوم السلطة الملهمة على الإيمان بالمقدسات أو بقوى باسلة ومثالية لشخص أو نظام . ويتمثل ذلك فى ظهور المسيح أو الإنسان الكامل المنقذ للدولة من الانهيار .

ويؤخذ على ماكس فيبر انه بالرغم من اهتمامه بالمعانى الذاتية وأنماط الدوافع، إلا أن أعماله ضمت تحليلا بنائيا وظيفياً يتجلى فى تناوله للتدرج الاجتماعى ، والبيروقراطية والأخلاق البروتستانتية. وعرف فيبر البناء الاجتماعى فى تعبيرات احتمالية لا تستند إلى حقائق إمبيريقية تستقل عن الذات .

هذا وقد أرجع فيبر نمو الرأسمالية الصناعية إلى الأخلاق البروتستانتية ، مع أن كلا من الكاثوليكية والبروتستانتية تتضمن اتجاهاً عقلانياً ، وتؤكد على تجنب الكسل ، والابتعاد عن الملذات ، وتحث الإنسان على السعى وراء العمل . هذا ويمكن القول أن الأخلاق البروتستانتية كانت أحد المنبهات التى أدت الى ظهور الرأسمالية ، لكنها لم تكن العامل الوحيد . وبالرغم من أن فيبر بين مدى تأثير البروتستانتية على التنمية الرأسمالية إلا أنه لم ينكر مدى تأثر البروتستانتية بنمو الرأسمالية .

تشارلس هورتون كولى Charles Horton Cooley

(١٨٦٤ — ١٩٢٩)

عالم أمريكى ولد عام ١٨٦٤ . وهو رابع ست أشقاء . وكان أبوه توماس ماكنتير كولى Thomas Mcintyre رئيساً لهيئة المحامين ، وكتب فى القانون ، وعمل عميداً لكلية الحقوق فى جامعة ماتشجان ، وقاضيا للقضاء العالى فى ماتشجان ، كما عمل رئيسا للوكالة التجارية فى واشنطون . وقد اتسمت طفولة كولى بعدم الاستقرار النفسى ، واعترته الأمراض ، وحصل

بعد سبع سنوات من الدراسة على درجة البكالوريا من متشجان . ثم تخرج من الجامعة . ولمدة سنة إضافية درس الهندسة الميكانيكية . ثم عمل رساما فى مدينة مدينة باى Bay city بولاية متشجان .

بدأ كولى بالاهتمام بكتابات وأعمـــال هربرت سبنسر . كما تلمذ على نظريات تارد وأتباعه ، واتخذ الظواهر السيكلوجية أساسا لتفسير طبيعة المجتمع وطبيعة العلاقات والنظم الاجتماعية . ونشر كتابه « الطبيعة الإنسانية والنظام الاجتماعى » Human Nature and the Social Order » عام ١٩٠٢ ، وبعد عام ظهر كتابه « التنظيم الاجتماعى Social Organization . ثم نشر مؤلفه الثالث « العملية الاجتماعية » Soial Process عام ١٩١٢ ، وفى عام ١٩٢٧ جمع هذه الكتب الثلاث وأضاف عليها بعض المقالات ، وخرجت فى كتاب بعنوان « الحياة والطالب Life and Student . وفى عام ١٩٣٠ وضع مجلداً بعنوان « النظرية السسيولوجية والبحث الاجتماعى :

«Sociological Theory and Social Research (١)

والمجتمع – من وجهة نظر كولى – مركب عضوى نفسى ، يطبع أفراده بطابع نفسى ، فالفرد لا يولد مزود بالطبيعة الإنسانية ، ولكنه يروض ويهذب ويحصل عليها من المجتمع . ونمو العقل عملية اجتماعية ، ولا يمكن أن تستقل مخرجات العقل عنها (٢) .

واعتبر كولى الذات اجتماعية ، فهى مرآة تتكون من ثلاث عناصر رئيسية:

---

1) Lewis A. Coser, op. cit, 307 & 317.

2) See Roger A. Webb, **Social Deve lopment in child hood : Day Care Programs and Research**, p. 142.

فهى تصور مظهرنا للآخرين، وتصور أحكام الفرد على هذا المظهر ، وتضم الشعور بالذات مثل الكبرياء وأمانة النفس . وهى تنمو من خلال علاقته مع الآخرين ، وتنبثق نتيجة اتصالاته الجــدلية . ووعى الفرد لذاته ليس إلا نعكاسا لأفكاره التي تنتسب إلى عقول أخرى ، وهكذا فليس هناك ذوات منعزلة .

وقسم كولى الجماعات إلى جماعات أولية وجماعات ثانوية . والجماعات الأولية Primary groups يربط بين أفرادها روابط نفسية تقوم على المودة والتعاطف، وتفاعل الوجه للوجه . وهى تتسم بالحجم الصغيرة.([3]) ويعتبر كولى أن الأسرة هي المجتمع الأولى ، فهى مصدر وحدة الفكر والعمل ،وفيها يضحى الفرد بنفسه فى سبيل مصلحة بقية أعضائها ، وهى تتقاسم المسئولية ،ويتعاون أفرادها فى أداء الأعمال المنزلية ، ويلى الأسرة جماعة الأطفال ، ثم جماعة الجيران ، وأخيراً مجتمع القرية ، وفى المدن الحديثة تشمل العلاقات الأولية التجارب الاجتماعية الأولى للفرد ، وهي التى تشكل وعيه الإجتماعى .

أما الجماعة الثانوية ، فهى تتمثل فى المجتمع المعقد فى ثقافته ، الشاسع فى مساحته ، والكبير فى عدد سكانه مما يجعل التـأثير وجها لوجه مستحيلا . وتتسم العلاقات فيه بأنها سطحية وعرضية ومصلحية . ويتجلى ذلك فى النوادى، والهيئات المهنية ، والدينية ، والأحزاب السياسية .

وتناول كولى اللاتنظيم الإجتماعى ، ويتجلى فى الأسرة والكنيسة ، والنسق الاقتصادى ، والتعليم . والثقافة ، والفنون الجميلة ، ففى الأسرة يتجلى

---

3) Marvin E olsen & Michael Micklin, **Handbook of Applied Sociology**, p. 141.

اللاتنظيم في زيادة حجم الأسرة بما لا يتناسب مع الموارد الاقتصادية . وزيادة استقلال النساء مما يعمل على إهمال الأسرة . كذلك ارتفاع معدل الطلاق . ويقر كولى الاختلافات بين الذكور والاناث . فهى عامة فى جميع الأزمنة . حيث أن الرجال أكثر عقلانية . أما النساء فتتحكم فيهن العاطفة .

ويتبدى اللاتنظيم فى الكنيسة فى إهمال التمسك بالتقاليد والبناء الكنسى وافتقاد الثقة فى العقيدة الدينية(١) .

وليام ماكدوجال William Mac Daugall

١٩٣٨ — ١٨٧١

لمس كثيرا من الموضوعات الاجتماعية فى دراساته السيكلوجية وحللها فى ضوء حقائق علم النفس . ففى كتابه « مقدمة علم النفس الاجتماعى » عرض نظريته في الغرائز . واعتبرها المقومات الطبيعية للنفس الانسانية ، وهى كذلك الدعائم التي ترتكز عليها الظاهرات الاجتماعية فى طبيعتها ونشأتها ومبلغ تأديتها لوظائفها . فمثــلا أرجع ظاهرة التدين إلى ظاهرة الخوف والخضوع والاستسلام ، وأرجع الظاهرات الاقتصادية إلى غرائز حب التملك والاقتناء، وأرجع كثافة السكان ونمو المدن إلى غرائز التجمع والمقاتلة، وأرجع انتشار ظواهر العمران إلى التقليد والمحاكاة والإيحاء وما إليها .

وفى كتابه « العقل الجمعى » يقرر أن المجتمع مزود بحياة عقلية تعلو فوق

---

4) Robert Bierstedt, op. cit, p. 120.

مجموع الوحدات العقلية لعناصره ، أى أنها قوة مضافة إلى مجموع عقول الأفراد(١) .

كيمبول يانج Kimball Young

عرف كيمبول يانج الشخصية فى كتابه «علم النفس الاجتماعى» (١٩٤٤) بأنها جسد مترابط من العادات والمواقف والسمات ، وتنظيم أفكار الفرد تنظيما خارجيا فى شكل أدوار نوعية وعامة ، ومكانات ، لتكوين الوعى الذاتى . وهى تدور حول الأفكار والقيم والأهـــداف التى تتعلق بالدوافع والأدوار والمكانة . وأضاف يانج أن للشخصية مظهرين ، مظهر خارجى يتمثل فى الدور والمكانة والسلوك ، وأساليب النظر إلى سلوك الآخرين . أما الذات فهى المظهر الداخلى للشخصية(٢).

جاكوب مورينو Moreno

مورينو هو صاحب الاتجاهات القياسية Sociometry التى ضمنها كتابه «Who Shall Survive» . وتتلخص فلسفته فى أن الأفراد خاضعون لضغوط إجتماعية عنيفة بحيث أصبحوا أسرى لها وعبيداً لتوجيهاتها . ولا شك أن هذه الضغوط تقتل فيهم التحرر والقدرة على الابتكار والتجديد ، ومن ثم تجمد الحياة الاجتماعية وتصاب بالشلل . فالواجب أن نطلق الأفراد ونحررهم من القيود الاجتماعية ونتركهم يتصرفون ويتفاعلون على سليقتهم وبصفة تلقائية ،

---

(١) د. مصطفى الخشاب . علم الاجتماع ومدارسه ـ الكتاب الثالث ـ المدارس الاجتماعية المعاصرة ص ٢٠٠ .

2) Alfed Mcclung Lee, (Ed.), **Principles of Sociology,** p. 295.

وهذا ما دعاه إلى أن يسمى كتابه « من الذى سيكتب له البقاء » . وإجابته على السؤال واضحة، وهو ذلك الفرد المتحرر فى تصرفاته من ضغوط المجتمع، وهذا التحرر يكسبه القدرة على التجديد والابتكار ، هـذا إلى أن الكبت الاجتماعي يؤدى إلى إصابة الأفراد بالأمراض العنينة ، ولذلك كان مورينو ومدرسته يعالجون مرضاهم على غرار فرويد « بالتحليل النفسى » وفق طائفة من الطرق والاختبارات العلمية والعملية التي تؤدى إلى كشف خبايا العلاقات الاجتماعية لاسيما غير السوية منها(١) .

جون ديوى john Dewey

ولد جون ديوى عام ١٨٥٩ ، وكان فيلسوفا عميقا ، تخصص فى التربية وكتب فى علم الاجتماع . شارك جورج ميد فى الربط بين التفكير والفعل ، مما ساعد على إقامة التفاعل الرمزى فى علم النفس الاجتماعى .

ويرى جون ديوى أن الدوافع لا تعمل على إقامة النظم ، وإنما النظم الاجتماعية هي التي تصنع الدوافع . وهو القائل بأن الطفل كل عضوى، وعقلى واجتماعى ، وأخلاقى ، وفيزيقى . وعليه ينبغى أن تمكن الطفل من خلال عملية التربية من أن يواجه الحياة فى المجتمع الكبير ، وذلك عن طريق المدرسة التى تنمى عقلية الطفل مما يجعله يتعرف على جميع علاقاته الاجتماعية ، ويتمكن من تأدية دوره فى المجتمع ، هذا وكان لجون ديوى الفضل فى استخدام كلمة شخصية بدلا من مصطلح « الدوافع » .

---

(١) د. مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه ـ الكتاب الثالث ـ المدارس الاجتماعية المعاصرة ص ٢٠١ ـ ٢٠٢

والطبيعة الإنسانية – في رأى ديوى – تخضع للتغير ، إلا أن الاحتياجات الفطرية ثابتة لا تتغير منذ أن أصبح الإنسان إنسانا . وذلك مثل حاجة الإنسان للطعام والشراب ، وحاجته للانتقال من مكان إلى آخر هي جزء من حياته لا تتوقف كذلك احتياجاته غير الفيزيقية مثل حاجته الى تكوين زمرة الاصدقاء ، وحاجته إلى إظهار نشاطاته وحاجته إلى التعاون والتنافس والصراع ، وحاجته إلى التعبير الفنى ، وحاجته إلى الإخضاع والتبعية[1] .

نقـــد المدرسة النفسية

أثار تارد ومدرسته أن الظواهر الاجتماعية ترجع في نهاية تحليلها إلى ظواهر نفسية فردية . وهى من صنع الأفراد ، وأن المجتمع ليس له وجود والموجود أفراده . والحق أنه قد تحدث في المجتمع أمور لا يصح أن ننسبها إلى أفراد معينين ، وذلك لأنها تنشأ من علاقات الأفراد في حالة الاجتماع وتبادل أفكارهم ، واحتكاك مشاعرهم ، وتوحد مواقفهم . هذا بالإضافة إلى ما يحيط بهم من ظروف طبيعية وبيئية وتاريخية تصهرهم جميعا في بوتقة جمعية وتؤدى إلى قيام عقل جديد للجماعة يوجهها ويرشدها إلى ما ينبغي عمله . وهذا العقل مستقل عن الأفراد وله منطق خاص ومظاهر سلوك تختلف عن مظاهر السلوك الفردى .

وفى هذا الصدد يلجأ دوركايم إلى أمثلة مادية ليزيد الموضوع وضوحا في أذهان المبتدئين في الدراسات الاجتماعية ، فيقول : نحن نعلم أن الماء مكون من جزء من الأوكسجين مع جزأين من الأيدروجين، وذلك تحت درجة حرارة خاصة وضغط معين وشروط معروفة . ولكننا نعلم أن خواص المركب

1) john Eric Nordskog, op. cit, p. 95.

الكيمائى النا تج من ذلك وهو الماء تختلف كل الاختلاف عن خواص كل من العنصرين اللذين كانا سبباً فى وجوده . فمثلا الإرواء والسيول والتدفق وهى خواص الماء لا توجد فى أى عنصر من العنصرين ، وإنما هى خواص نشأت ذاتيا من اتحادهما كيمائيا وتفاعلهما تحت الظروف المعروفة . وكذلك الحال بصدد الظواهر الاجتماعية . فهى ليست من صنع فرد، ولا صنع بضعة أفراد، ولكنها نتيجة لتفاعل الأفراد جميعا فى حالة الاجتماع فخواص هذه الظواهر لا يمكن أن تكون صفة أو خاصة فى فرد أو بضعة أفراد، ولكنها خواص المركب الجمعى وعناصر العقل الجمعى Conscience Collective .

ويضرب مثلاً ماديا آخر بالبرونز الذى يتألف من القصدير والرصاص والنحاس بنسبة خاصة ، وتحت ظروف كيمائية معينة . فخواص البرونز تختلف عن خواص المعادن التي دخلت فى تركيبه ، وهى خواص نشأت عن الاتحاد الكيميائى بينها جميعا ، بحيث فقد كل معدن خواصه الذاتية ، وانضم فى وحدة جديدة . فكذلك الحال بصدد الظواهر الاجتماعية عند ما تنشأ من اتحاد الافراد وتفاعلهم .

ومن ناحية أخرى ، فقد حمل تارد حملة بليغة على دوركايم بصدد قضيته الشهيرة التي مؤداها أن الظواهر الاجتماعية تنطوى على صفة الجبر والإلزام ، قائلا أن الإلزام يجعل الأفراد أرقاء فى المجتمع لا حول لهم ولا قوة . وبذلك يقضى المجتمع المزعوم على شخصيات الأفراد وقضية هذا شأنها تنتهى فى آخر تحليلها إلى تألية المجتمع .

والحق أن هذا النقد ينطوى على هجوم لا مبرر له ، وينطوى كذلك على مغالطة فى تفسير قضية دوركايم على حقيقتها . لأن الإلزام الجمعى الذى يقول

به دوركايم مظهر من مظاهر الضبط الاجتماعى ورقابة المجتمع على أفراده للحرص على قواعـد البنيان الاجتماعى والبعد عن الهزات والانحرافات التى تعصف بدعائمه . فهو إلزام مفيد إجتماعيا لأنه يستهدف مصالح الأفراد . فالنظم والقوانين لم توضع إلا لتحقيق التوازن فى الحياة الاجتماعية . ويجب أن تعلو هذه النظم فوق إرادة الأفراد لأنها وضعت لتحقيق الصالح العام . هـــذا وخضوع الفرد للنظم الاجتماعية ليس خضوعا مطلقا يقضى على حريته وشخصيته،ولكنه خضوع محببللفرد الاجتماعى.فليس هناكأعداءبين الفرد والمجتمع ، ولكن هناك اتحاداً وتجاوبا . وهذا هو السبب فى استقرار النظم فى نفسية الأفراد عن رضاء واطمئنان . هذا ويستطيع الفرد أن يجدد ويغير فى القوالب الاجتماعية : فالأفراد ليسوا آلات صماء بصدد ما يفرضه المجتمع ، ولكنهم عناصر إيجابية يستطيعون إلى حد ما أن يشكلوا الظاهرات . بيد أن هذا التدخل لا يكون إلا في الحدود التي يسمح بها المجتمع(١) .

خـــلاصة

ويتضح من هذا الفصل أن الاتجاه النفسى يقوم على تفسير المجتمـــع فى ضوء علم النفس الاجتماعى . ويرتبط هذا الاتجاه بالتركيز على الذات واتجاهات الفرد وعواطفه ، ودوره فى الفعل الاجتماعى . ومن أنصار هـذا الاتجاه سيجموند فرويد ومارجريت ميد وجابرييل تارد وجون ستيوارت مل ووليامسمنروجورجهربرت ميد وماكس فيبر وتشارلس كولى ووليام ماكدوجال كيمبول يانج وجاكوب مورينو وجون ديوى .

(١) د. مصطفى الخشاب . علم الاجتماع ومدارسه ـ الكتاب الثالث ـ المدارس الاجتماعية المعاصرة ص ١٩ – ٢١

الفصل الحادى عشر

الاتجاه الوظيفى

تقديم :

الوظيفية هى نزعة سسيولوجية ، وتعنى السسيولوجية تلك المحاولة أو الاتجاه أو الموقف الذى يتجه - فيما يقول بوجليه Bougie - نحو تفسير الظواهر وفهم الروح الإنسانى بطريقة سوسيولوجية أو من وجهة النظر الإجتماعية ، أو هى - كما يقول دور كايم - هى ذلك الكل المعقد Complex whole الذى يعالج الظواهر الإجتماعية بطريقة علمية ومنهجية . ويشير الاتجاه الوظيفى إلى ضرورة تكامل الأجزاء فى ذلك الكل المعقد ، أو التساند الضرورى بين الأجزاء.

والاتجاه الوظيفى أقدم فى البيولوجيا وعلم النفس والأنثروبولوجيا منه فى علم الاجتماع . فالبيولوجيا كعلم تدور حول فكرة مؤداها أن كل عضو من الكائن الحى يقوم بوظيفة أو عدة وظوائف ضرورية تحافظ على بقاء هذا الكائن . ولهذا ترى البيولوجيا ضرورة تساند الأجزاء بصفة أساسية . وفى علم الاجتماع ترتبط الوظيفة بنمط النشاط الذى يقوم به الجزء أو الكل حيث لا يكون غيره قادر على أن يقوم بمثله ، ولهذا يرتبط الإتجاه الوظيفى بالتنظيم الاجتماعى ، وما ينطوى عليه هذا التنظيم من عمليات تقوم بدور التكامل .

وقد نمت الوظيفة الحديثة على يد دور كايم ، ثم اتجهت اتجاها تحليلياً وظيفيا يختلف عن موقف دور كايم ، ويتجلى ذلك فى الوظيفية البارسونزية . فقد أشار دور كايم إلى الوظيفية فى كتابة قواعد المنهج فى علم الاجتماع» على أنها العلاقة بين نشاط الظاهرة والاحتياجات العامة للعضوية الاجتماعية. S. cial Organism أو مايطلق عليه الآن « النسق الاجتماعى » فكلما تعقد المجتمع وكبر حجمه يظهر مبـدأ تقسيم العمل ، وهو مبدأ ضرورى يمكن الإنسان من الحفاظ على نفسه . وبمعنى آخر فان تقسيم العمل يمكن من القيام بالوظائف المتكاملة ، وهذا ليس محققا فى المجتمعات التقليدية .

ويرتبط تقسيم العمل بظهور العقلانية التى يتحقق وجودها فى المجتمعات المعقدة والكبيرة الحجم (١) .

إميل دوركايم Emile Durkheim (١٨٥٨ — ١٩١٧)

ولد إميل دور كايم فى ١٣ إبريل عام ١٨٥٨ فى مدينة إيبينال بمقاطعة اللورين فى الجنوب الشرقى من فرنسا عن أسرة يهودية تتمسك بالتقاليد الدينية . ودرس بمدرسة المعلمين العليا بباريس ، وعمل فى سـلك التدريس بالمدارس الثانوية لمدة خمس سنوات ، ثم سافر إلى ألمانيا حيث درس الاقتصاد والفولكلور والانثروبولوجيا الثقـافية . ثم عين أستاذاً فى جامعة بوردو Bordeaux من عام ١٨٨٧ — ١٩٠٢ ، وكان معظم الدارسين من معلمى المدارس الإبتدائية . ثم عين أستاذاً لمـادة التربية بجامعة السوربون خليفة للسيد فرديناند بويسون Fardinand Buisson حتى عام ١٩٠٦(٢) .

---

(1) Peter P.Ekeh, Social Exchange Theory, p.p. 68 69

(2) See Emile Durkheim. Educetiou Siciologic, p.l

وقد رفض دور كايم أن يشارك في الحياة الاجتماعية الرأسمالية ، ومع ذلك فقد ساهم مساهمة فعالة فى شئون الجامعة والتعليم أثناء حكم الجمهورية الثالثة ، ولم ينتمى إلى أى حزب من الأحزاب السياسية ، وبالرغم من ذلك فقد أنضم هو وبعض علماء الاجتماع إلى « الحركة العقلية التضامنية » وهى نوع من فلسفة رعاية الحالة « Welfare State » ، تهتم بالتضامن بين جميع المواطنين فى الجمهورية ، وتقوم بالرعاية الاجتماعية .

ومن أهم دراساته « تقسيم العمل The D vision of Lobour in Socity » الذى نشر أول مرة عام ١٨٩٣ ، وفيه شن هجومه على التقاليد وفهمها لمشكلة التنظيم Order ، ثم كتابه عن الانتحار « Suicide » ، وكتاب قواعد المنهج فى علم الاجتماع Les Regles de La Methode Sociologique . وبالرغم من أن دور كايم يدين لمونتسكيو بفكرته عن التضامن الاجتماعى إلا أنه يختلف عنه فى عدم إشارته إلى التعاقد الاجتماعى . وكان دور كايم مدينا لكل من سان سيمون وكونت ، إذ أعتبر نفسه إمتدادا لهم ، وقال عن سان سيمون أنه كان لديه تصورا عن علم الاجتماع ، أما كونت فقد ابتكر هذا العلم - واعترض دور كايم على كونت فى إشارته إلى أن تقسيم العمل هو مصدر التضامن الاجتماعى ، إذ اهتم دور كايم بالمعتقدات الأخلاقية التى تعد أساس التضامن ، وتولد التباين والصراع . كذلك فان دور كايم لم يأخذ فى اعتباره كتابات كونت عن اللاهوتية والميتافيزيقية . كذلك

وبدأ دور كايم بأن بين أن كلا من علم البيولوجيا وعلم الاقتصاد وعلم

1) See Emile Durkheim, Education et Sociologie, p. 1

النفس يلقى الضوء على مظاهر معينة من النشاط الإنسانى . واعتقد كذلك أن العلوم الاجتماعية القديمة قد أغفلت تناول موضوعات التفكير والشعور ، والتى هى ليست مجرد نتاج الوعى الفردى تتطابق مع ما يشعر به الفرد من الناحية الذاتية . والواقع أن هذه الأفعال ليست من خلق الفرد ، بل يكتسبها من المجتمع الذى يعيش فيه ، إنها عملية انتقال ثقافى تتم من خلال التعليم الرسمى وغير الرسمى . فالمجتمع يمد الفرد بالأعراف والتقاليد ، التى يجب عليه أن يتبعها خوفا من العزل أو الحبس أو الموت . وتضبط هذه الرموز أفعالنا ، وهى خارجة عنا(١) . وهى موضوع دراسة علم الاجتماع .

وحدد دوركايم المبادىء الأساسية التى يستند عليها علم الاجتماع . فهو علم طبيعي ، وموضوعى ، وشامل للظواهر الاجتماعية ، وهو يتميز بالنوعية والاستقلال . وهو ينظر إلى الظواهر الاجتماعية باعتبارها ترتبط فيما بينها بعلاقات عامة وضرورية مشتقة من طبيعتها الخاصة ، أو بعبارة أخرى خاضعة لنفس مبدأ الحتمية الذى تنهض عليه كافة العلوم ، ومن ثم فبوسعنا أن نكشف عن القوانين المعبرة عن هذه الروابط الضرورية بين الظواهر .

واتجه دوركايم اتجاهاً وظيفيا فى دراسته للظواهر الاجتماعية، بالرغم من أن الوظيفية لعبت دوداً بارزاً فى أعمال كلا من سبنسر وكونت . واعتبر الوظيفية ضرورية لتفسير الظاهرة والحقيقة الاجتماعية ، وبحيث لا يكتفى باظهار السبب الذى تقوم عليه الظاهرة ، وانما تظهر كذلك وظيفتها فى إقامة النظام الاجتماعى ، علما بأن تفسير الظاهرة السسيولوجية يستلزم استخدام التحليل التاريخى والوظيفى معا .

---

1) Lewis A. Coser and Bernard Rosenberg, op. cit, pp. 8 - 9.

وكانت نزعة دوركايم كذلك نزعة سسيولوجية واقعية ، بمعنى أنه قد منح الجماعة واقعا اجتماعيا مطلقا بدلا من الفرد ، وذلك فى مقابل النزعة الفردية عند سبنسر . ويرجع ذلك إلى أن دوركايم يقرر أن الظواهر الاجتماعية لا يمكن إدراكها إلى ظواهر فردية . واستخدم أيضاً مناهج الملاحظة والبرهان المنطقى والمقارنة والتفسير وهى نفس المناهج التى تستخدمها العلوم الطبيعية .

وأشار دوركايم إلى الأسس التي ينبغي أن يلتزمها الباحث فى دراسة الظواهر الاجتماعية وأهمها :

١ — ينبغى دراسة الظواهر الاجتماعية بوصفها أشياء خارجية منفصلة عن شعوره الذاتى ، معبرا في ذلك عن الاتجاه الوضعى ، وذلك بدلا من الفكرة التي كانت سائدة فى علم الاجتماع ، حين كان العلم يعنى بالتصورات بدلا من التركيز على الأشياء ، فقد كرس كونت وسبنسر — مثلا — جهودهما فى كتاباتهما لمناقشة مجرى التقدم الإنسانى ، فى حين أن التقدم تصور عقلى ، وليس ظاهرة يمكن التحقق منها بالبحث التجريبى . فالأشياء إذن تختلف عن الأفكار التصورية .

٢ — يجب أن يتحرر الباحث من كل فكرة سابقة يحفظها عن الظاهرة حتى لا يقع أسيراً لأفكاره الخاصة .

٣ — يجب دراسة الظاهرة والنظم للكشف عن طبيعتها ونشأتها وتطورها والعلاقات المتبادلة بينها والوصول إلى القوانين المنظمة لها . وقد تصاغ هذه القوانين فى صور كمية تعبر عن سير الظاهرة بالأرقام والرسوم البيانية أو فى صور كيفية تحدد الخواص والصفات فى قضايا كلية . وهكذا فان الدراسة فى علم الاجتماع ينبغى أن تكون تاريخية مقارنة . ويقصد دوركايم المقارنة أنها تجربة

غير مباشرة ، فهي المنهج الوحيد الذى يلائم دراسة الظواهر الاجتماعية .

ولكن ما هي الظاهرة الاجتماعية ! وجد دوركايم أن ثمة ظواهر معينة في الحياة الاجتماعية يتعذر تفسيرها فى ضوء التحليل السيكلوجى أو الطبيعى فهناك أنماط من السلوك ، وضروب من التفكير والشعور ، تتميز بأنها خارجة عن الفرد ، لأنه ليس مصدرها ، وإنما هى نتاج العقل الجمعى ، وتنبثق حين يتفاعل الأفراد . فالحزب السياسى — مثلا — بالرغم من أنه يتكون من أفراد ، إلا أنه لا يفسر فى ضوء العناصر المكونة له ، وإنما يفسر فى ضـــوء بنائه ، والقوى الاجتماعية والتاريخية التي أدت إلى وجوده . وأمثلة هذه الظواهر عديده ، من أهمها : قواعدالأخلاق ، والأسرة ، والممارساتالدينية ، وقواعد السلوك المهنى . وفى ضوء هذه الاعتبارات فهى تمثل ناحية جديدة في الإنسان تخالف طبيعته النفسية والحيوية . فاذا كان الإنسان بمقتضى طبيعته النفسية يشعر ويتألم ويفكر ويتخيل . وبمقتضى طبيعته الحيوية يأكل ويشرب وينتقل فى المكان ، فكذلك تفرض عليه طبيعته الاجتماعية أن يعيش فى مجتمع ويتعامل مع بنى جنسه ، ويخضع لما يخضعون له من نظم وأوضاع يقررها المجتمع .

وعرف دوركايم(١) الظواهر الاجتماعية بأنها عبارة عن نماذج من العمل والتفكير والإحساس التي تسود مجتمعاً من المجتمعات ، ويجد الأفراد أنفسهم مجبرين على اتباعها فى عملهم وتفكيرهم ، بل وهى تفرض على إحساسهم .

---

(١) د. حسن شحاته سعفان . أسس علم الاجتماع ص ٤٢

وفى مجال آخر يعرف دوركايم(١) الظواهر الاجتماعية بأنها : هى كل ضرب من السلوك ، ثابتا كان أو غير ثابت يمكن أن يباشر نوعا من القهر الخارجى على الأفراد ، أو هى سلوك يعم المجتمع بأسره ، وكان ذا وجود خاص مستقل عن الصور التى يتشكل بها فى الحالات الفردية .

وفى ضوء هذين التعريفين فان الظاهرة الاجتماعية تتمتع بقوة قهر ، أى مزودة بصفة الجبر والإلزام . ولكننا نتساءل . . . إذا كانت الظاهرة تمارس ضغطا ، فلماذا لا نشعر به ؟ نقول إننا لا نشعر بالضغط الاجتماعى على نفوسنا ، تماما كما لا نشعر بالضغط الجوى الذى يقع على أجسامنا من الخارج .

ويذهب دوركايم الى أن هذه الوقائع الاجتماعية ليست منعزلة . وإنما هى متفاعلةومتكاملة ، ونصاغ فى بناء معينفتصبح حقيقة واقعة ، ويمكندراستها باستخدام المناهج الإمبيريقية .

وفى كتابه تقسيم العمل أشار إلى الظروف التى تسهم فى ظهور نماذج مختلفة من التضامن فى المجتمعات . ويقصد دوركايم بمصطلح التضامن حالة العلاقات بين الأفراد والجماعات ، والتى تستند إلى الأخلاقيات والمعتقدات المشتركة ، وكذلك الاتفاقات العقلانية . ويرتكز التضامن على التشابه والتباين . فالتضامن الذى يظهر بين المتشابهات سماه دوركايم بالتضامن الآلى والتضامن الذى يظهر بين الاختلافات أطلق عليه التضامن العضوى .

وفى ضوء هذا قسم دوركايم المجتمعات إلى نموذجين المجتمع الانقسامى

(١) إميل دوركايم . قواعد المنهج فى علم الاجتماع ص ٤٦—٤٧

Segmental ، والمجتمع المتباين . ويستند المجتمع الانقسامي إلى روابط الدم والقرابة ، ويتسم بالتجانس والتشابه ، ويتضاءل فيه تقسيم العمل ، ويحدده العلاقة بين الجنسين ، وبين الناس من ذوى الأعمار المختلفة . وهو يتكون من وحدات بنائية قرابية تشبه حلقات الدودة ، إذا أزيلت جزء من أجزائها يحل محله في الحال جزء آخر . ويرتبط الأفراد في هـــذه المجتمعات بما سماه « التضامن الآلى Mechanical Solidarity » حيث يخضع الأفراد لما يمليه الرأى العام والتقاليد ، والمسئولية في هذه المجتمعات مسئولية جمعية ، ويورث المركز الاجتماعى ويتجلى ذلك في المجتمعات التقليدية .

أما المجتمع المتباين ، فهو المجتمع الاكثر تقدماً والأشد تعقداً ، من حيث أنه يتسم بتمايز الأدوار ، ويبدو فيه تقسيم العمل الذى يرجــع إلى الظروف الاجتماعية الواقعية ، إذ أن تقسيم العمل يختلف باختلاف حجم المجتمع وكثافة السكان ، وشدة التفاعل ومن ثم فهو يقوم على التباين ، حيث تتعدد وتتنوع شخصيات الأفراد ، ويرجع ذلك إلى تعدد وتنوع الخبرات والوظائف التى يمرون بها .

وتناول دوركايم تطور المجتمعات والنظم الاجتماعية . ويختلف هذا التطور حسب الأساس الاجتماعى من حيث المتغيرات المورفولوجية الخاصــة بحجم السكان ، واستقرارهم ، وكثافتهم ، وتخلخلهم ، ومستوى الحضارة ، والصيغ الفيزيقية للاقليم ، واختلاف أنماط النشاط وعليه فقد تطورت المجتمعات من الأشكال البسيطة إلى الأشكال المعقـــدة ، وتدرجت على مراحل التاريخ بالشكل الآتى : المعشر ، العشيرة ، الاتحاد ، القبيلة ، المدينة ، الإمبراطورية

القديمة ، نظام الإقطاع ، الأمم ، الإمبراطوريات الحديثة ، والمجتمعات الدولية .

أما النظم الاجتماعية فهى متعددة ، وهى إما دينية أو سياسية أو اقتصادية إلخ ، ولكل نظام أسلوبه الخاص فى كل فترة من فترات التاريخ ، وهو يخضع للتطور . فالدين — مثلا — تطور من التوتمية إلى تعدد الآلهة ثم إلى الثنئية فالوحدانية . وتطورت السلطة من الشكل الدينى إلى الشكل المدنى ، ومن سيادة العادات والعرف والتقاليد إلى سيادة القانون الوضعي . كما تطورت الأسرة من الاتساع إلى الضيق — أى من الأسرة التوتمية إلى الأسرة الأبوية الكبيرة فالصغيرة ثم إلى الأسرة الزواجية . وهكذا الأمر بالنسبة للنظم الاجتماعية الأخرى .

وقدم دوركايم فى كتابه « الصور الأولية للحياة الدينيـــة : Elementary forms of the Religious Life » تحليلا تفصيلياً لمعتقدات وشعائر الدين الطوطمى لإحدى القبائل الاسترالية التى تسمى « الأورنتا Arunto » وتقوم التنظيمات الداخلية على أساس العشيرة باعتبارها وحدة اجتماعية بدائية وتنقسم العشيرة إلى مجموعات صغيرة من الأفراد يمارسون حياتهم الخاصة سعياً وراء قضاء مطالبهم وحاجاتهم وتشير الطموطية إلى اعتقاد داخلى فى قوة غيبية أو مقدسة أو فى مبدأ يحدد مجموعة من الجزاءات ، يتعين تطبيقها على كل من يحاول انتهاك المحرمات Taboos ، وتعمل الجزاءات فى الوقت ذاته على دعم المسئوليات الأخلاقية فى الجماعة ، بل وتضفى حيـــاة على التوتم ذاته . ويرمز الطوطم — سواء أكان حيواناً أو نباتا أو شيئا طبيعيا

إلى هذا المبدأ الطوطمى المقدس من ناحية ، وإلى الجماعة أو العشيرة من ناحية أخرى .

ويذهب دوركايم إلى أن المعتقدات والممارسات الدينية وفكرة المقدس تنتج عن الحياة الجمعية ، وترتبط بها أشد الارتباط ، وبمعنى آخر فان الدين والمجتمع يعتمد كل منهما على الآخر اعتماداً متبادلا . ولا تقتصر العلاقة بين الدين والمجتمع على المجتمعات التقليدية ، بل تمتد إلى المجتمعات العلمانية المعقده فالفرد فى المجتمع الحديث يستمع إلى النصائح الدينية فى المذياع والتليفزيون ويتوجه إلى الكنيسة ، كما يدعي بعض رجال السياسة أنفسهم بالرموز الدينية اعتقاداً منهم بأن ذلك يكسبهم ثقة الناخبين .

ودرس دوركايم الانتحار مستخدما فى ذلك المنهج الإحصائى والتفسير الإمبيريقى والنظرى . وبدأ بتعريف الانتحار مشيراً إلى أنه كلمة شاع استخدامها بين العامة وتحمل مثل هذه الكلمات التى نستخدمها فى لغتنا اليومية أكثر من معنى . وقد يستخدمها الباحث بنفس المعنى دون أن يحاول تعريفها تعريفا علميا حتى لا يقع فى مخاطرة سوء الفهم . ولذلك فان الفحص العلمى الذى يقوم على المقارنة والتفسير يمكن أن يساعد على تعريف مثل هذه الكلمات. وخلص إلى تعريف للانتحار مؤداه أنه : يشير إلى كل حالات الموت التى تكون نتيجة مباشرة أو غير مباشرة لفعل سلبى أو إيجابى قام به المنتحر نفسه وهو يعلم أنه سيؤدى إلى هذه النتيجة[١] .

---

(1) Emile Durkheim. Suicide, A Study in Sociology. p . 14

والانتحار – فى رأى دوركايم – لا يعود لأسباب سلالية أو وراثية ، فهو لا ينتج عن انتقال الجينات من الآباء إلى الأبناء ، ولا يعتمد على ظروف عضوية . وحتى إذا ما سلمنا بأن الأبناء الذين انتحروا كان آباؤهم قد سلكوا هذا المسلك من قبل ، فاننا نؤكد أن هذا الفعل لا يرجع إلى الجانب الوراثى ، وإنما إلى مزاج الفرد المنتحر[١] .

كذلك فان الانتحار لا يمكن أن يعزى إلى عوامل سيكلوجية ، فهو لا يرجع إلى المزاج الفردى ، أو الشخصية ، أو تاريخها ، كما لا يفسر الانتحار فى ضوء المرض العقلى ، إذ أن هذا أمر لا تؤيده الشواهد الواقعية وحتى إذا ما حدث الانتحار بسبب الخلل العقلى ، فانه يعد حالة خاصة ومحدودة أى حالة فردية ، لا تمثل ظاهرة اجتماعية فالإحصاءات لا تشير إلى ارتباط جوهرى بين المرض العقلى والانتحار ، ومثال ذلك أن عدد النساء فى المؤسسات العقلية يزيد عن عدد الرجال فيها بمعنى أنه يوجد ٥٥ إمرأة إلى كل ٤٥ رجل إلا أن النساء فى التعداد يشكلن ككل حوالى ٢٠ ٪ فقط من نسبة المنتحرين هذا فضلا عن أننا نجد أن نسبة الاختلال العقلى ترتفع بين اليهود إلى أعلى من المتوسط ، بينما تلاحظ أن نسبة الانتحار عندهم تقل عن المتوسط . يضاف إلى ذلك التناقض بين معـــدل الانتحار ، والأعمار المختلفة التى يصاب بها المرء بالاختلال العقلى ، فثمة حقيقة شائعة تؤكد أن معدل الانتحار يزداد مع تقدم العمر ، ولكننا تجد من ناحية أخرى أن الاختلال العقلى يبلغ أعلى درجاته فى سن النضوج ، أى بين الثلاثين والخمسة وأربعين ، ولعل هذا يهدم الارتباط المزعوم بين الانتحار والمرض العقلى . ويلاحظ دوركايم أيضا أن البلاد التى تنخفض فيها معدلات الانتحار ، يرتفع فيها نسبة الأفراد المصابين بأمراض عقلية[٢] .

(1) Idid, p. 94.

٢ – انظر د. محمد على محمد . المرجع السابق ص ١١٩ – ١٢٠

ونقد دوركايم العلاقة بين المناخ ومعدل الانتحار ، حيث يزعم هذا الاتجاه أن معدلات الانتحار تزداد في البلدان الأشد حرارة فها هو لومبروزو Lombroso وفيرى Ferri خلصا إلى أن معدل الانتحار يزداد تكراراً في فصل الصيف عنه في فصل الشتاء ، وفي المناطق الجنوبية عنه في المناطق الشمالية . كما أكد هذا المعنى موروسيللى ، إذ يقول . أن الانتحار يزداد في الصيف . ويرى دوركايم أن الوقائع لا تدعم هذا الفرض ، وأن الحرارة لا يمكن أن تكون هي السبب الذى يدفع الناس إلى قتل أنفسهم بأنفسهم ، فقد لاحظ — مثلا — أن الجنود الفرنسيين كانوا يقدمون على الانتحار بنسب عالية أثناء الانسحاب من موسكو عام ١٨١٢ ، حينما كانت درجة الحرارة منخفضة جداً . كذلك فان معـدل الانتحار يزداد في بلدان جنوب أوربا عنه في شمالها ؛ فنسبة الانتحار ترتفع في إيطاليا عنه في فرنسا(١) .

وبعد أن استبعد دوركايم هذه الأسباب أكد أن المجموع الكلى لحالات الانتحار في بلد معين يسمح لنا أن نحسب معدل « الانتحار » ، وهذا المعدل هو ما أطلق عليه إسم « الظاهرة الاجتماعية » ، حيث أن الانتحار يرتبط بالنشاط الاجتماعى ؛ والظروف الزمانية والمكانية ؛ وهو يختلف من بلد إلى آخـــر . ويدعم ذلك ما نلاحظه من ارتفاع معدل الانتحار في المدن عنه في الريف كنتيجة لازدياد الأنشطة الاجتماعية في المدينة عنه في القرية . وفي ضوء هذا عالج دوركايم الأسباب الاجتماعية والمواقف الاجتماعية التي تؤدى إلى الانتحار .

---

(١) أنظر د. محمد على محمد المرجع السابق ص ١١٩ — ١٢٠

1-See Emi e Durkl eim, op. cir 1I3.

وانظر د. محمد على محمد . المرجع السابق ص ١٢٢ — ١٢٤

وصنف دور كايم الانتحار الذى يقع فى الثقافات الأوربية إلى ثلاث نماذج هي الأنانى Fgoistic ، والانتحار الغيرى والإيثارى Altruistic والانتحار الناتج عن فقدان المعايير Anomic Suicide . وينتج الانتحار الأنانى عن ضعف تكامل الجماعة نسبيا ، وهو يسود بوجه خاص فى الجماعات التي تقل فيها قوة الروابط الاجتماعية بشكل ملحوظ ، فهو ـ مثلا ـ أكثر انتشارا بين غير المتزوجات والبروتستانت . أما الانتحار الغيرى أو الإيثارى فيزداد معدله فى بعض المجتمعات البدائية ، وفى التنظيمات العسكرية الحديثة . ويصاحب الانتحار اللامعيارى انهيار المعايير الاجتماعية المترتب على التغيرات الهائلة والمفاجئة التي تميز العصر الحديث .

وتختلف هذه النماذج من الانتحار عن نموذج الانتحار الذى يقع فى المجتمعات الافريقية . ففى أفريقيا يكون الانتحار ثأرياً . فالفرد الذى ينتحر يعتقد أنه قتل أعداءه ، وأن شبحه أو روحه سوف تؤلمهم ، وأن مجتمعه سوف يقتص منهم .

وقد تبين لدوركايم نتيجة دراسته لظاهرة الانتحار أن معدله يرتفع بين الأرامل عنه بين المتزوجين ، فالزواج ـ كما يقول ـ يضيف حصانة ضد الانتحار ، بما فى ذلك الأسر التي لم تنجب . ويرجع ذلك ـ لا إلى الزوج والزوجة باعتبارهما أعضاء فى الأسرة ـ ولكن إلى الأب والأم باعتبارهما يقومان بوظائف اجتماعية فى هذه الرابطة الاجتماعية . وإذا ما مات أحد الزوجين ، فان الآخر تزيد فرصة ميله إلى الانتحار ، والتي ترجع إلى انهيار روابط الوحدة بينهما ، وهدم العلاقات الشخصية ، ووقوع الأسرة فى كارثة .

ولاحظ دوركايم كذلك أن معدل الانتحار بين الرجال أقل منه بين النساء فى جميع بلدان العالم ، ولربما يعود هذا إلى التعليم ، حيث أن مستوى

التعليم بين النساء أقل منه بين الرجال ، كما يرجع أيضا إلى أن النساء تغلب عليهن العاطفة والانفعال ، ويفتقرن أيضا إلى السلوك العقلانى . فنى إيطاليا كان معدل الانتحار ٤٫٨٠٨ رجل متزوج ، ٧٫٠٢٩ إمرأة متزوجة لكل ألف بين السكان المتزوجين فيما بين عامى ١٨٧٨ ، ١٨٧٩ . وفى فرنسا كانت النسبة ١٩٩ رجل متزوج و ٣١٠ امرأة متزوجة لكل الف حالة زواج عام ١٨٧٩ . وفى انجلترا ١٣٨ رجل متزوج و ١٨٥ زوجة متزوجة لكل ألف حالة زواج عام ١٨٧٩ . وتنطبق نفس هذه الاختلافات في معدلات الانتحار بين الزوجين في روسيا [١] .

واتضح لدور كايم أن الدول الكاثوليكية الخالصة كأسبانيا والبرتغال وإيطاليا يقل فيها معدل الانتحار ، بينما يصل الانتحار إلى معدلاته القصوى في الدول البروتستانتية مثل بروسيا والساكسون والدانمارك . وتؤكد الأرقام التي جمعها مورسيللى Morselli هذه النتيجة ، وهى :

الدول	معدل الانتحار لكل مليون من السكان
دول بروتستانتية	١٩٠
دول مزيج من الكاثوليكية والبروتستانتية	٩٦
دول كاثوليكية	٥٨
دول يونانية كاثوليكية	٤٠

وأرجع دوركايم الاختلافات في معدلات الانتحار بين الدول الكاثوليكية والبروتستانتية إلى التباين بينهما فى مستوى التمدن واختلاف الأنماط الثقافية ، وتباين المستوى العقلانى والأخلاقى [٢] .

(1) Emile Durkheim, Suide. A Study in Sociology p. 166

(2) Ibid,. p 152

وأكد دور كايم أن الانتحار تتغير معدلاته تغيرات عكسية مع درجة التكامل فى الهيئة السياسية ، فاشتداد سلطة الهيئة السياسية مع الأفراد يعنى القضاء على الروح الفردية .

وأشار دوركايم في دراستة للانتحار إلى أن بعض أجزاء من فرنسا تنمو فيها الصناعة نموا تكنيكيا سريعاً ، مما يعمل على ضعف الروابط بين الأفراد ، ويهدم التعاون فيما بينهم . وقارن دور كايم بين المجتمع المحلى المركزى والمجتمع المحلى البسيط . فى المجتمع المحلى البسيط تكون مصالح الأفراد ثانوية ، وتعلو مصلحة الجماعة فوق مصلحة الفرد ، ويترابط الأفراد ، مما يعمل على انخفاض معدل الانتحار . بينما وضعت التنمية الصناعية وتقدم العلوم حدودا على علاقة الفرد بالجماعة . ففى ظل التنمية الصناعية والعلمية يقل تماسك الفرد ببيئته وبعائلته . فهو يترك أسرته من أجل التعليم والعمل ، مما يعمل على ضعف الروابط العائلية ، وينجم عنه ارتفاع معدل الانتحار .

واستخلص دوركايم من هذه الدراسة أن المجتمعات التي تتسم بروابط اجتماعية قوية ، ويتوافر فيها معايير وقواعد تحدد سلوكهم يقل فيها معدل الانتحار عن المجتمعات التي تتسم بضعف الروابط الاجتماعية ، وتفتقر إلى المعايير والضوابط التي تحدد سلوك الناس . فمعدل الانتحار فى المدن أعلى منه فى القرى وبين العزاب أعلى منه بين المتزوجين ، وبين البروتستانت أعلى منه بين الكاثوليك .

دور كايم فى الميزان :

وصل دوركايم حين ناقش الضمير الجمعى إلى درجة من الواقعية السسيولوجية تجاهلت الفرد ومطالبه ، وكادت تطمس الأهمية الاجتماعية للارادة الفردية . إن المجتمع حقيقة واقعة لاشك فى ذلك ، كما أن للفرد وجوده الواقعى ، وهما أيضاً فى تفاعل مستمر . فمن المضلل إذن أن تمنح لأحدهما أولية أو أسبقية على الآخر .

وعاب البعض على دور كايم تلك النزعة الشيئية بصـدد مسألة الظواهر ، ورموه بالمادية ، ونعتوا نظرته على أنها من الأساليب الميتافيزيقية التي ليست من العلم فى شيء . ولكن دور كايم فى افتتاحه لمقدمة الطبعة الثانية من كتاب « قواعد المنهج فى علم الاجتماع Les Regles de la Methode Sociologique» رد على تلك الاعتراضات بأنه لم يقصد بهذا التشبيه مجرد الهبوط بصور الوجود العليا إلى مستوى صوره السفلى ، كما أنه لم ينظر إلى الظاهرات الاجتماعية على أنها أشياء مادية ، وإنما يريد بها أن توصف على أنها « أشياء كالظواهر الفيزيقية » من حيث أن الشيء يقابل « الفكر L'idée » ، بمعنى أن معرفتنا له إنما تأتى إلينا من الخارج وتصدر عن عالم الموضوع ، على حين أن معرفتنا بالفكرة إنما تأتى من عالم الذات ، وتصدر عن الداخل ، وليس يعنى أننـا نعالج الظواهر الاجتماعية من الخارج هو أن ننظر إليها على أنها كائنات مادية بحته ، وإنما نقصد أن نسلك حيال تلك الظواهر مسلكا عقليا خاصا ، على أعتبار أننا لا نعرف شيئا عن جوهرها ، ونجهل تماما كل مايتعلق بخصائصها وطبيعتها ، وعلينا أن نبذل جهداً فى الكشف عن خواصها الذاتية بالطرق الموضوعية [١] .

ومن أوجه الخطـأ التي وقع فيها دور كايم نزعته التطورية ، التى تخص النمو من التضامن الآلى أو الميكانيكى إلى التضامن العضوى ، وأن المجتمعات البدائية المعاصرة تمثل فترات أولية فى النمو التطورى . وفى هذا الصدد يقول إميل بنوا أن هـذا الاتجـاه التطورى نحو الأصول الاجتماعية Origims Social قد عرض دور كايم لإنتقادات مريرة ، فقد ذهب البعض إلى أن هناك شعوباً أكثر بدائية من الأرونتا .

---

١ ــ د. قبارى محمد اسماعيل : علم الاجتماع والفلسفة ــ ص ص ٢٣٥ ــ ٢٣٦ .

والواقع أن علمـاء الاجتماع قد أنصرفوا تماما عن بحث الأصول المختلفة للنظم الاجتماعية طالما أن ذلك سوف يقودهم إلى الخوض فيما يسمى بالتاريخ الظنى أو التخمينى ، كما أن بحث الأصول سوف يفضى بعلم الاجتماع إلى أن يصبح ضربا من التاريخ . وبذلك يتجه الباحثون نحو دراسة النظم كما هى موجوده محاولين كشف إرتباطها ، أو آثارها ، وذلك بقصد الوصول إلى تعميمات وقوانين سسيولوجية تساعد على إقامة الأبنية النظرية (١) .

وأهتم دوركايم بالمجتمعات الصناعية التي تتسم بالتخصص المهنى . ومع ذلك فان المجتمعات الغير صناعية أو التقليدية تتوافر فيها روابط ثقافية تخلق نوعا من التضامن والتبادل الاجتماعى . حقيقة أن تقسيم العمل والتخصص يتضاءل فى هذه المجتمعات ، ولكن هذا التقسيم البسيط للعمل يتفاعل مع قوى التبادل الاجتماعي مما يعمل على تماسك المجتمع التقليدى ، ويخلق شكلا أوليا من أشكال التضامن العضوى (٢) .

وذهب البعض إلى أن اهتمام دوركايم بتحليل دراسة مشكلة التمـاسك والتضامن ، أدى إلى اهمال دراسة الصراع كعملية أساسية فى الحياة الاجتماعية، هذا فضلا عن أنه اهتم بدراسة المجتمع ككل ، وأهمل دراسةالجماعات الفرعية Subgroupes وهى الأجزاء التي يتكون منها الكل .

ومن ناحية أخرى فقد التفت دوركايم فى دراستة لظاهرة الانتحار إلى العوامل الاجتماعية ، وقد اضطرته مطالبته بتفسيرالظواهر الاجتماعيةبظواهر

---

(١) د. محمد على محمد . المرجع السابق . ص ص ١٤١ — ١٤٣

(2) Peter p. Ekeh, Social Exchange Theory, p. 75

اجتماعية أخرى ، إلى أن يقع فى ثنائية غير مقبولة ، فهو يسلم بوجود فرد منعزل فى بعض الأحيان ، وفى مواضع أخرى يتحدث عن الفرد باعتباره مدفوعا بواسطة كل من الذات والمجتمع . كذلك فان هناك عدد من الباحثين استطاعوا كشف العلاقة بين الانتحار وبين مجموعة عوامل بيولوجية وسيكلوجية وجغرافية واجتماعية .

ويذهب هاليفاكس Halwachs إلى أن حالات الانتحار الغيرى ، كما يعرفها دوركايم بأنها الرغبة فى التضحية بالحياة فى سبيل الآخرين ، هذه الحالات لايعتبرها المجتمع حالات انتحار . هذا فضلا عن أن حالات الانتحار الغيرى لاتتضمنها الاحصاءات الرسمية عن الانتحار .

ومع ذلك فان هذا الانتقادات لاتقلل من أهمية دوركايم فى تاريخ الفكر الاجتماعي والنظريات السسيولوجية ، إذ يرجع الفضل إليه فى تنبيه الأذهان إلى ضرورة تحديد موضوع ومجال ومناهج علم الاجتماع ، كما أنه كان رائداً فى استخدام المنهج الإحصائى .

رادكليف براون (١٨٨٢ —)

تناول رادكليف براون «البناء الاجتماعي» ، واعتبره شبكة من العلاقات الاجتماعية الفعلية التي تقوم بين أفراد المجتمع . وميز رادكليف براون بين ما أطلق عليه « البناء الواقعى » و« الصورة البنائية » . فالبناء الواقعي هو حقيقة عينية قائمة نراهـا بلحمها وشحمها كما يقول الفلاسفة . . . أى الذى يخضع للملاحظة المباشرة . وهو ليس بناء جامدا ثابتا استكاتيكيا كبناء البيت ، وإنما هو بناء ديناميكى متغير تتجدد فية الحياة الاجتماعية ، كما يتجدد البناء العضوى بالنسبة لحياة الكائن الحى . ويرى رادكليف براون أن التنظيم

الاجتماعى هو ترتيب لمناشط الأشخاص وأدوارهم Roles داخل التنظيم نفسه .

ايفانز بريتشارد

ظهر مفهوم البناء الاجتماعى والوظيفة الاجتماعية عند إيفانز بريتشارد فى دراستة للجماعات القبلية المسماه بالنوير The Nuer . ويعنى بريتشارد بالبناء الاجتماعى تلك العلاقات التي ترتبط بين الجماعات والتى تتميز بدرجة عالية من الثبات والتركيب . بمعنى أن الجماعات تدوم وتستمر فى الوجود بغض النظر عما تحتويه من أفراد ، وتتتابع الأجيال تلو الأجيال ، ووجد أن « الوحدة الإقليمية » تعتبر وحدة أساسية، بمعنى أن كل إقليم تسكنه قبيلة أو عشيرة تخضع لرئيس ، وغالبا مايكون أكبر أفرادها سنا ، كما أن الوحدة المكانية هى « وحدة اقتصادية وقرابية » في نفس الوقت . وحدثنا بريتشارد عن مفهوم المكان Space، وعن طبيعة الزمان Time باعتبار أنها انبثقت من صميم الحياة الاجتماعية ، ومن واقع البناء الاجتماعى .

أما عن الوظيفة فقد حلل بريتشارد وظيفة الأخذ بالثأر فى المجتمع النويرى، والاستخدام الدينى لفكرة الوظيفة ، فهى تستخدم للمحافظة على إبقاء النسق الاجتماعى . أما وظيفة الأخذ بالثأر فهى تعمل على المحافظة على التوازن البنائى بين القبائل المتناحرة .

تالكوت بارسونز Talcott Parsons

تناول تالكوت بارسونز « البناء الاجتماعى » و «الوظيفة الاجتماعية » وتعد الفكرة التي مؤداها أن بناء الشخصية هو انعكاس للبناء والنسق الإجتماعي، فلا يمكن أن ننظر الى الشخص باعتباره نسقا على أنه انعكاس لموقف اجتماعى

فى وقت معين ، إذ فى ذلك نفى المسلمة القائلة « استقلال نسق الشخصية » . واعتبر بارسونز الثبات وعدم التغير خاصية أساسية للنسق الاجتماعى. ويحدث التغير حين تقع الاضطرابات فى الحالة الطبيعية لتوازن المجتمعات .

وأكد بارسونز نظرية النسق الاجتماعى هى مركز نسق الفعل الإنسانى الكلى الذى ينتج عن تفاعل الأفراد ومشاركتهم فى الفعل الاجتماعي الكلى . ويتجلى أربعة أنساق فرعية هى . الثقافة ، الشخصية ، والعضوية السلوكية behavicral organism . وهى تتفاعل مع البيئة وأنساق الأفعال الأخرى مما ينجم عنه تطور اجتماعى لحياة الإنسان ، فيتجلى التباين الاجتماعى .

وقسم بارسونز التطور الاجتماعى الى أربعة مراحل هى : المجتمعات البدائية وتشمل سكان استراليا الأصليين ، ومجتمع الشيلوك Shilluk ، ومصر القديمة ، والعراق القديمة . والمرحلة الثانية وهى امبراطوريات العصور الوسطى وهى الصين والهندو الامبراطورية الإسلامية . وتشمل المرحلة الثالثة مجتمعات العصور الوسطى فى أوربا الغربية . أما المرحلة الرابعة فهى المجتمعات الحديثة والتى تتمثل فى انجلترا وهولنده وفرنسا وألمانيا واليابان والولايات المتحدة وروسيا . وفى المجتمع البدائى يسود النسق الدينى وروابط الدم والقرابة) . وفى المرحلة الثانية (امبراطوريات العصور الوسطى) يظهر النسق السياسى . وفى المجتمعات الحديثة تبدو أهمية النسق الاقتصادى . ومع انتقال المجتمعات من مرحلة إلى مرحلة تالية تتبدى الفردية ، ويظهر التباين الاجتماعى ، وتصل الى أقصاها فى المجتمعات العلمانية [1].

(1) Gregory Baum, Sociolcgy and Human Destiny. essays on Sociology, ‹nsòciolopy, Reli gion and Society, 32 & p, p. 42-48

وأوضح بارسونز دور الدين في أنساق الفعل الاجتماعى ، وتطور هذا الدور بنائيا ووظيفيا . واهتم بدور الدين في التحليل الوظيفى فى المجتمعات الحديثة كأمريكاودول أوربا ، وبين الاختلافات بين الدين والعلمانية ، والفرد والمجتمع فى انساق الفعل خلال مراحل التطور .

ويرى بارسونز أن التقسيم الوظيفى أكثر وضوحا وأهمية فى المجتمعات الحديثة المتقدمة إلا أن تعقد العلاقات بين الأنساق الفرعية للفعل الإجتماعى يعوق هذا التقسيم . أما الدين ، فى الإنساق الاجتماعية الحديثة يلعب دوراً فى المجتمع المحلى المتكامل .

جيمس بيرنهام

اتخذ موقفاً مختلفاً كل الاختلاف عن ذلك الذى اتخذه كل من موسكا وميشلز وباريتو ، فاذا كان هؤلاء العلماء قد سعوا إلى هدم النظرية الماركسية فى الطبقة الحاكمة ، وإذا كان الماركسيون بدورهم — قد رفضوا نظرية الصفوة بوصفها تعبيراً عن أيديولوجية برجوازية ، فاننا نجد بيرنهام يحاول المزاوجة بين النظريتين . ولقد بسط بيرنهام آراءه فى مؤلف شهير له فى سنة ١٩٤١ بعنوان « الثورة الإدارية Marginal Revolution » . والقضية الأساسية التى ينهض عليها هذا الكتاب هى أن النظام الرأسمالى فى تدهور مستمر ، وأنه سيتحول تدريجياً إلى مجتمع تسيطر عليه صفوة إدارية تتولى شئونه الاقتصادية السياسية .

ويبدو تأثير بيرنهام بالنظرية الماركسية فى فهمه وتفسيره للأسس التى تستند إليها الصفوة . فتحكمها فى وسائل الإنتاج هو الذى يمنحها الوضع المسيطر في أى مجتمع . وتتخذ القوة عند بيرنهام طابعاً تراكميا . فالتحكم

فى وسائل الإنتاج يصاحبه بالضرورة قوة اقتصادية وسياسية واجتماعية، ومن ذلك يبدو واضحا أنه عاد على الرغم من أن تفسير بيرنهام للتغير الوظيفى يعد تفسيرا ماركسيا، الا أنه عاد إلى علماء الصفوة فأخذ عنهم الفكرة القائلة بأن هذا التغير سيؤدى بالضرورة إلى ظهور طبقة جديدة[1] .

خلاصـــة

ويتضح من هذا الفصل أن الوظيفية هى اتجاه يسعى نحو تفسير الظواهر وفهم الروح وبطريقة سسيولوجية ـ بمعنى ضرورة تكامل الأجزاء فى ذلك الكل المعقد ، أو التساند الضرورى بين الأجزاء ، وترتبط الوظيفية فى علم الاجتماع بنمط النشاط الذى يقوم به الجزء أو الكل .

ويتبين أن الوظيفية الحديثة نمت على يد دوركايم ، ثم اتجهت اتجاها تحليلياً على يد بارسونز . ويعد رادكليف براون وايفانز بريتشارد وجيمس برنهام من أبرز الذين أخذوا بهذا الاتجاه .

---

(١) ت.ب بوتومور الصفوة والمجتمع . ص ١٢ — ١٣

الفصل الثاني عشر

إتجاهات نظرية أخرى

المبحث الاول

الحتمية الإقتصادية

تقديم :

يقصد بالنظم الاقتصادية الأساليب المستخدمة فى إشباع حاجات الإنسان المـادية ، ورغم تنوع تلك الأساليب وتمايزها من مجتمع إلى آخر، إلا أنها تتفق فى جميعاً فى ثلاث أسس هى الموارد والأدوات والعمل الانسانى .

وللعوامل الاقتصادية أهميتها فى إعطاء النظم الاجتماعية شكلها وصورتها فهى التي تحدد – مثلا – نوع التعليم الذى يمكن أن يتلقاه الفرد ، كما تعين نوع المهنة التي يعملها ، كذلك فهى تحدد دوره ومركزه والطبقة الاجتماعية التي ينتمى إليها ، كما أن لها دوراً فى تكوين الأسر ، فالأسرة الصغيرة عندما تتكون لا تعبر عن رغبتها فى المعيشة فحسب ، وإنما تتحمل أعباء إقتصادية جديده لم يكن يتحملها أى من الزوجين من قبل . كذلك فان النظام الاقتصادى الاشتراكي يهدف إلى تحقيق الرفاهية الاجتماعية .

ويقصد بالحتمية الاقتصادية إبراز عامل واحد هو الاقتصاد كدافع للتغير الاجتماعى دون إعتبار لباقى العوامل ، وأن المجتمع وما يتخلله من

عناصر كالثقافة والفن والأسرة والسياسة و . . . الخ ما هى إلا أنعكاس للظروف الاقتصادية ومن أنصار هذا الإتجاه كارل ماركس .

كارل ماركس Karl Marx

(١٨١٨ — ١٨٨٣)

ولد كارل ماركس فى ٥ مايو عام ١٨١٨ فى ترير Rhernich city of Trier فى بروسيا . وكان والده يشتغل بالقانون ، ويعتنق اليهودية ، تلك التي تحول عنها عام ١٨٢٤ . وكان والده مولعا بالثقافة ، ومهتما بفلسفة التنوير وبعد أن تخرج ماركس من المدرسة الثانوية التحق بالجامعة فى بون ، ثم سجل نفسه فى كلية الحقوق فى برلين عام ١٨٣٧ ، وهو نفس العام الذى مات فيه هيجل .

وفى عام ١٨٤٣ رحل ماركس إلى باريس ، وتزوج من حبيبة طفولته جينى فون وستفالين Jening von Westephaln ، والتقى بفردريك إنجلز .

وخلال السنوات التى قضاها فى باريس (١٨٤٣ — ١٨٤٥) كان ماركس فى قمة نشاطه الراديكالى ، حيث كانت باريس فى هذا الوقت المركز الأوربى الرئيسى لحركة الحرية العقلانية والاجتماعية . وهناك تعرف على قادة الفكر فى فرنسا ، وعلى وجه الخصوص قادة الفكر الاشتراكي أمثال سان سيمون وبرودو . كما تعرف على شخصيات ثورية مثل بلانكى Blanqui ، كما أرتبط بالهيجلية . وفى باريس أطلع على كتابات رجال الاقتصاد السياسى الانجليز مثل آدم سميث ودافيد ريكاردو . وكانت النظريات الاقتصادية والسياسية السائدة فى إنجلترا فى ذلك الوقت تعتنق الفردية والعقلانية فيما يختص السوق والنظام الاجتماعى ، وتؤمن بأن مبدأ

دعه يعمل Laissez fair إنما يحقق المصالح الفردية الذاتية ، مما يسهم فى الارتقاء بمستوى حياة الناس .

وفى عام ١٨٤٥ نفى ماركس من باريس تنفيذا لطلب الحكومة البروسية باعتباره ثوريا خطيراً ، ورحل منها إلى بروكسل . وعندما أندلعت ثوره عام ١٨٤٨ طرد ماركس من بلجيكا ، وعاد ثانية إلى باريس ، ثم رحل منها إلى كولونيا بألمانيا ، ثم اضطر إلى الهرب إلى فرنسا عام ١٨٤٩ ، ثم إلى إنجلترا ، وأقام في لندن إقامة يائسة ، وبقي يؤلف ويكافح حتى لقي حتفه .

أختلف ماركس إختلافا جوهريا مع من سبقه من المفكرين ، فقد كره الفلسفة الوضعية التي كونها كونت ، بل ولم يستخدم فى كتاباته إصطلاح « علم الاجتماع » الذى صاغه كونت . فقد أعتبر كونت الحالة الوضعية هي نهاية مطاف التطور ، بينما كل شكل من أشكال الحياة الاجتماعية – فى رأى ماركس – ينتج عكسه . وَأختلف ماركس مع داروين ، فاذا كان داروين قد أكتشف قانون الطبيعة العضوية ، فان ماركس اكتشف قانون تطور التاريخ الإنسانى .

واستفاد ماركس من الأفكار والنظريات والمدارس المتعددة . كالمدرسة المثالية الألمانية . والاشتراكية الفرنسية . والاقتصاد الانجليزى . ومزج بين مبدئين مختلفين : نظرية هيجل عن الخاصية الإنتقالية tramsitat لمراحل أو تتابع الفكر ، ونظرية فيرباخ المادية والمناهضة لهيجل . ويطلق هيجل على هذه المراحل : القضية أو الموضوع Ihesis . ونقيض القضية Anti - thesis . ثم التركيب بينها أو المؤلفة — Synthesis . ومن هذا

يتضح أن نقطة البدء عند هيجل هي الفكر ، ولولا الفكر لما أمكن لنا معرفة العالم الخارجي .

وعلى عكس هيجل الذى أقام فكره على أساس فكرى ثقافى ؛ أقام ماركس نظريته على أساس اقتصادى مادى ، وبدأ بالمادة matter ، فهى تنطوى على تطور وحركة . وهكذا ، اذا كانت فلسفة هيجل فلسفة فكرية جدلية . فان فلسفة ماركس مادية جدلية . وعليه يمكن القول أن المنهج الذى استخدمه ماركس هو المنهج الجدلى .

وتقوم النظرية الماركسية على أفتراضية مؤداها أن بقاء الحياة الإنسانية تستند الى النشاط الذى يقوم به الانسان فى تعديل بيئته الطبيعية من أجل أن يفى باحتياجاته الانسانية — أى على النشاط الانتاجى . فكفاية الطعام والشراب ، والمسكن والملبس هى الهدف الأول للانسان منذ فجر التاريخ وحتى المجتمع الحديث المعقد . والإنسان دائماً هو حيوان لا يقتنع بما يحقق له من احتياجات، وكلما تحقق له مطلب،طلب مطلبا آخر.ومن ثم تبرز أهمية الانتاج لإشباع هذه الاحتياجات . ويبدو دور التعاون ، وتقسيم العمل مما يعمل على ظهور طبقات اجتماعية متعارضة .

وقد شغل البناء الاجتماعى مكانا بارزاً فى تفكير ماركس . واستند فى ذلك الى المادية التاريخية التى تسلم بأن المجتمع هو كل منظم تعتمد أجزاؤه الواحدة منها على الأخرى بطريقة لا تكون فيها معتمدة على أى شىء يخرج عن ذلك الكل . وتفترض هذه النظرية أننا اذا كنا نفكر فى المجتمع بهذه الطريقة . فيمكننا أن نسلم بأن تاريخه عباره عن نوع من النمو ، وأن بناؤه يحدد تطوره . وأن الأجزاء المعتمدة بعضها على بعض ليست هى الأفراد

رجالا ونساء . وانما هي النظم الاجتماعية . والمجتمع ـ كما يقول ماركس ـ هو توازن حركي متناقض ينتج عن التغير الاجتماعى ، والصراع والتوتر الذى يؤدى الى التقدم . فالكفاح والصراع الاجتماعى هو أساس العملية التاريخية .

وقسم ماركس التاريخ إلى مراحل مثل المدينة القديمة والإقطاع والرأسمالية والإشتراكية ويحدد البناء الاقتصادى وقوى الانتاج المادية مثل الزراعة ، والعمل الحرفى ، أو الصناعة ، وعلاقات الإنتاج كل شكل من أشكال هذه المراحل . وتاريخ أى مجتمع هو تاريخ الصراع الطبقى ، فالصراع مستمر بين الطبقات منذ فجر التاريخ ، وكل ارتفاع أو سقوط للطبقات المختلفة يعمل على إدراك مراحل التاريخ . ويتضمن تاريخ أى مجتمع وجود طبقتين ، طبقة حاكمة ومعها الثروة والمال ، وطبقة محكومة تفتقر إلى المال ، وهي مستغلة ومسلوبة الحقوق . ففى العالم الزراعي يوجد أصحاب الأرض والعبيد ، وفى الاقتصاد الحرفى هناك رؤساء الطوائف والصبية ، وفى المجال الصناعى يوجد صاحب رأس المال الذى يمتلك المصنع ، والعامل الذى لا يملك شيئاً ، وإنما يبيع قوة عمله . وتتناقض مصالح الناس فى ظل علاقات الانتاج ففى المجتمع الرأسمالى تتراكم الأرباح لدى أصحاب رءوس الأموال ، وتصبح قادرة على ممارسة السلطة بفضل قوتها الإقتصادية . وتهيمن تلك الطبقة الحاكمة على الحياة العقلية والخلقية للآخرين من خلال سيطرتها على وسائل الإنتاج . ولهذا يقول ماركس : (١) إن القانون والحكومة والفن والأدب والعلم والفلسفة والدين والسياسة والأخلاق والأفكار الاجتماعية يتحكم فى

(١) د . محمد عاطف غيث . دراسات إنسانية وإجتماعية . ص ١٨١

صياغتها نظام الإنتاج ، وتكون جميعاً فى خدمة مصالح هذه الطبقة الحاكمة.

أما الطبقات الكادحة التي تقع على كاهلها نتائج الاستغلال، فتزداد سوءا كلما نمت القوى الإنتاجية ، ويشعر العامل بالحرمان النفسى والاغتراب الذى ينتج عن نسق الآلة فى المصنع . وإذا وعت تلك الطبقات مصالحها الحقيقية فان الثورة البروليتارية تصبح أمراً لا مفر منه . وتقضى هذه الثوره على المجتمع الرأسمالى وتقيم المجتمع الاشتراكي ، وهو المجتمع الذى تكون فيه أدوات الإنتاج للجماعة كلها ، وفى ظل الإشتراكية (حيث لا يوجد صراع طبقى) ليس هناك حاجة ماسة إلى سلطان سياسى أو تبرير لوجود الدولة إلا لفترة معينة ، وتنتهى سلطة البروليتاريا ، ويحكمون حكما دكتاتوريا لإلغاء نظام الطبقات ، ومن ثم فلا حاجة إلى سلطان سياسى وتتلاشى الدولة وتذوى .

وقد كره ماركس الطبقة البورجوازية ، وأعتبر أن المجتمع اللا طبقى يمكن أن يبقى ويستمر فى الوجود دون وجود هذه الطبقة .

ويؤخذ على نظرية ماركس أن تصوره للطبقة يقوم على أساس المكانة الاقتصادية ـ وبوجه خاص على أساس ملكية أو عدم ملكية أدوات الإنتاج أما العوامل الأخرى العديدة فى التمييز الطبقى مثل القومية ، والدين ، والتعليم والمكانة الاجتماعية والمواقف السيكلوجية والتأثيرات الجغرافية . . . الخ ، فقد أعتبرها ماركس انعكاسا للمكانة الاقتصادية .

كذلك فان الطبقات التي ذكرها ماركس عند الرومان ، وفى العصور الوسطى تقوم على مبادىء مختلفة . فمثلا الطبقات التي ذكرها عند الرومان تقوم فى الحقيقة على حقوق سياسية معينة فى نظام الدولة الرومانية بحيث يمكن القول أن تلك الطبقات كانت فى جوهرها طبقات سياسية . وهى

تختلف عن الفروق التي يمكن إقامتها بين الموالى والأحرار عند القدماء ، إذ لم تكن من النوع السياسى ، وإنما من النوع الحقوقي أو القانونى . إذ أن الموالى فى القديم كانوا ملكا أو حقا لأسيادهم وكان العبيد في العصور الوسطى مجردين من كل حق من الحقوق المدنيـة كحق التملك وحق المقاضـاة وحق الإنتقال من الأرض بحيث يمكن القول أننا أمام طبقات حقوقية . هذا ويمكن أن نميز إلى جوار تلك الطبقات طبقات أخرى حربية ودينية (١) .

وأعتبر ماركس الصراع دائم ومستمر بين الطبقة البورجوازية وطبقة البروليتاريا ، وبينما هناك جماعات كثيرة ذات إتجاهات مختلفة تقاوم البروليتاريا وهى تعد نفسها أعضاء فى الطبقة الوسطى ، حتي لو كانت دخولها أكثر أو أقل من دخول أفراد البروليتاريا . ويلاحظ ذلك فى الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث لا يعتبر الفرد نفسه منتميا إلى طبقة إرستقراطية أو البروليتاريا ، وإنما ينتمي الى الطبقة الوسطي . هذا بالإضافة الى أن كثيراً من العمال يؤيدون النسق الرأسمالى .

وتبدو تفـاهة نظرية ماركس فى قوله بامكانية وجود مجتمع بلاطبقـات اذ يتعارض هذا مع تاريخ الإنسانية ، والذى لا نجد فيه مجتمع بلاطبقات فمن المستحيل أن نجد مجتمعاً دون طبقة متعلمة ، وكان التعليم والمعرفة أساس الإحتفاظ بعجلة الصناعة ودورة الزراعة .(٢)

وأشترطت نظرية ماركس أن الصراع بين الطبقة البرجوازية وطبقة

---

(١) د . محمد ثابت الفندى . الطبقات الاجتماعية . ص ٣١

2 - See Elten Mayo, The Social Problems of Industrial Civilization, p. 120

البروليتاريا يتم فى مجتمع كثيف الصناعة حتى يظهر التفاوت والانقسام الثنائى فى غاية الحدة ، والصرامة ، ويمثل الثنائى ملاك وعمال . ولكن الثورة التى قامت على هذه النظرية كذبت معظم هذه الاشتراطات ، ففى روسيا القيصرية لم تكن الطبقات تمثل مثل هـذا التمايز الذى تصوره نظرية ماركس ، ومع ذلك فقد قامت الثورة . هذا ولم يظهر من أعمال البلاشفة بأن دولتهم عبارة عن فترة إنتقال إلى مجتمع بلا دولة ، وكل ماتم بالعنف والثورة كان يمكن أن يتم بالإجراءات الديموقراطية .

وذكر كارل ماركس أن قوة العمل سلعة تباع وتشترى . ونعترض على ذلك بأن قوة العمل لا تشبه السلع ، وهى عامل من عوامل الإنتاج ، وتنتج السلع نتيجة أرتباط عدد من عوامل الانتاج تكون قوة العمل واحدة منها ، أما العناصر الأخرى ، فهي رأس المال . والتنظيم والآلات والأدوات .

كذلك فان ماركس لم يتوقع إتساع ملكية وسائل الإنتاج من خلال عملية إستثمار المال ، فقد أبدى إهتماما بالغا بزيادة تركيز رأس المال فى أيدى قلة هم أصحاب رءوس الأموال . وأغفل ماركس السياسات الحكومية التى تعمل على إعادة تخطيط توزيع الثروة عن طريق الضرائب . وطرق أخرى غير الثورة . كما قامت الحكومات بالرعاية الاجتماعية لمواطنيها . مما يقلل من إحتمال قيام الثورة .

هـذا وليست كل ثورات الطبقات الـكادحة قدرات ناجحة تعمل على إعادة تنظيم المجتمع . كذلك فقد توقف الديالكتيك ـ عند ماركس ـ فجأة عند المجتمع الشيوعى . وهذا ليس له مايبرره ، فاذا كانت الحركة المادية دائمة أو بمعنى أدق إذا كانت الحركة فى حالة صيرورة مستمرة . فاننا

لا نفهم دواعى توقفها المفاجىء عند مرحلة المجتمع الشيوعى . وكان الأولى بماركس أن يقرر أتفاقا مع مذهبه أن التاريخ يعيد نفسه . وأن السلسلة التى قدمها لا تلبث أن تعود وتكرر ، أو أن يقرر بأن الديالكتيك سوف يكشف باستمرار عن مراحل جديدة تتخطى مرحلة المجتمع الشيوعى .

ولا شك أن هذه الافتراضات التقليدية لماركس يشوبها العيب - فقد أكد أهمية المادية الجدليـة فى مقابل المثالية لهيجل . الا أنه لم يستطع أن ينكر حقيقة الوعى الذاتى . والدور الذى يلعبه فى التغير الاجتماعى . حقيقة أنه لم يوافق على المثالية الفلسفية، والتي هى ليست أكثرمن مجرد تصور أو فكرة . كما أنه لم يوافق على الوضعية واستخدام تكنيكالفحوص الإمبيريقية فى العلوم الطبيعية لتفسير السلوك الإنسانى أو التغيرالإجتماعى . أما الفهم العلمى الذىقبله ماركس للظاهرة الاجتماعية فيستند الىأن الإنسان ليسعضواً ماديا فحسب ، بل لديه وعى ذاتى ، بمعنى أنه يدرك ذاته ، ويدرك موقفه من المادة (١) .

(1) Doyle Paul johnson, op. cit, p. 124

المبحث الثانى

النظرية السكانيـــة

تقـــديم :

السكان هم أحد العناصر الهامة فى تكوين المجتمعات الإنسانية ، بل لقد اعتبر بعض علماء الاجتماع هذا العنصر رئيسى ، وركزوا دراستهم الاجتماعية عليه ، وسموا دراستهم هذه بعلم الديموجرافيا Demograpby . وهو علم يهتم بدراسة المجتمع الإنسانى ، ويقوم أســاسا على الفرد ، ثم الأسرة ، وتنصب الدراسة فيه على حجم السكان وتكوينهم وتوزيعهم وكثافتهم وتخلخلهم وتأثير وتأثير وهجرتهم ، ذلك على الأنشطة الاجتماعية الأخرى

ونظراً لتعدد العلماء الذين قاموا بالدراسات السكانية ، فقد تعددت أيضا النظريات فى هذا الموضوع ، ولعل أهمها : ـ

أولا : النظريات التى ترمى إلى زيادة عدد السكان على اعتبار :

١ ـ أن زيادة عدد سكان الدولة يزيد من قوتها العسكرية .

٢ ـ أن زيادة عن سكان الدولة يزيد من احترامها المحيط الدولى .

٣ ـ أن زيادة عدد سكان الدولة تزيد من قوتها الاقتصادية بزيادة القوى العاملة فيها لزيادة الإنتاج .

٤ ـ أن زيادة عدد سكان الدولة يؤدى إلى ظاهرة تقسيم العمل ، وهــذا يؤدى إلى التخصص وزيادة الإنتاج .

ثانيا : نظريات تنادى بالحد من الزيادة السكانية على أساس :

١ – أن تزايد عـــدد السكان يؤدى غالبا إلى انخفاض مستوى المعيشة فى البلاد ذات الموارد المحدودة.

٢ – أن تزايد السكان يؤدى إلى انخفاض المستوى الصحى وانتشار الأمراض والأوبئة لتكدس السكان .

٣ – تزايد السكان قد يؤدى إلى الحروب أو الاستعمار خصوصا إذا ما ضاقت موارد البلد عن حاجة سكانه(١) .

وهناك نظرية أخرى تقول أنه يجب أن يكون هناك حجم أمثل للسكان فى كل مجتمع ينبغى الوصول إليه ، بحيث لا يقل عـدد السكان ولا يزيد عن هذا الحـــد ، فمستوى المعيشة ينخفض فى حالتى الزيادة والنقص الكبير فى السكان ، وأن بين هذين الطرفين حالة وسطى يبلغ فيها مستوى الرفاهية حده الأقصى ، وهى التى تسمى بالحجم الأمثل للسكان(٢) . .

توماس مالتس Thomas Malthus

توماس مالتس هو عالم إنجليزى .

---

(١) د. أحمد الخشاب ود. كرم حبيب برسوم . مقدمة فى علم الاجتماع ص ٢٧٠ .

(١) د. عبد العزيز ، د. فنيس أسعد عبد الملك . الاقتصـــاد المعاصر ص ٣١٠ .

قيم النظريات الاجتماعية التي كانت سائدة فى عصره ، ولعل أهمها نظرية تشارلس داروين فى البيولوجيا ، وآدم سميث فى الاقتصاد ، وهربرت سبنسر فى علم الاجتماع . وساعدت هذه النظريات على إقامة دراسة كمية للسكان كانت أساس كل العالم الاجتماعى .

واستخدم مالتس حقائق كمية ، وافترض أن السكان يتزايدون بمعدل أسرع من الإنتاج عدد السكن يتضاعف كل ٣٥ سنة ، ويتزايد الناس طبقا لمتوالية هندسية قوامها ٢ — ٤ — ٨ — ١٦ — ٣٢ . . . الخ ، أما الموارد الغذائية فتنمو طبقا لمتوالية عـــددية قوامها ١ — ٢ — ٣ — ٤ — ٥ . . . الخ . والعلة فى المتاعب الاجتماعية ترجع إلى عدم التناسب بين الزيادة السكانية وزيادة موارد الإنتاج ، إذ أن السكان يزداد من الحـد الذى تستطيع كمية الطعام المتوفرة أن تكفيه ، فالأغذية التي يستخدمها ١١ مليون نسمة إذا وزعت على ١٢ مليون نسمة سادت حالة الفقر والبؤس وكذلك يزيد عرض العمل فينخفض الأجر .

وذكر مالتس أن هناك عوامل طبيعية وأخرى وقائية تحدد من الزيادة السكانية ، فمن العوامل الطبيعية الحروب والأوبئة والمجاعات وفيضانات الأنهار أما الموانع الوقائية فهى التحفظ الخلقى وتأجيـــل الزواج أو تأخيره لسن متقدمة .

هذا ولم تعد هذه النظرية ذات أهمية كبرى فى وقتنا الحالى ، بل إن مالتس نفسه قام بتعديلها . ومع ذلك فقد مهدت لنمو العلوم الاجتماعية التي كانت فيما مضى تقوم على التصورات أكثر من قيامها على الملاحظات

الإمبيريقية(١) ويؤخذ عليها أنها أغفلت تطور الكفاية الإنتاجية زراعيا وصناعيا ، كما أن العوامل التي ذكرها للاقلال من الزيادة السكانية تترك الحبل على الغارب . دون أن تحاول التأثير عليها والتدخل في مجرياتها . والواقع أن نظرية مالتس نظرية نسبية تنطبق على المجتمعات ذات الموارد المحدودة كالهند والصين ومصر ، لكن هناك بلاداً ذات موارد كبيرة وتحتاج إلى السكان وتشجع الهجرة إليها ، ودلك كما هو موجود فى الولايات المتحدة الامريكية وكندا .

---

(4) See Paul A. F. walter, The sccial scieuces. A Proqiem Approach. p. 7.

المبحث الثالث

الاتجاه الإحصائي

تقـــديم :

يعتبر العلماء أن العلوم مرتبة ترتيباً زمنياً من حيث تقدمها وتأخرها بحسب أخذها بلغة الكم في مجال بحثها ، ويعتبرون أن الرياضة هي أرقى العلوم لأنها تستخدم لغة الكم دائما . ولهذا يعتبر المنهج الإحصائي أكثر انتشارا بين العلوم ، والدليل على ذلك أن كل العلوم التي تقوم على الملاحظة لا غنى لها عن استخدام الإحصاء في إقامة القوانين .

ولقد حاول الكثيرين من المفكرين أن يجعلوا من الإحصاء علما له قواعده وقوانينه ، وحاول البعض الآخر أن يجعله علما تابعا للعلوم التجريبية ، أما التفكير الحديث فقد جعل الإحصاء أداة للقياس ومنهجا للبحث يقدم للعلماء المادة الخام التي تساعد على إقامة النظريات .

ويعني بالمنهج الإحصائي تجميع المادة العلمية تجميعا كميا ،وهو بذلك يعكس نتائج البحث العلمي في صورة رياضيـة بالارقام والرسوم البيانية – أي في صورة كمية ، ومن ثم تسهل المقارنة ، ويستطيع الباحث أن يصـــل إلى الحقيقة . ويستخدم المنهج الإحصائي في تحليل وبيان الاحداث المتكررة والتي لا تخرج نفس المخرجات Outcomes فقد يكون الحدث الزواج ـ مثلا ـ أما المخرجات فقد تكون لطلاق أو استمرار الحياة الزوجيـة . وإذا كان الحدث وضع فأر في مأزق ، فان المخرجات هي الوقت الذي يستغرقه الفـأر

فى الخروج من هذا المأزق . ويبدو هناك مظهران فى هذه المواقف ، الاول هو إمكانية ملاحظة عدد كبير من الاحداث المتشابهة ، والثانى هو المتغيرات الكمية التي تحدث فى المخرجات التي ترتبط بالاحداث موضوع الدراسة . وإذا لم تحدث هذه التغيرات ، فانه لا يتكون لدينا موضوعا إحصائيا .

ويهتم علم الاجتماع بالمقاييس الكمية اهتماما كبيراً ، إذ يسعى الباحث فى علم الاجتماع إلى معرفة الإحصاءات الاجتماعية باستخدام أدوات البحث التي تمكنه من ذلك . والإحصاء فى علم الاجتماع معناه ترجمة البيانات الكيفية للحقائق الاجتماعية إلى بيانات كمية ، ومن ثم يسهل وضعها في جداول رياضيـــة ورسومات بيانية ، فتسهل المقارنة والتفسير . ويسعى الباحث إلى ذلك باستخدام الحقائق الموضوعية التي يمكن قياسها وإحصاؤها . والإحصاء فى علم الاجتماع معناه أن الحقائق الاجتماعية إذا قاسها عدد من الباحثين فانالنتائج تكون واحدة[1] .

وقد كان العالم الالمانى « جوتفرد اختقال » عام ١٧٥٩ أول من أطلق على هذه الدراسة إسم « الإحصاء Statistique » ، إذا كان هذا العلم فى مبدأ أمرهعرضاً ذو دلالة وصفية فحسب لمجموع المعطيات الهامة فى جميع النظم التي تميز بلداً أو دولة : سياسية ، سكان الإنتاج ؛ الثروة . . . الخ ؛ دون أن يكون لهذه المعطيات فى معظمها صورة عددية . ثم استمر التيار الإحصائى فى النمو حتى انتهى إلى ظهور الإحصاء الاخلاقي للعالم البلجيكى « كيتيليه » .

---

(1) Emory Bogardus, op. cit. p. 45,

أدولف كيتيليه (١٧٩٦ — ١٨٧٤)

درس كيتيليه الرياضيات فى مدرسة خاصة وهو بعد فى السابعة عشر من عمره . وفى التاسعة عشرة أصبح مدرساً للرياضيات فى جامعة « جنت Ghent » ؛ وعين أستاذاً للمجمع العلمى فى بروكسل وهو فى الواحـــدة والعشرين من عمره .

وأكد كيتيليه انتظام الأحداث الاجتماعية فى المجال الاجتماعى ، وبخاصة فى مجال الظواهر التي يشيع النظر إليها بوصفها تسير سبهللا وبلا نظام . وانتهي إلى أن المنحنى الاعتدالى للتوزيع يتوافر عامة فى الظاهرة الاجتماعية ، أى أن الحالات القريبة من متوسط سلسلة معينة تتوافر بالضرورة — أكثر من الحالات التي تنحرف انحرافا دالا عن هـذا المتوسط . ولهذا فان مفهوم الإنسان المتوسط Averagevman يحتل وضعاً مركزياً فى نظريته .

وذهب في واحد من أعماله إلى أننا يمكن أن نقيس كمال العـلم بمدى السهولة التي يمكنه بها استخدام العمليات الحسابية(١) .

---

(١) نيقولا تيماشيف . المرجع السابق . الطبعة الخامسة ص ٨٠—٨١ .

المبحث الرابع

اتجـــاه بحث الحالة

تقـــديم :

يختلف علماء المناهج فى تحديد دراسة الحالة ، هل هى منهج ضمن مناهج البحث ، أم أنها إحدى الطرق التى عن طريقها تم إجراء بحث معين ، أو يمكن اعتبارها إحدى أدوات جمع البيانات .

وقد اعتبر العديد من علماء المناهج دراسة الحالة منهجاً لكشف وتحليل الموضوع تحت الدراسة . فها هو قاموس علم الاجتماع الذى وضعه فيرتشيلد Fair Child[1] . يذهب إلى أن دراسة الحالة منهج فى البحث عن طريقه يمكن جمع البيانات ودراستها . وهذه الحالة أو الوحدة قد تكون شخصاً معيناً أو أسرة أو جماعة أو نظام ، أو ميادين العمل المختلفة ، أو هيئة اجتماعية ، أو كتاب القرية ، أو مجتمع محلى ، أو وطن معين . والعالم المتبع لهذا المنهج يأخذ عينات تمثل الجماعة التى يقوم بدراستها ، ثم يجرى البحث على هـــذه الحالات المختارة ، وأخيراً يطبق ما وصل إليه من نتائج على المجموعة كلها .

ويستخدم منهج بحث الحالة كبديل لمنهج المسح ، فهذا الأخير تتراكم فيه آلاف الاستثمارات التى لا تتسم فيها المعلومات بالعمق . فلو تطلب البحث أن يجلس الباحث مع كل مبحوث ساعة من الزمن ، فان هذا يحتاج إلى وقت طويل. كذلك فان فترة الساعة لا تمكن الباحث من توجيه عدد كبير من الأسئلة

(١) د. غريب سيد أحمد . تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعى ص ١٧٨ .

والحصول على معلومات وإجابات عميقة . ومن ثم فان الباحث الذى يستخدم عينة مكونة من عدد قليل من الأفراد ، وتمثل المجتمع الذى يقوم بدراسته يستطيع أن يحصل على قدر كبير وعميق من المعلومات .

ويستخدم منهج بحث الحالة فى مجالات العلوم المختلفة مثل علم الطب والقانون وعلم النفس التطبيقى ، والتعليم ، كما يستخدمه الصحفيون والمحامون والأخصائيون الاجتماعيون ، وانتشر استخدام هذا المنهج فى علم الاجتماع عند ما ساءت ظروف العمل ، وظهرت الآثار الاجتماعية السيئة نتيجة التوسع الصناعي فى ظروف الحياة العمالية . ويعتبر فردريك لوبلاى من أبرز علماء الاجتماع الذين أخذوا بهذا الاتجاه .

فردريك لوبلاى Frèdéric Léplay

(١٨٠٦ — ١٨٨٢)

ولد لوبلاى فى أونفلير Hònflear ، وهى قرية فرنسية ساحلية ، ودرس فى معهد هارى College du Harre ، والتحق عام ١٨٢٥ بمدرسة البوليتيك ثم كلية المعادن Ecode de mines فى عام ١٨٢٧ . وبدأ حياته العملية رجل أعمال ، ثم عمل مهندسا . وفى عام ١٨٣٣ قام بمسح جيولوجى لأحد أقاليم أسبانيا بناء على طلب حكومتها ، وقد أتاح له نشر ملاحظاته فرصة القيام برحلات علمية إلى ألمانيا وبلجيكا وانجلترا وبروسيا . ثم عين أستاذاً للمعادن فى كلية المعادن عام ١٨٤٠ وفى عام ١٨٥٥ نشر عمله الممتاز « العمال الأوربيون The European worker » . وكتب ثلاثة مجلدات عن « الإصلاح الاجتماعى فى فرنسا Social Reform in france » عام ١٨٦٤ ، ثم تنظيم الأسرة Organization of the family » عام ١٨٧١ ، و« تنظيم العمل

Organization fo Labor »عام ١٨٧٢ . وقبل وفاته بوقت قصير أعد مجلداً بعنوان «دستور أساس للانسانية Essential constitutiou of humarity» .

وكان لوبلاى من المحافظين سياسيا وتأثر تأثيراً عميقاً بالثورة الفرنسية والثورات الديموقراطية والصناعية التي قامت في العالم الغربي ولذلك حاول أن يتأمل التفكك الاجتماعى فى عصره ، وانشغل بالطريقة التي يمكن بها تحقيق التكامل والاستقرار للنظام الاجتماعى العام ، وتطلع إلى حلول قائمة على المعرفة الإمبيريقية .

وبنى لوبلاى منهجه على الملاحظة الدقيقة للظواهر واستخدم طريقة جديدة فى بحثه عن الأسرة ، وهى التي تعرف اليوم باسم « الملاحظة بالمشاركة » . فقد اتصل بالأسر التي اختارها للدراسة ، وشاركها حياتها ونشاطاتها وأوقات فراغها ، وأنشطتها الدينية والتعليمية والاجتماعية . وأشار إلى أهمية مشاركة الباحث للمبحوثين فى حياتهم . كما كان يعتقد أن الملاحظة المنظمة هى الخطوة الأولى نحو الاستقصاء العلمى . واهتم بالدراسة المقارنة للنظم الاجتماعية ونسق العائلة في المجتمع المحلى والطبقات الاجتماعية فى المجتمعات الغربية والشرقية .

ويعد لوبلاى مكتشفاً ورائداً ومطبقاً لمنهج دراسة الحالة . ويعتبر اكتشافه لهذا المنهج أحد الإسهامات الهامة التى أضافها إلى المنهجية لعلم الاجتماع . فقد طبقة فى دراسته للأسرة واتخذها كوحدة لقياس مستوى حال حياة العمال . واعتبر الأسرة الوحدة الاجتماعية الأساسية فى المجتمع التي تعمل توفير مواد المعيشة لأفرادها عن طريق العمل الذى تتحدد طبيعته بالمكان أو الظروف الجغرافية .

وذكر لوبلاى أن هناك ثلاث نماذج من الأسر : الأسرة الأبوية ، والأسرة

المستقرة الثابتة ، والاسرة الوحدانية الحديثة غير المستقرة. والاسرة الابوية أسرة تقليدية تسلطية . وتتكون من الزوج والزوجة والاولاد المنجبين وزربتهم وتنحصر السلطة فى رئيس الاسرة وحده . وتؤول بعد وفاته الى أكبر أولاده وينتشر هذا النظام — كما يذكر — فى بلاد الشرق وفى الشعوب السلافية فى أواسط أوربا وروسيا . أما الاسرة المستقرة الثابتة ، فهى الأسرة الزواجية ضيقة النطاق ، وتختار أحد أفرادها ليكون رئيساً لها بعد وفاة الأب ، وتتأصل فيها التقاليد ، ولكنها تتمتع بالحرية ودون تسلط، وينتشر هذا النظام فى انجلترا وفرنسا . والأسرة الوحدانية الحديثة غير المستقرة هى التى يهجرها أولادها متى أمكنهم كسب معاشهم . ويسود هذا النظام المجتمعات الصناعية والشعوب التى تميل إلى الهجرة الخارجية . وقد فضل لوبلاى النموذج الثانى من الأسر /الأسرة المستقرة ، فهو يحقق السعادة لأفرادها ، ويساعد على الاستقرار والنظام ، وعلى تقوية السلطة المركزيه .

وركز لوبلاى فى دراسته على ميزانية الاسرة ، واعتقد أن الاسرة العمالية تعتمد كل الاعتماد على التوازن بين دخلها ومصروفاتها ، واهتم بمصادر الدخل (ملكية ، أجور ، مرتبات ، مساعدات) وأثاث المنزل ومستويات المعيشة ، والناحية الترفيهية ، والديون . وتناول أيضاً تاريخ الاسرة ، والعادات والتقاليد والدين .

وانتهى لوبلاى فى تحقيقاته الاجتماعية إلى تقرير الوسائل التى ينبغى الالتجاء إليها لتحسين حال العمال ، واقترح فى هذا الصدد بعض المشروعات التى تتسم بالصفة الاشتراكية مثل تنظيم الاتحادات والنقابات وجمعيات المنتجين والمستهلكين والجمعيات والمصارف التعاونية ، والعمل على تقوية روح التضامن بين مختلف طوائف العمال ، وتقرير الوسائل التى يتم بفضلها القضاء على البطالة .

المبحث الخامس

الاتجـــاه الإيكولوجى

تقـــديم :

كانت معرفة الإنسان بالإيكولوجيا من خلال علم البيولوجيا والطب . فقد أطلق البيولوجيون على الاعتماد المتبادل بين المكونات البيولوجية والفيزيقية نسقا إيكولوجيا(١) . وأشار هيبوقراط(٢) (٤٦٠ — ٣٧٧ ق.م) إلى وجود عناصر إيكولوجية فى جينات الصحة والامراض . وتناول كتابه On Airs, waters and places ، الجوانب البيئية .

أما الإيكولوجيا الإنسانية فهى تلك التغيرات التى تحدث فى توزيع السكان والنظم ، فهى تتعدل وفق نشاطات الإنسان ، وما يبذله من جهود فى السيطرة على المناطق الصحراوية والمائية ، وأراضى الغابات .

ويرجع تأكيد مفهوم المدينة وتفسير الحياة الحضرية فى ضوء المفاهيم الإيكولوجية فى العصر الحديث إلى مدرســـة شيكاغو . فقد كتب « بروبرت بارك Robert Park » مقالا من المدينة نشر عام ١٩١٥ ، ثم ضمنه مع مقالات أخرى كتابه عن « المدينة » الذى صدر عام ١٩٢٥ . ويعتبر هذا

---

(1) Paul R. Ehrlich & Aune Ehrlich, Populatiobn resourec Enviroument Issues in human ecology, p. 157.

(2) Charles H. southwick, Ecology and the Quality of our Environment, p. 146.

الكتاب نقطة البداية فى التأليف العلمى المتخصص فى علم الاجتماع الحضرى .

روبرت إزرا بارك Robert Ezra park

(١٨٦٤ — ١٩٤٤)

ولد روبرت إزرا بارك فى١٤ فبراير عام١٨٦٤ فى هارفيفى بولاية بنسلفانيا Pennsylvania . وبعـــد ولادته انتقلت أسرته إلى ريد ونج Reb winy بولاية مينيسوتا Minnesota ، وشب هناك على شاطىء نهر المسيسبى . وبعد نجاحه فى مرحلة الدراسة الثانوية ، التحق بجامعة مينيسوتا بالرغم من معارضة أبيه ، ثم التحق بجامعة ميتشجان .

وفى آن آربر Ann Arbar التقى بارك بمعلمه جون ديوى ، وأصبح عضواً فى جماعة طلابية تكرس جهدها فى مناقشة الظروف الاجتماعية سعياً وراء إصلاح الأفكار التى انتشرت فى وسط غرب أمريكا . وهناك قدم جون ديوى بارك إلى رجل بارز هو فرانكلين فورد Franklin food كان له تأثير كبير على مستقبله . فقد كان فورد محرراً فى الصحف وكتب مقالات عديدة عن رأس المال وتأثير الصحف على السوق . واعتبر فورد أن الأسعار هى انعكاس للرأى العام تشكله الصحف والمجلات . واعتقد بامكانية قياس الرأى العام بدقة وإحكام . ومن ثم فان العمليات التاريخية يمكن أن تخطو خطوات إلى الأمام ، وفى تحسن دائم(١) .

وتأثر بارك بالدارونية تأثيراً كبيراً ، وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بالإيكولوجيا . وتأثر كذلك بعدد من التطوريين من أمثال إرنست هيكل

---

(1) Lewis A. coser, op. cit. p.p. 366—367.

jul an Huxley وتوماس Thomas وجوليان هكسلى Erdest Haeckel كما أشار إلى تأثره بسبنسر فيما يخص التباين . وكان بارك من أبرز رجال علم الاجتماع فى مدرسة شيكاغو .

وعرف بارك عـــلم الاجتماع بأنه علم « السلوك الجمعى » ، يهتم بدراسة « العمليات الاجتماعية » ، وفى رأيه أن المجتمع هو نتاج التفاعل بين الأفراد الذين يكونونه ، ويضبطهم جسد من التقاليد والرموز تتجلى أثناء عمليات التفاعل والضبط الاجتماعى حسب قوله ـ حقيقة أساسية وهامة فى المجتمع ، والمجتمعات فى أى مكان تنظمها وسائل ضبط تقوم بتنظيم العلاقات ، وتوجه طاقات الأفراد ، وتعمل على تكاملهم(١) .

وكتب روبرت بارك مقالا عن المدينة نشرعام ١٩١٥ ، ثم ضمنه مع مقالات أخرى كتابه عن « المدينة » الذى صدر عام ١٩٢٥ ، ويعتبر هـذا هذا الكتاب نقطة البداية فى التأليف العلمى المتخصص في علم الاجتماع الحضرى وفيه أوضح أن المدينة هى معمل يتجلى فيها الطبيعة الإنسانية والعمليات الاجتماعية ، والتي يمكن أن تخضع للدراسة والفحص ، وبمعنى آخر فانه يمكن فحص السلوك الإنسانى في بيئة المدينة . وحدد بارك خصائص وجذور المناطق المتخلفة والمستعمرات الأثنولوجية ، والضواحى الفرعية ، كما تناول الجماعات الوظيفية التى تسهم فى تفهم خصائص المدينة . وأشار أيضـــاً إلى القوى الاقتصادية والسياسية والثقافية التى تسهم فى عملية التحضر(٢) .

(1) Harold D. lasswelt & Daniel lërner & Hans speier, op. cit. p 497.

(2) Blake mckelvey, Mersopolitan Hmerica, p: 29.

المبحث السادس

علم اجتماع المعرفة

بتريم سوروكن Pitrim Sorokin

(١٨٨٩ — ١٩٦٨)

ولد بتريم سوروكن عام ١٨٨٩، وكان دارساً بارزاً في الدوائر الاكاديمية الروسية قبل الثورة الشيوعية عام ١٩١٧ . واختلف سوروكن فرحل عن روسيا ، وأقام فى الولايات المتحدة الأمريكية . ومن أشهر كتبه «النظريات السسيولوجية المعاصرة» عام ١٩٢٨ ، «والتغير الثقافى Cultural Dynamics » و« الحراك الاجتماعي Social Mobility » ١٩٢٧ ، وعلم اجتماع المعرفة Sociolgoy of Knowledge and Science ، كما اهتم بالدراسات الريفية الحضرية

ويبدأ سوروكن بأن هاجم علماء الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى الذين اعتمدوا على ملاحظات من سبقوه دون الاستناد إلى معرفة علمية دقيقة. وغالبية هؤلاء طرقوا علم الإجتماع حديثا ، وقدموا إليه من مجالات أخرى مثل علم الإحصاء [١] .

أسهم سوروكن مساهمة كبيرة فى علم اجتماع المعرفة / العلم ، وأصبح جزءاً لا يتجزأ من نظريتـــه السسيولوجية الإمبيريقيـــة .

---

(1) Rolert K. Merton, op. cit p. 397

وربط بين المعايير الذاتية والملاحظة الإمبيريقية ، وهى من المظاهر المميزة للعلم فى عصرنا الذى يرتكز على الدلائل المحسوسة . وبين أن السببية تعتبر من الدعائم الأساسية فى العلم الحديث . واهتم بالإحصاءات الإجتماعية والثقافية سواء فى مجال علم اجتماع المعرفة ، أو فى فروع علم الإجتماع ، فهى تساعد على توضيح الحقيقة العلمية ، وتوجد الروابط العلمية بين عناصر الثقافة الحسية ، كما تعمل على نمو النظرية . وتبين الإحصاءات الثقافية التغيرات التى تعترى أساليب المعرفة ، وكذلك الإختلافات بين الجماعات والبناءات الإجتماعية . وكانت الثقافة الحسية فى مراحلها الأولى ـ منذ القرن السادس عشر حتى منتصف القرن الثامن عشر تعتمد على العقلانية أكثر من اعتمادها على الأسس الأمبيريقية ، وارتبطت بالمثالية ، أكثر من ارتباطها بالثقافة الحسية . وهكذا يتغير الفكر فى المجتمعات على مر العصور ، وترتد النظرية العلمية إلى واحد أو أكثر من النماذج السسيوثقافية .

ويرى سوروكن أن الأعضاء الحسية تفشل فى تحقيق البحث الأمبيريقى لثقافتنا الحسية . ويرجع ذلك إلى أن الثقافة ليست دائمة التكامل. فى الثقافة الواحدة يوجد نماذج مختلفة من الثقافات .

وأكد سوروكن أن التباين فى انتساب المكانة والجماعة الإجتماعية فى الثقافة الواحدة تؤثر على الميول غير العقلية والتفكير المنطقى فى البحوث العلمية. وافترض وجود نماذج من الفكر تختلف باختلاف انتساب المكانة والجماعة الإجتماعية التى تنتمى إليها العالم .

وحلل سوروكن مظاهر الثقافة . وفى رأيه أن البناء الإجتماعى يعكس العقلية الثقافية السائدة ، وتخضع الثقافة للتطور والتذبذب . فهى تتطور فى

اتجاه معين ولمدة معينة على نحو مستقيم ، ثم يحدث أن يتغير الاتجاه . وقد يكون التغير على نحو مستقيم أيضاً أو ذبذبة أو مطابقاً لمنحنى معين . ولكن المهم أن كل تطور جديد لا يلبث أن يصل إلى نهايته ويبدأ تطور جديد وهكذا . . وقد تعود الثقافة في مجرى هذه التغيرات غير التامة وغير المنتظمة إلى بعض الحالات التي كانت عليها سابقاً ، وأورد سوروكن ثلاث نماذج من الثقافة هي:

١ ـ ثقافة روحية أو مثالية : وتتميز بأن الحقيقة المطلقة ليست مادية ، فهي لا تدرك عن طريق الإحساس، وإنما تقوم على التصور والخيال . وتشمل الحقيقة المطلقة مملكة الله أو البوذية أو إدراك للكائنات الدائمة وغير المادية . وهي تشبع احتياجات الإنسان الروحية . وتتجه هذه الثقافة نحو المثاليات والإيديولوجيات سواء أكانت أيديولوجية أو اقتصادية أو دينيـــة أو اجتماعية .

٢ ـ الثقافة الحسية : وتتميز بأن الحقيقة واقعة تجريبية ، ويقوم هذا النموذج على العالم المادى اعتمادا على الحواس . وتشمل الثقافة الحسية مجهودات الإنسان التى يبذلها من أجل إشباع الحاجات المادية ، ونمو التكنولوجيا ، والتقدم العلمى والطبى ، ويتحقق ذلك من خلال تعديل العالم الخارجى ، وليس من خلال تعديل الذات ، ويعتقد سوروكن أن الثقافة الغربيـة وصلت اليوم إلى أقصى مراحل الثقافة الحسية أو المادية ، وهي بسبيلها اليوم إلى التحول إلى الثقافة الروحية أو المثالية .

٣ ـ الثقافة المختلطة : وهى تتضمن مزيجا من النموذج المثالى والحسى .

وتشمل هذه النماذج الثقافية الجوانب المادية والرموز الاجتماعية التي تحكم سلوك الأفراد . ويتضمن تحليل الأنساق السسيو ثقافية تحـديد الموضوع

الثقافي من ناحيتى الإبتكار والأنماط السائدة للتنظيم الإجتماعى . . وتقسم العناصر التى تكون النسق بالثبات ، وهى تعكس العقلانية . الثقافية السائدة .

وناقش سوركن أسلوب تجلى الموضوعات الثقافية الأساسية فى أشكال مختلفة من الفن مثل التصوير والتصميمات المطبوعة والموسيقى وفن المعار ، وهى تمثل العقلانية المثالية ، لأنها تقدم رموزا أو موضوعات خيالية غير إمبيريقية . أما وصف هذه الموضوعات الخيالية فهو يعبر عن النموذج الحسى للعقلانية .

وذكر سوروكن أن الجماعة سابقة لوجود الفرد ، والفرد يتنفس من خلالها . فهى توجه أفعاله ورود أفعاله ، وتهذب جسمه ، وعقله ، وسلوكه ، وهى تشكل أبعاد شخصية . وإذا ماتعقدت الجماعات تحول الفرد إلى الأنانية .

ويؤخذ على نظرية سوروكن أنها تفتقر إلى تفسير التباين الفكرى فى المجتمع الواحد أو الثقافة الواحدة ، ويرجع هذا إلى إهتمامه بالموضوعات السائدة للثقافة ككل . وإذا مادعنا جانباً الاختلافات فى النظرة العقلانية للطبقات والجماعات المختلفة ، نجدسوروكن يعتبرالمجتمع المعاصر مجتمعا متكاملا من ناحية الثقافة الحسية . وفى ضوء هذا فان نظريةسروكن يمكنأن تنطبق على ثقافات خاصة من هذا العالم . كذلك فان نظريته لم تستطع أن تحلل الاتصالات بين المواقع المختلفة فى الثقافة الاجتماعية الواحدة .

خلاصة

يتضح من هذا الفصل أن الحتمية الاقتصادية تعنى إبراز عامل واحد هو الاقتصاد كدافع للتغير دون اعتبار لباقي العوامل ، وأن المجتمع وما يتخلله من عناصر كالثقافة والفن والأسرة والسياسة و.. الخ ما هى إلا انعكاس للظروف الاقتصادية .

واتضح أن ماركس كان أبرز من أخذ بالحتمية الاقتصادية ، فقد افترض أن بقاء الحياة الإنسانية يستند إلى النشاط الذى يقوم به الإنسان فى تعديل بيئته الطبيعية من أجل أن يعنى باحتياجاته الإنسانية ـ أى على النشاط الإنسانى . واستند ماركس إلى المادية التاريخية ، وقسم التاريخ إلى مراحل ، وفى كل مرحلة يظهر طبقتان فى المجتمع ، وفى ظل المجتمع الرأسمالى تقضى ثورة البروليتاريا على هذا المجتمع وتقيم المجتمع الاشتراكي .

وتبين من هذا الفصل أن أصحاب الاتجاه السكانى اعتبروا السكان عنصرا هاما فى تكوين المجتمعات الإنسانية . وكان توماس مالتس أحد البارزين في هذا الاتجاه .

واستبان من هذا الفصل ظهور اتجاه إحصائى يهتم بالمقاييس الكمية اهتماما كبيرا ، ويترجم البيانات الكيفية للحقائق الإجتماعية إلى بيانات كمية ، ومن ثم يسهل وضعها فى جداول رياضية ورسومات بيانية ، فتسهل المقارنة والتفسير . ويتمثل هذا الاتجاه فى العالم البلجيكى أدولف كيتيليه .

ويستبين من هذا الفصل أن اتجاه بحث الحالة يستخدم كبديل لمنهج المسح . فالباحث الذى يستخدم عينة مكونة من عدد من الأفراد ، وتمثل

المجتمع الذى يقوم بدراسته يستطيع أن يحصل على قدر كبير وعميق من المعلومات . ويعتبر فردريك لوبلاى من أبرز علماء الاجتماع الذين أخذوا بهذا الاتجاه .

واتضح من هذا الفصل أن الاتجاه الإيكولوجي يقوم على التغيرات التى تحدث فى توزيع السكان والنظم ، فهى تتعدل وفق نشاطات الإنسان وما يبذله من جهود فى السيطرة على المناطق الصحراوية ، والمائية ، وأراضى الغابات . ويعتبر روبرت بارك من أبرز الذين أخذوا بهذا الاتجاه .

ويتضح أن هناك اتجاها آخر هو علم اجتماع المعرفة ، وكان بتريم سوركن من أبرز الذين اتجهوا هذا الاتجاه ،

المراجـــع

أولا : المراجـــع العربيـــة

١ ـ د. إبراهيم درويش . النظرية السياسية فى العصر الذهبى . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٣ .

٢ ـ ابن خلدون . مقدمة ابن خلدون ـ الجزء الأول . دار الشعب . د.ت .

٣ ـ د. أحمد أبو زيد . البناء الاجتماعى ـ مدخل لدراسة المجتمع ـ الجزء الأول المفهومات . الإسكندرية ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥ .

٤ ـ د. أحمد الخشاب ، د. كرم حبيب برسوم . مقدمة فى علم الاجتماع مكتبة القاهرة الحديثة ، د.ت .

٥ ـ د. السيد محمد بدوى . مبادىء علم الاجتماع . دار المعارف بمصر ١٩٦٨

٦ ـ د. حسن شحاته سعفان . أسس علم الاجتماع ، القاهرة ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٥٤

٧ ـ د. حسن شحاته سعفان ، تاريخ الفكر الاجتماعى والمدارس الاجتماعية القاهرة ، دار النهضة العربية ، الطبعة الرابعة ١٩٦٦ .

٨ ـ د. زكي نجيب محمود . المنطق الوضعى . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الثانية ، ١٩٥٦

٩ ـ د. عبد العزيز مرعى ، د. منيس عبد الملك . الاقتصاد المعاصرة . مطبعة مخيمر ، ١٩٦٣

١٠ ــ د. عبد الطيف محمد العبد مناهج البحث العلمى . مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٩

١١ ــ د. على عبدالمعطى ــ د. محمد على محمد د: السياسة بين النظرية والتطبيق دار الجامعات المصرية ؛ ١٩٧٤

١٢ ــ د. غريب سيد أحمد . تصميم و تنفيذالبحث الاجتماعى ــ الجزء الأول المنهج القياسى ؛ الإسكندرية ؛ دار الكتب الجامعية ؛ ١٩٧٤

١٣ ــ د. قبارى محمد إسماعيل . الاتجاهات المعاصرة فى مناهج علم الاجتماع بيروت ؛ لبنان ، دار الطابة العرب ؛ الطبعة الأولى ؛ ١٩٦٩

١٤ ــ د. قبارى محمد إسماعيل . علم الاجتماع والفلسفة . الإسكندرية . الهيئة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١

١٥ ــ د. قبارى محمد إسماعيل . علم الاجتماع الألمانى . الإسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ؛ الطبعة الأولى ؛ ١٩٧١

١٦ ــ د. قبارى محمد إسماعيل ، الأنثربولوجيا الاجتماعية . الإسكندرية ، منشأة المعارف بالإسكندرية ؛ ١٩٧١

١٧ ــ د. محمد ثابت الفندى . الطبقات الاجتماعية . دار الفكر العربى ، ١٩٤٨

١٨ ــ د. محمد طه بدوى . أصول علم السياسة ــ علم أصول السياسة ــ دراسة منهجية . المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر ، ١٩٧٠

١٩ ــ د. محمد عاطف غيث - علم الاجتماع . الإسكندرية ، دار المعارف بمصر ١٩٦٣

٢٠ ـ د. محمد عاطف غيث . دراسات إنسانية واجتماعية الإسكندرية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥

٢١ ـ د. محمد عاطف غيث ـ علم الاجتماع ـ الجزء الأول ـ النظرية والمنهج والموضوع ـ الإسكندرية ـ دار المعارف بمصر ، ١٩٧١

٢٢ ـ د. محمد عبد المعز نصر . فى الثورة والاشتراكية . الاسكندرية ، المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر ، ١٩٦٩

٢٣ ـ د. محمد عبد المنعم نور . أسس العلاقات الإنسانية ـ دراسة أساسية للعلوم الاجتماعية ـ مكتبة القاهرة الحديثة ، د. ت .

٢٤ ـ د. محمد على محمد . رواد علم الاجتماع ـ قراءة جديدة للفكر الاجتماعى الغربى ـ الإسكندرية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ فرع الإسكندرية ١٩٧٦ .

٢٥ ـ د. محمد على محمد ـ علم الاجتماع والمنهج العلمى ـ دراسة فى طرائق البحث وأساليبه ـ الإسكندرية ـ دار المعرفة الجامعية ـ الطبعة الثانية ١٩٨١ .

٢٦ ـ محمد فريد وجدى وآخرون ـ الموسوعة العربية الميسرة ـ القاهرة ـ الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥ .

٢٧ ـ د. محمود زيدان ـ مناهج البحث الفلسفى ـ الإسكندرية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ .

٢٨ ـ د. مصطفى الخشاب ـ علم الاجتماع ومدارسه ـ تاريخ الفكر الاجتماعى ومدارسه ـ القاهرة ـ مطبعة لجنة البيان العربى ١٩٥٨

٢٩ ـ د. مصطفى الخشاب ـ علم الاجتماع ومدارسه ـ الكتاب الثالث ـ المدارس الاجتماعية المعاصرة ـ القاهرة ـ دار المعارف ١٩٧٩ .

ثانياً: المراجع الأجنبية (المترجمة)

٣٠ ـ أفلاطون ـ جمهورية أفلاطون ـ نقلها إلى العربية نقلا عن الترجمات الإنجليزية الشيخ حنا الخباز .

٣١ ـ بوتول/جاستون. تاريخ علم الاجتماع ـ ترجمة د. محمد عاطف غيث وعباس الشربيني ـ الإسكندرية ـ الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤

٣٢ ـ بوتومور/ت.ب ـ الصفوة والمجتمع ـ ترجمة وتقديم د. محمد الجوهرى د. علياء شكرى ـ د. محمد على محمد ـ د. السيد محمد الحسيني ـ دار الكتب الجامعية ـ الطبعة الأول ١٩٧٢ .

٣٣ ـ تيماشيف / نيقولا ـ نظرية علم الاجتماع ـ طبيعتها وتطورها ـ ترجمة وتقديم د. محمود عودة ـ د. محمد محمود الجوهرى ـ د. محمد على محمد ـ د. السيد محمد الحسيني ـ مراجعة وتقديم د. محمد عاطف غيث ، دار المعارف بمصر ـ الطبعة الخامسة ـ ١٩٨٧ .

٣٤ ـ دوركايم/إميل ـ قواعد المنهج فى علم الاجتماع ـ ترجمة د. محمود قاسم مراجعة د. السيد محمد بدوى ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٠

٣٥ ـ ديورانت/ول ـ قصة الحضارة ـ الجزء الثالث عن المجلد الأول ـ الهند وجيرانها ـ ترجمة د. زكي نجيب محمود ـ القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ الطبعة الثانية ١٩٥٧

٣٦ ـ ديورانت/ول قصة الحضارة ـ الجزء الثالث من المجلد الثالث ـ قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية ـ ترجمة محمد بدران ـ اختارته واتفقت

على ترجمته الأدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية ١٩٥٧

٣٧ ـ ديورنت/ول ـ قصــة الحضارة ـ الجزء الرابع من المجلد الأول ـ الشرق ـ الصين ـ ترجمة محمد بدران ـ القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ الطبعة الثانية ١٩٥٧

٣٨ ـ ماكيفر/ر.وم . الجماعة ـ دراسة فى عـلم الاجتماع ـ ترجمة د. محمد على أبو درة ولويس اسكندر ـ مراجعة د. حسن الساعاتى القاهرة ـ دار الفكر العربى١٩٦٨

٣٩ ـ مو نييه/رينيه ـ المدخل فى علم الاجتماع ـ ترجمة د. السيد محمد بدوى ـ الإسكندرية ـ مطبعة دار نشر الثقــافة بالإسكندرية ـ الطبعة الثانية ١٩٥٣

٤٠ ـ هاريسون / بريان ـ موجز تاريخ جنوب شرق آسيـا ـ ترجمة سعد أحمد حنين ـ مراجعة على أدهم ـ القاهرة ـ مطبعة الكيلانى الصغير ١٩٥٤

ثالثـا : المراجع الاجنبية

41 — Barnes Harry, Elmer, (ed.), Introduction to The History of sociology. Chicago, The University of chicago Press, fourdh Impression, 1954.

42 — Baim Gregory, Sociology and Human Destiny, Essays on Sociology, Religion and Society, New york, A Crossroad Book, The seabury Press; 1980

43 — Berger, Peter & Luckman, The Social Construction of Reality, A Treatize in Sociology of Knowledge. Gardencity, New york, An chorBook, Doubley and Company, W.D.

44 — Bierstedt, Robert, American Sociological Theory, A' Critical History, New york, A' Subsidiary of Har - court Brace jovanovich. Publishers, 1981

45 — Bogardus, emory, Sociology, New york, The Mac Millan Company, Fourth Edition, 1954.

46 — Brown, Roger, Social Psychology, New york, The Free Press, 1965.

47 — Bouthoul, Goston, Histoire de La Sociologie, Paris, Presses universitarie de France, 1971.

48 — Coser, Lewis A., & Rosenberg Bernard, Sociological Theory, A Book of Readings, New york, The Mac Millan Company, Second Edition, 1964

49 — Coser, Lewis A., Masters of Sociological Thought, Ideas in Historical and Social Context, New york, Harcourt Brace jovanovich, Inc., First Edition, 1976.

50 — Croce, Benedetto. Politics and Morals, George Allen & unwin L.T.D., 1946

51 — Dahrendorf, Ralf, Life chances, Approach to Social and Political Theory, The university of chicago Press, 1979

52 — Davies; Loan, Social Mobility and Political change, Mac Millan and company limited, 1970

53 — Davies, Marton R. & Lewis Naughan, Models of political Systems, london, vikas Publicaton, 1971

54 — Dexter, N.C. & Rayer, E.G. Guide to Contemporary politics, Pergamon press, 1960

55 — Durand, Gilbert, Des Grand Textes de la Sociologie, Paris, Collection Reorge Pascal, S.D.

56 — Durkheim, Emile Suicide, A Study in Saciology Translated by john A. Spaulding and George Simpson, London, Routledege & Kegan Paul L.T.D., 1953

57 — Durkheim, Emile, Les Régles de la Méthode Sociologique, Press univrstaire de France, 1973

58 — Dukheim, Emile, Education et Sociologie, Presse universitaire de france, 1973

59 — Ehrlich, Paul R. & Ehrlich, Anne population Resources Enviroment, Issues in Human Ecology. San francisco, W.H. freeman & company, 1970

60 — Ekeh, Peter P., Social Exchange Theory, London, Heinemann, First published, 1939

61 — Elias, Norbert, What is Sociology. Translated by Stephen Mennell, New york, Columbia University press, 1978

62 — johnson, Doyle Paul, Sociological Theory classical Founders and Contemporary Perspectives, New york, john Wiley & Sons, 1981.

63 — Lasswell, Harold D. & Lerner, Daniel & Speier, Hans, Propaganda and Communication in World History, The university Press of Hawaii, 1945

64 — Lee, Alfed Maclung, (Ed.), Principles of Sociology New york, Barnes & Noble, Inc., 1873.

55 — Lundberg, George A. & Schrag Clarence C. & Larsen, Otto N., Sociology, New york, Harper & Row, 1970

66 — Maclvev, R.M., Community, A Sociological study London, Mac Millan and Co., Limited, 1936

67 — MacIver, R. M., Society, An Introductory Analysis London. Mac Millan & Co. L.T.D., 1953

68 — Mannheim, Karl, Mand and Society in An Age of Reconstruction, Studies in Modern Soical Stucture, London, Kegan Paul, Trench, Trubner & Co., L.T.D. 1977

69 — Mausner, Bernard, Citizens Guide to the Social Sicences, Chicago, Nelson - Hall. 1920

70 — Mayo, Elton, The Social Problems of an Industrial Civilization Routledge & Kegan Paul L.T.D., 1949

71 — Mc Kelvey, Blake, Metropolitan America, New jersey, Rutgers university Press, 1966

72 — Meisel, james H., (Ed.), Makers of Social Sciences, Pareto & Mosca, New jersey, Prentice - Hill, Inc. 1965

73 — Merton, Robert K. The Sociology of Science, Theoretical and Empirical Investigations, chicago, The university of chicago Press, Second Edition, 1971

74 — Mosca, Gaetano, The Ruling class, Translated by Kahn. New york, Mac Graw Hill Book company 1939

75 — Narang, B.S, & Dhawan, R.C., Introduction to Social Science, Delhi, India, C.B.S. publishers and Delhi, India, C.B.S. Publishers and Distributors, 1980

76 — Nisbet, Robert & Perrin, Robert G., The Social Bond, New york Alfred A. Knopf, Second Edition. 1977

77 — Nordskog, john Eric, Social Change, New york Mc Graw - Hill Book Company. 1960

78 — Parsons, Talcott, Action Theory and Human Condition, New york. The free press - A Division of Mac Millan Publishing Co. Inc. 1978

79 — Paul, P. Horton & Cherter, L. Hunt. Sociology New york, Mc Graw Hill - Book Company, Fourth Edition 1976

80 — Poggi, Gianfranco, Images of Mass - Society, De Tocquenille, Marx and Durkheim, Stafrd, 1972

81 — Rees, john, Equality, London, Paul - Man, 1971

82 — Rochlin, Gene I., Scientific Technology and Socid change. San francisco, W.H. freeman and Company, 1973

83 — Roddee, Anderson & Christol, Introduction to Political Science, Mac Graw Hill Book compny, Second Edition, 1967

84 — Ross, W.D., Aristotle, London, Methuem & Co., L.T.D., Fifth Edition, 1949

85 — Runciman, W.G. Social Science and Political Theory, Cambridge university Press, Second Edition 1949

86 — Schellenberg, james A., Masters of Social Psychology freud Mead, and Skinner New york. Oxford university Press 1978

87 — Sites, Paul. Control and constraint An Introduction to Sociology. New york, Mac Millan Publishing Co. Inc. 1972.

88 — Smelser, Neil j. The Sociology of Economic life New jersey. Printice - Hall Inc., 1963

89 — Sorokin, Pitrim, The Sociology of Science, Robert Merton, 1979

90 — Souhwick charles H., Ecology and the Quality of our environment, New york, D. van yostrand company. Second Edition, 1979

91 — Wallas, Graham, Human Nature in Politics, London, 1914

92 — Walter Paul A., The Social Sciences, A Problem Approoch. New york D. Van Nartrand Compamy, Inc, 1949

93 — Webb, Roger A. Social Development in child - hood : Day — Care, Program and Research Baltimore and London, 1964

94 — Worseley, Peter, Introduction to Sociology, Penguin Book, 1970

محتويات الكتاب

الموضوع	أرقام الصفحات من – إلى

الموضوع	أرقام الصفحات من – إلى

الموضوع	أرقام الصفحات
	من – إلى
فلوريان زنانيكى	١٧٤
خلاصة	١٧٧
الفصل العاشر : الاتجاه النفسى	١٧٩–٢٠١
تقديم :	١٧٩
سيجموند فرويد	١٧٩
مارجريت ميد	١٨١
جابرييل تارد	١٨٢
جون ستيوارت مل	١٨٤
وليام جراهام سمنر	١٨٤
جورج هربرت ميد	١٨٧
ماكس فيبر	١٨٩
تشارلس هورتون كولى	١٩٣
وليام ماكدوجال	١٩٦
كيمبول يانج	١٩٧
جاكوب مارينو	١٩٧
جون ديوى	١٩٨
نقد المدرسة النفسية	١٩٩
خلاصة	٢٠١
الفصل الحادى عشر : الاتجاه الوظيفى	٢٠٣–٢٢٤

الموضوع	أرقام الصفحات من ـ إلى

للمؤلف

١ ـ تطور النظم الاجتماعية وأثرها فى الفرد والمجتمع ـ الإسكندرية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ فرع الإسكندرية ١٩٧٢

٢ ـ الاستعمار فى القرن العشرين ـ الاسكندرية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية ١٩٧٥

٣ ـ الادعاءات الصهيونية والرد عليها ـ الاسكندرية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ فرع الاسكندرية ـ الطبعة الثانية ١٩٧٧

٤ ـ ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمى ـ الاسكندرية ـ المكتب الجامعي الحديث ـ الطبعة الثالثة ١٩٨٢

٥ ـ المدينة ـ دراسة فى علم الاجتماع الحضرى ـ الاسكندرية ـ المكتب الجامعى الحديث ١٩٨١

٦ ـ العلم والبحث العلمى ـ دراسة فى مناهج العلوم ـ الاسكندرية ـ المكتب الجامعى الحديث ١٩٨٢

٧ ـ دور المتغيرات الاجتماعية فى الطب والأمراض ـ دراسة فى علم الاجتماع الطبى ـ الاسكندرية ـ المكتب الجامعى الحديث ١٩٨٣